
رواية
عمل أسود
سما
المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

الإهـداء

إهداءٌ واجبٌ مشـمولٌ بالتضميـنِ والاحترامِ

للسيدةِ «رجاء عزت الشيخ»..

رحمها الله...

تـــامـر عطــوة

المقدمة

..

أيُّ تطابقٍ خبيثٍ لا يعنِي إلّا الغرضَ المذهودَ
فيه منْ قبلِ الصانــعِ لأنَّ الالتواءَ ينعكسُ بزوايا
مســتقيمةِ الانحناءِ فوقَ خطِّ الزمــنِ، والتاريخُ
يلجأُ لمللِ التكرارِ فقطْ ليعطِي المذاقَ المضمونَ
في الحبكــةِ فليسَ الأمــرُ مشــمولًا بالاضطهادِ
ولكــنْ حتمًا علــى الباغِي تــدورُ الدوائــرُ ومنها
تنبعجُ المصائرُ المرهونــةُ بالاعتكافِ والحجبِ
عن الواقعِ المريرِ...

تــامــر عطــوة

الليل وأجواء صامتة في هذه المنطقة المتاخمة للمقطم أقود سيارتي وبجواري أمي، وهذه السيدة الجالسة في المقعد الخلفي كبومة سوداء صامتة تراقب الكون المظلم الأزرق.

ندخل في شارع جانبي متاخم لصخور الجبل البيوت متلاصقة، وكأنها قررت الانتحار الجماعي.

أقف بالسيارة، أطفئ المحرك، أنظر للأمام كأنني جارية تنتظر أوامر السيدة البومة تنظر أمي الطيبة للمرأة فتتحرك المرأة البومة نازلة من السيارة بدون كلام لتتوجه إلى أحد البيوت، وتدخل بدون استئذان، وتغيب دقائق، لم أتكلم خلالها ولا كلمة لأمي، عادت المرأة إلينا، ودخلت السيارة.

هنستنى شوية، عنده ناس:

يخيم الصمت علينا، وأسرح مسترجعة الأحداث التي أنتجت هذه الزيارة الشاذة.

فالحقيقة المرة إنني عاشقة - أعشق رجلاً يعتبرني سيارة موديل قديم مركونة في مرآبه، أو قميصًا لم تصبح ياقته موضة، ولا بد من تخزينه في الدولاب، فهو رجل وأنا امرأة، بل هو زوجي وأحبه لدرجة

الجنـون، ولكنـه لا يعبـأ بي أصـلاً - دخلـت حياته بالإحـراج، حاول التخلص مني لم يعرف.

أنجبـت لـه، وأخلصت له، وهـو لا يمارس معي سـوى مجاملات، أشعر بها كصفعات على وجهي فهي لا تزيدني إلا همًّا وكمدًا.

وعلى مدار سنوات، لم أحصد منه إلا النفور وعدم الاكتراث،

وعرفت بالصدفة أنه علـى علاقة بأخرى من تلك الأخريات اللاتي يتفوقن عليّ في كل شـيء، ومستعدات للتضحية الكاملة من أجل قبلة منه.

وكتمـت السـر في حيرة مدمـرة، وحتـى لا تنفجر مواجهـة يعطيني فيهـا حرية لا أرغبهـا، وراقبته من بعيد لأعرف أكثر أنـه امتلك دارًا غير بعيـدة عن دارنـا حتى يقابلها فيها، وعرفت أيضًـا أنها تحبه جدًّا، وعلى استعداد لأن تعيش معه بدون أي شروط. كتمت السر أكثر في صدري، وتصنعـت الانغمـاس فـي أعمالـي اليوميـة، فأنـا أمّ وربّة منـزل جميل أهـداه لي زوجي، كنت أشـعر بوجـوده معها وهو نائـم إلى جواري في الفـراش، أتأمـل ملامحـه الهادئة، وهـو نائم وأسـرح في تخيلـه، وهو معهـا هي، يضمها إلى صـدره ويقبلها. ويعتصر لحمهـا بيديه الرائعة و و..و...... إلـى كل هـذا البروتوكـول الملتهـب والمتعـارف عليه بين العشاق الحقيقيين.

كذلك هو إنسـان أمين وصارحني في عدة مناسـبات - سعيدة - بأنه لا يريدني، ويعرض عليّ خروجًا آمنًا وسـخيًّا من حياته، وسمعته يقول

اصديق لـه: لقد أهدرت حياتي بزواجي هذا، وأريـد إنهاء هذه الصفقة ،اي ثمن.

ونبتت لي فكرة شيطانية،

لماذا لا أنسخ مفتاح شقته الجديدة، وأتسلل لها لأعرف وأشاهد ما بفعله زوجي مع صديقته..

شقته الجديدة في عمارة كبيرة متعددة الطوابق، وبها شركات كثيرة، والدخول لها والخروج منها لن يثير الشبهات،

خصوصًـا أنه فـي الـدور الرابع، وإلى جواره شـركة مسـتحضرات نجميـل، وفوقه مصفف شـعر شـهير، وطبيعيّ جـدًا أن تكـون العمارة ،رضة لهجوم السيدات عليها.

وبالفعل وجدت مفتاحًا غريبًا في محفظته سقط بالصدفة، وأنا أقوم ،التفتيش اليومي بعد نومه.

ها هو المفتاح مممممم، ولكن كيف أنسخه دون أن يلاحظ غيابه خصوصًا، وأنه يذهب للشقة يوميًّا؟؟

أعدت المفتاح إلى المحفظة، وأنا حائرة،

فأنـا أريـد كتمانًـا كليًـا للموضوع حتـى عنه هـو شـخصيًا، أريد أن أعـرف أو لا مـا يعجبـه فيهـا ولا يـراه فيَّ أنـا: هل صـدري الطيب غير كافٍ لأحضانه؟ هل أردافي الخنوعة غير مثيرة؟ هل ملمسـي المرتعش بعكس بؤسي وارتباكي وخجلي من حبيب أعرف أنه فقط يجاملني بلا أي رغبة، وبكل امتعاض؟

هل تدركون موقفي؟ هل تعلمون بذلي النهائي وأنا أسيرة في حبه أمارس لوعة النفور وعدم الاكتراث؟؟ إنها الشحاذة بلا أي نقصان.. وكما نباعد بيننا وبين الشحاذ؛ كان التباعد بيني وبينه، وكأن حبّي وقلبي وجسدي وإخلاصي وحناني لم يشكلوا ولو بعض بعض بعض الامتيازات، بل على العكس يزيد في الابتعاد عني ويهرب كما نفعل مع من نخشى على أنفسنا منهم.

أريد أن أراه عاشقًا حقيقيًا، وليس مجاملاً كما يحدث معي، أريد علاجًا ولا أريد بترًا.

لأنني أعرف جيدًا أنه لن ينكر، وسيعرض على الطلاق والذي سبق، وأن عرضه كما قلت في مناسبات سعيدة مرات عديدة.

وزوجي هذا رجل أنيق محتشم وسيم جذاب، وعلى ثقافة كبيرة، وليس من السهل خداعه.

وفجأة جاءتني فكرة - وقلبت في مفاتيحي لأجد مفتاحًا يشبه مفتاح شقة زوجي إلى درجة التطابق تقريبًا،

وقمت بتبديل المفتاحين ريثما أقوم بنسخ المفتاح الأصلي، وعسى أن لا يدرك زوجي هذا،

وبالفعل نسخت المفتاح، وأرجعته في اليوم التالي، ولم يدرك زوجي أصلاً.

كانت خطوة كبيرة وخطيرة، وقررت أن ألتقط أنفاسي قليلاً حتى أرتب التسلل لشقة زوجي،

وأشاهد ماذا يفعل زوجي مع المرأة الأخرى، والغريب أن الأمر تطور لرغبة كذلك، وليس للمعرفة فقط.

فأنا أعشق تفاصيل هذا الرجل، وأدرك أنه كنز حقيقيّ لأي امرأة،

فبالرغم من علمي أنه لا يرغبني بشكل خاص، ولكنه كرجل أشبه بأسطورة حية تمشي على قدمين، فهو الرومانسي الحنون، الفحل الرائع التفاصيل.

ومرت أيام وأنا لا أفكر إلا في التسلل وكنت صامتة أفكر وأخطط لدرجة أنه لاحظ شرودي، وسألني ذات مرة:

مالك سرحانة على طول؟؟؟

ولا حاجة بافكر في ماما أصلها تعبانة شوية.

سلامتها ممكن تروحي تقعدي عندها كام يوم ....

نظرت له وابتسمت، فهو دائمًا يرحب برحيلي بعيدًا عنه، وفي نفس الوقت أهداني الحل العبقري في التسلل.

نعم يا حبيبي سأذهب لأمي لعدة أيام، ومن هناك أنطلق لدارك السرية؛ لأعرف أكثر، وأشاهد وأرى ما تفعله يا زوجي العزيز.

ذهبت لأمي أنا وطفلاي، واستقبلتني أمي بحرارة فهي تعرف أن زواجي مهدد، وأن زوجي لا يريدني.

طمأنتها أننا بخير، وفي الليل نمت في فراشي القديم أخطط كيف أذهب للدار السرية لزوجي.

وكنت أعرف أن زوجي لا يذهب لبيتنا، وإنما يذهب إلى شقته في غيابنا هذا، وكنت أعرف مواعيد عمله، وإن كان لا بد من التسلل فلا بد أن يحدث هذا نهارًا قبل عودة زوجي.

خصوصًا أنني أعرف أنه يقابل المرأة ليلاً فهي تقريبًا امرأة عاملة، وليست ربة منزل محفوظة مثلي.

وفي صباح اليوم التالي، وأنا في بيت أمي نهضت في منتهى النشاط، وتناولت الفطور مع أمي وأطفالي، ثم قلت لها:

أمي سأذهب اليوم إلى شقتي لأن زوجي يريدني أن أحضر له طعامًا يكفيه مدة غيابنا.

وكانت أمي الطيبة تدرك أنها فرصة جميلة للقائنا على انفراد بعيدًا عن صخب وشقاوة أطفالنا.

فرحبت أمي بذهابي وقالت لي: لا تقلقي على الأطفال، وخذي وقتك مع زوجك يا حبيبتي.

ابتسمت لأمي وأدركت أنني أحكمت العملية؛ لأن أمي مطمئنة إلى أنني مع زوجي، ولن تتصل بي خشية ألا تزعجنا.

وسوف تنتظر أن أكلمها أنا، ولم أقلق من اتصالها بزوجي، فالعلاقة بينهما كانت متحفظة جافة كلها مجاملات.

في الصباح تركت دار أمي متوجهة إلى عش زوجي السري داعية الله أن يختمها بخير، وألا نتلف الخطة، أو يكتشف أمري، وينتهي الموقف بطلاقي المؤكد منه.

توجهت رأسًا للعمارة، ودخلت في مدخلها الواسع وجدرانها مليئة بالإعلانات الملونة للشركات فيها.

هكذا يا حبيبي تختبئ بين الإعلانات الملونة تمارس عشقًا لم أذقه منك أبدًا، تتوارى بين طيّات تلك العمارة لتمارس انتهاك حقوقي فيك.

دخلت المصعد، ضغطت بكل ثقة على الدور الخامس وكأنني متوجهة لمصفف الشعر،

نزلت دورًا، وجدت أربعة أبواب؛ شركتين وبابًا حديثًا لشقة سكنية، وبابًا قديمًا لشقة أخرى شبه مهجورة.

أخرجت مفتاحي وأنا متأكدة أن باب زوجي هو الباب الجديد،

توجهت للباب، وأخرجت مفتاحي، وقبل أن أدخله في ثقب الباب انفتح الباب نفسه؛

لأرى نفسي وجهًا لوجه مع امرأة شابة جميلة تلبس العوينات(نظارة طبية) نظرت ليدي بتركيز وفهم مباشر؛

لتجدني قابضة بأصابعي على المفتاح،

نظرت لي نظرة طويلة فيها تساؤل واتهام صامت،

نظرت لها، وأنا لا أجد سوى الصمت والارتباك الشديد.

يعني إيه ده؟

قالت المرأة، وهي تشير للمفتاح في يدي الغارقة في العرق.

مددت يدي إليها بالمفتاح عازمة أن ألقي في وجهها قنبلة.

أنا نهلة زوجة الرجل الذي تقابلينه هنا يا فاجرة.

نظرت لي المرأة بذهول، وقبل أن تتكلم،

دفعتها بكلتا يدي إلى الداخل عازمة على ارتكاب أولى جرائمي.

فسرّي انكشف، ومخططي فشل بسبب وجود هذه المرأة في الشقة ومن الواضح أنها كانت تبيت ليلتها فيها.

كانت تبيت مع زوجي الذي أحبه وأفضله على كل رجال الأرض.

زوجي الذي لم يحبني قط، ولم يفضاني أبدًا، زوجي الذي احترف المجاملة بسبب رفضه التام لي.

زوجي الذي أعشق كل رقعة في جسده، زوجي الذي بعثر كرامتي وأنوثتي على عتبة رجولته بلا ثمن.

تراجعت المرأة للخلف، وهي لا تعرف ماذا تقول،

أغلقت الباب خلفي، وتذكرت بعنف مشهد دخول أم المنصور على ضرتها الملكة شجر الدر عازمة على إغراقها وطعنها وحرقها، وأنتم تعرفون معني القهر والغيرة المتمركزة في أمعائي

أمجنونة انتي؟؟ ماذا تريدين؟ هكذا صرخت المرأة في وجهي.

أنا الجنون بعينه يا ساقطة؟ ماذا تفعلين في شقة زوجي؟ هل تركك ونزل لعمله وعاملك كما يعامل زوجته يا كلبة؟

زوجك؟؟ أنا لا أفهم شيئًا

بل تفهمين جيدًا يا إنتاج الشوارع والله لأفضحنك، وأصرخ بأنك ساقطة تعاشر زوجي.

اخرسي.

هكذا صرخت المرأة بعنف، وقد تحول وجهها للون الأسود.

وأمسكت بفازة صغيرة، وقذفتها على وجهي مباشرة لترتطم الفازة بجبيني، تألمت وذهلت من رد فعلها، المفروض أنها متهمة وخائفة، فما بال هذه المرأة قوية أمامي هكذا؟

صرخت ورميت بنفسي عليها لأنشب أظافري في رقبتها وصدرها لقد فررت مع غضبي وألمي أن أمزقها إربًا.

التحمنا بعنف في ردهة الشقة.

بت أتقاتل معها، وأنا أنعتها بأقبح الألفاظ، وهي قوية ورياضية تبادلني الضرب بدون تعليق، بل وتعرف تلك اللعينة كيف تتفادى ضرباتي الغاضبة.

أرهقت من طول العراك، وارتمينا على الأرض نلهث.

نظرت لي المرأة في غلّ وقالت.

- من أنتِ وماذا تريدين؟

- أنا زوجة هشام عشيقك يا مجرمة، أنا زوجته وأم أطفاله، يا حثالة النساء يا مرحاض الرجال.

- هشام؟؟؟؟ من هشام؟؟ أنا لا أعرف عن من تتحدثين.

قلت لك أنني زوجة هشام مهندس الديكور ...عشيقك.

قلت لك التزمي الأدب، فأنا لست ساقطة، ولا أعرف أحدًا يدعى هشام.

ارتبكت وأحسست أنني دلفت ممرًّا خاطئًا.

- أليست هذه شقة المهندس هشام؟؟

- هشام؟؟ لا طبعًا هي شقتي أنا، وولكن من هشام؟؟ هل تقصدين ذلك الرجل الأنيق في الشقة المجاورة؟

شقة مجاورة ؟

هل تقصد ذلك الباب القديم هل أخطأت للدرجة وتسببت في إيذاء المرأة الخطأ؟

نظرت للأرض وغرقت في عرق الخجل لا أعرف بماذا أرد

ثم طرأت لي فكرة

لما لا تكون هذه المرأة مخادعة؟ قمت من فوري وتوجهت إلى الباب، وأخرجت المفتاح، وحاولت فتح الباب ولكن .....بلا استجابة.

نعم إنا أخطأت، وانخرطت في بكاء حار، وأنا في منتهى الخجل، وأنا أردد أنا آسفة اعذريني.

توجهت لي المرأة ووضعت يدها بحنان على كتفي قائلة.

- حصل خير انهضي لتغتسلي، وأغتسل أنا أيضًا يا إلهي جبهتك متورمة بسببي أنا آسفة لك أيضًا.

بعد حوالي ساعة كنا أصدقاء حكيت لها بالتفصيل حكايتي ووضعي مع زوجي وأنني كنت عازمة على التجسس عليهم لأعرف ماذا يحب فيها،

تعاطفت معي المرأة جدًّا وبدت لي أنها على موقف ، ساس من الرجال إذ أنها هي أيضًا محطمة وخارجة من علاقة فاشلة.

قالت لي: ولماذا لا تثيرين فضيحة وتعاقبي زوجك؟

قلت لها أنا أحبه ولا أعرف رجلاً غيره فقط أريد أن أعرف لماذا؟

قالت لي أنها شاهدت زوجي بالفعل يدخل أو يخرج من شقته، وكان بادي الاحترام والوقار، وأنها فعلاً تراه جذابًا مهذبًا جديرًا بالاقتناء.

وتعاطفت أكثر معي ونهضت معي، ودعتني لأن أجرب أولا المفتاح في باب شقته لأطمئن.

خرجنا أنا وهي، وتوجهنا لباب الشقة القديم، وأدخلت المفتاح وحركته، وعرفت أنه الباب الصحيح.

غمزت لي بعينها، وقالت: لسوف أترك لك باب المطبخ مفتوحًا لكي تتسللي لي بسهولة من خلال باب مطبخه هو.

وحذرتني -وهي في قمة الإثارة- وقالت لي سوف تنتظرني وتؤمن لي خروجًا آمنًا من شقتها هي.

شكرتها من كل قلبي على تعاطفها، وشفقتها على حالي.

وتوجهت للباب القديم، وأدرت المفتاح، ودخلت إلى شقة زوجي السرية، وأنا لا أعرف مصيري في الساعات القليلة القادمة.

تفحصت الشقة فوجدتها قديمة الأثاث، شبه مهجورة، وإن كان غرفة النوم والحمام آية في النظافة، لكن باقي الشقة ما زال مهملاً مهجورًا، دخلت للمطبخ بسرعة، وبعد عدة محاولات نجحت في فتح باب المطبخ لأرى صديقتي في المطبخ المقابل توارب بابها أيضًا.

رجعت إلى الشقة وبحثت عن مكان آمن أراقب فيه ما يحدث بسهولة دون انكشاف أمري.

ووجدت مرادي في شرفة مهجورة صغيرة يترفع بابها طويلاً رفيعًا تقع بين الحمام وغرفة نومه، مهجورة تقع بزاوية الركن المواجه للفراش ويحجبها مشجب عتيق الطراز محمل بمختلف الملابس المهملة وتمثل برجًا ممتازًا للمراقبة، ولو فتحت بابها قليلاً لن يُلاحَظ وسأقبع بينها وبين المشجب مستترة بين طيات ملابسه وبين باب الشرفة الموارب.

جهزت لنفسي المكان، وانتظرت حلول العصر حيث يعود زوجي من عمله المعتاد.

بعيون رأسي مذعورة وجبهة متورمة أقبع القرفصاء، وضامّة ساقيَّ إلى صدري قدر استطاعتي مع وزني الزائد قليلاً وحدي في الظلام أراقب ما يفعله زوجي مع امرأة أخرى.

ترى ماذا سيحدث في الساعات القليلة القادمة؟؟

تزوجت من هشام قبل سبع سنوات تقريبًا، ورزقنا بأول مولود بعد تسعة أشهر بالتمام والكمال، واستقبله زوجي العزيز بابتسامة نادرًا ما كنت أراها على ثغره المضموم دومًا في وجهي، وجاء طفلنا سليمًا جميلاً يشبهه كثيرًا، ويحمل تقاسيم وجهه الصبوح العابس، وقد زاد عليه زرقة صافية في مقلتيه الواسعتين ليحمل ابني لمحة شمالية عالية الجودة

.

وبالرغم من غياب هشام عن حياتنا اليومية إلا إنني وجدت العلاقة قوية بين هشام وزياد ابني وبالرغم من انشغال أبيه الدائم عنه، وكنت دائمًا ما ألمح -على استحياء- أن ابنه يسأل عنه باستمرار، ويفتقد وجوده.

وكان يردّ دومًا ردًّا واحدًا لا يغيره.

يقولها وهو شارد، وهو ينظر له شاردًا.

- أحسن أنه يتربى بعيدًا عني، مش عاوزه شبهي.

بعيد عنك؟؟ ألهذه الدرجة كرهت حتى بقائي معك لفترة إضافية تمارس فيها حقك في تربية ابنك، كيلا تجالسني؟؟ حسنًا حبيبي أعرف أنك لا تكترث بي وأنني كائن ممل لا ضرورة له في حياتك، ومفروض عليك بحكم جرة قلمك، على وثيقة زواجك، ومع الوقت والليالي الباردة بدونك تحولت في نظري إلى إله غاضب يستحث عبيده على

التقـرب إلى محرابه دون أن يظهر عليهم حتـى ولو بمعجزة، يا لك من إله ظالم! يا من أحببت وعشقت حتى الثمالة.

وبالطبـع كنـت ألاحظ وأصمـت أو أغير الموضـوع، أو أذهب إلى حال سبيلي، وقد وضعت ذيلي الخجول المرتعش بين فخذاي متوارية عن منطقة إشعاعه.

أنا أحبه ..... وكفى

لا تتهموني بالرخص أو الجبن أو أي شيء آخر.

فـلا حيلة لدي في أن أعشـق رجلاً يغرق تمامًا فـي الإثارة والرقي، فهـو لائـق متى ظهر، حتى وهـو صاحٍ لتوه من نوم عميـق، وتكون هذه اللحظـة عندي أطيب أوقاتي وأنا أقضيها بجانبه، وقد تهدلت خصلات شـعره الأسـود، وضجت عيونه الصافيـة بنظرة اعتراض بأنـه كان يريد القليـل مـن الوقت الإضافـي في النعـاس، حتى ابتسـامته كانت تحمل عبق ماء الكولونيا، إذ تجعل الحياة أيسر كثيرًا مما هو معتاد، رجل خلق لتعتمـره المرأة قبعة دائمة على رأسـها، أذكر جيدًا أنه كان حين ينسـى، ويلقي بتحية دافئة، أو يقبلني قبل خروجه، كنت أغطس بشـكل مفاجئ فـي حمام طموحي بأنه سـوف يحبني ويعتاد على وجـودي في حياته، ولكن السـنين أثبتت أوهامي، وبحكم طول العشـرة عرفت للأسف أنه عندمـا يداعبنـي أو يغازلني فقط؛ لأنه في المود، وأنه سـوف يمازح أي شخص في هذا التوقيت حتى لو كان البواب.

وجاءت رَغد - ابنتي الصغرى- بعد زياد بحوالي خمس سَنوات أو أكثر، جاءت نتيجة توصية من الغالية أمي بأنني لا بد أن أؤاخي العزيز زياد بشقيق أو شقيقة، وعندما صارحتها بأنني أعرف موقف هشام،

قالت: كل الرجالة كدة يرفضوا وبعدين يقبلوا بالأمر الواقع.

ونفذت الخطة بحذافيرها،

امتنعت عن حبوب منع الحمل سرًّا، وكان حين يسألني ويؤكد في سؤاله اهز رأسي بخجل أن ... نعم.

وحملت في ابنتي رغد وعرف هشام بمجرد النظر إلى وجهي أنني دبرت كل هذا.

ولكم أن تتخيلوا

لقد صمتَ، لم يعلّق، لم يندهش، لم، لم، لم.

فقط الصمت، والنظرة المحايدة، والتي أدرك معناها العميق في الأعماق بأنني أضع حبلاً إضافيًّا ليكبله أكثر، ويلصقه بي رغمًا عنه، لابد أنه الآن يكرهني قبل سابق، ويعتبرني سجانًا قبيح الوجه، مضطر أن يراه يوميًّا، وهو يضع له الطعام والشراب.

يا ربي القدير، أدرك عذابي وقهري حيال هذا الرجل.

وبعد أن أتمت رغد عامها الأول، وتحولت لعروس صغيرة تنعش القلب وبفضل عنايتي الفائقة بها، اندحر هشام قليلاً وتراجع جزئيًّا، وتقبل البنت بعد طول نفور ملحوظ منذ أن ولدت، وأصبح يسأل عنها في التليفون كما يسأل عن زياد ويستجيب لها فورًا، يناغيها بالساعات

ويلاعبهـا بعنف مسـتور، والبنت تنظر له في تركيـز عميق طوال الوقت وكأنهـا اكتشـفته فجأة، وتسـاءلت أيـن كان يختبـئ هذا الكائـن الرائع المسمى ب (بابا)

واسـتمرت الحياة كأنها رائعة، والمصيبة إنك مع هشـام تشعر بأنك محبوس داخل كارت معايدة كل شيء عالي الدقة مجمد بحكم اللقطة أو الكادر.

صحة وجمال وثراء وأناقة

كارت معايدة مبالغ في تصميمه حيث تظهر أسـناننا لامعة وجلودنا مصقولـة بالكريمات، وطعامنا أورجانيك عالي الجودة، الرجل وسـيم كالإغريق، والمرأة مكتنزة مبشرة بخصوبة دائمة، بينما تنظر رغد لأبيها في ابتسـامة طفوليـة رائعة، ويتبدى الـذكاء العميق في عيـون ابني زياد كالإعلان عن مدينة سكنية في كوكب الزهرة.

وحلمت يومًا بأننا نمسـك في بعضنا بذعر أنا وهشـام والأبناء، وقد تقاذفـت الأمـواج بطوف مفـكك، كنا علـى متنـه، وبينما يعلـو الموج كالجبال، أمسـك هشـام بحبل وربطني أنا وطفلاي، وقفز للبحر وسط هديـر الماء، وصراخنـا المذعور تركنـا غوصًا في بحـر عنيف متلاطم الأمواج.

وفزعت من نومي أبسـمل وأحوقل وأستعيد من ذاكرتي كل الأدعية الخاصة بهذا الموقف.

ويمر الوقت، وأنا أشعر بهاتف يصرخ في أذني بشيء لا أعرف له معنى، شيءٌ يقول أنه لا فائدة من العشرة، ولا نجاة من ضياع مؤكد.

وصارحت أمي بأنني اشعر أن هناك من ينادي عليّ ويلق كلامًا متسارعًا لا أفهمه.

فتمنمت أمي بالآيات الحافظات، وأوصتني بتشغيل الرقية الشرعية في منزلنا لحرق أي معاكسات أو شياطين تقطن بالبيت.

وبالفعل واظبت على تشغيل آيات الرقية الشرعية، والتي يتردد في بعض منها آية معينة من القرآن كل فترة.

وكنت أداوم على تشغيلها بصوت خفيض طوال الوقت إلى أن حدثت كارثة.

كان هشـام يحتفظ بغرفة مكتبه في نهاية الشـقة، غرفة مربعة واسـعة ملحق بها غرفة صغيرة جدًّا كانت تستعمل كخزانة ثياب، ثم قلبها هشام بفنـه إلى مكتبة رائعة التصميم، وقد تراصت بها كتب هشـام النادرة في حيـن تحولـت الغرفة نفسـها إلـى غرفة جلـوس تنقصها المدفـأة لكي تتحـول إلى غرفة معيشـة من التـي نراها على المفـارش المطرزة حيث المقاعـد الوثيـرة المهيـأة تمامًـا للقـراءة والتفكير والمجالسـة الفكرية العميقـة لضيوفه، إضافة لبعض اللوحات الزيتية شـاذة المواضيع، منها لوحـة لا أحبهـا أبدًا، وترمـز لرجل عملاق يلتهم جسـدًا صغيرًا لطفل، أو لامرأة، وسـألته عنها فقال: إنها لوحة مشـهورة لرسام اسمه جويا أو خويـا، وقـال لي: إنهـا تمثل كوكب عطـارد وهو يأكل ولـده، يا لها من بشـاعة، وليسـت فنًّا، فالفن في نظري هو الجمال والأطفال المبتسمة، والشـواطئ الذاخـرة بالقوارب والنورس، أما هـذه اللوحة فهي جريمة وعصيان أو ما شابه.

آه نسـيت أن أتكلم عن أصدقاء زوجي العزيز وعلاقتي بهم هي (أن أبتسـم في كياسـة مرحّبة بهـم دون مجالسـتهم ولو قليـلاً)، فزوجي لا يرتاح لهذا الاختلاط، وكنت أحزن في بادئ الأمر، وأعتبر أن زوجي لا يتشرف بي أمام أصدقائه إلى أن حمدت الله بعمق على عدم مخالطتهم، تبًّا لهم جميعًا.

هذا الأنيق المتحذلق هو السيد أمجد مراد (مدرب التنمية البشرية)، المحاضر الشهير يرتدي الكلاسيك في أناقة وخفة، وقد وضع أيقونة على عروة الجاكت وتبدى، وكأنه الرجولة المكتبية الشـ ـرة حيث خلع الجاكت، وتظهر حمالات السروال الأنيقة متقاطعة على ظهر قميصه الأبيض، له شعر ناعم مائل للبني متخصل بأناقة على وجه مستطيل، وحاجبان مقرونان بقسوة وتداخل، ولحية وشارب نصف نامية كالذي يسمونه في فنون الاستايل- ديرتي - مدرب التنمية البشرية التي تتزاحم أعماله على اليوتيوب وتحتها عناوين مثل كيف تكون سعيدًا؟؟ والبرمجة الحسية للمشاعر؟؟ قوتك في أفكارك إلى كل ذلك الهراء الذي لا أعرف من أين اخترعوه هؤلاء الناس والذين يتخيلون دومًا أن الناس عبارة عن نسخ مكررة من الفعل ورد الفعل .. وأنا لا أطيق التنمية البشرية أساسًا.

وهذه هي السيدة سلوى في العقد الخامس أو أقل، أنيقة لدرجة أنها تأتي لزيارة زوجي وقد غرست ريشة سوداء على قبعتها الأنيقة مكتنزة القوام عالية الأرداف بأناقة الهوانم -وكأنها الممثلة ميمي شكيب في فيلم أين عمري- حيث السيجارة الرفيعة لا تفارق الـ...، ولا تفارقها شفتاها المرسومة بعناية، وصدر عامر بارز، يطل على الجميع بتمعن وكبرياء، بل ويشارك في النقاش بمنتهى الحماس، يكاد عطرها يخطف شهيقك من فرط فخامته، وأجدني عاجزة عن وصف ملامحها بسبب تزاحم إكسسواراتها مع ألماسها وماكياجها الكامل في فستانها الأسود المنشرح الصدر بمنتهى الحساسية وحب الذات، فأنا أحسب أن لهذ،

المرأة ثديين نبت لهما جسد، أو ردفين تطورًا ليصبحا جسمًا، وأرى عينيها من خلال رموش صناعية منتظمة، عينين عبارة عن دبوسين دقيقين شديدي السمية، مع كلمات فرنسية بطعم الشامبانيا، فالمرأة غانية بطبعها ومظهرها يوشي بأشياء مشينة قديمة لا زالت حية في داخلها.

وهذا هو الحاج رضا يعمل نجارًا، ويأتي لأمسية زوجي المخصصة لضيوفه في كامل أناقته المكونة من الشيرز الرمادي، والقميص الأبيض والسروال القماشي عالي الوسط مضافًا إليها لكنة وتعابير شعبية لا تخطئها الأذن.

وليست اللكنة فقط هي ما يعرفه، بل المظهر المورفولوجي العام، فالرجل يميل للقصر يستدير كرشه فوق عنق السروال القماشي بمنتهى الدقة، مدملج الأطراف، رأس ضخمة، يميل للصلع؛ حليق الوجه مستديره.

تكاد بالونات الكلام تخرج من فمه كالرسوم المتحركة تتكلم عن الكثير من مواضيع الزواج وحال السوق والشقي والذكاء المرتبط بأبناء الطبقة الشعبية التي توصل الشخصية المصرية كما نعرفها نحن مع ميل واضح للثقافة الدينية وأحلام تمت للسعادة، وتنظيف المجتمع من الفساد، وبأن الحكم الإسلامي هو الأمثل لحياة رغيدة عالية الجودة.

***

، أخيرًا أعرفكم إلى الشيخ ياسين عبدالله عظيم الوجه متورده،
ي التدين والوقار والصحة بوجه أبيض يشوبه ذلك الاحمرار الريفي
الذي يعرف به كل ما يأتي من الأقاليم المتاخمة، ليتلقى أو يلقي بعض
م الدين، وتمتزج آثار المدينة في عنفوانه الريفي، تتخلل كلماته
الفاظ ريفية لا تأتي إلا من فلاح قارح، مشوب بإيحاءات الفلاحين
ا فيها من حكمة وأمثال شعبية قارصة للأذن، ولا زلت أذكر عندما
ل عليه زياد ابني ليأخذه من يده، ويقبل فمه بخفة، ويلقي على الولد
المهول بعض الرقى والآيات، ولا أعرف لماذا لم ألمس تلك البركة
المعروفة عن رجال الدين، بل شعرت أنه مشهد تمثيلي مفبرك، كما
ى في برامج التوك شو حاليًا يأتينا بالعباءة، وقد غلفت بذلته النالية
لا أعرف أيضًا ماذا يعمل وإن كنت أشعر بأنه عالم في الأمور الفقهية
ما شابه، وأيضًا تحتشد له بعض الفيديوهات على يوتيوب تحت اسم
ن الزوج - الجنس والشريعة - زواج القاصر - زواج المتعة والمسيار
قضية زواج الأطفال - وإرضاع الكبير، والاسم الأعظم، القرين، وما
لى ذلك من هذه الآراء الواردة من الشرق القَبلي المتعصب، حيث
المفاهيم الشيعية نفسها، وتعجبت من وجوده في جلسة واحدة مع
شخصية مثل الست سلوى ذات الصدر الكهربي الرعاش.

وكنت أقاطع جلستهم بدخولي مع الخادمة عليهم، وقد دفعت
العربة الأنيقة ذات العجل محمل عليها كل ما لذ وطاب من المشروبات
مصحوبة بكعكة أنيقة وارد ذلك الحلواني الفرنسي الشهير، وبخطوات
مدروسة سابقًا - كأني خادمة سوبر لوكس - أقوم بالتقديم والتوزيع

بـدون أدنى ارتجـال، فعلاقتى محددة بهم لدرجـة الهوس، فأنا أمارس واجب الضيافة كسيدة الدار المرحبة، وأجلس لدقائق أشـعر فيها أنني قاطعت مناقشة حامية بين الضيوف وزوجي.

فكنت أنسحب وفق تدريب أتقنته تمامًا.

وهـذا لأنـني أنا من قـرر مقاطعتهـم تمامًـا، ومقاطعه آرائهـم ال .. أستغفر الله العظيم؛ ولهذا الموقف سبب قوي سأقوله لكم، واحكموا أنتم ربما أكون مخطئة..

***

- يا أمجد إنت بتتكلم في تجديف علني

هكذا صاح زوجي في مدرب التنمية البشرية ليرد عليه الأخير:

- إنت اللي رجعي وعايش في وهم اسمه الدين يا هشام.

نظرت لزوجي بارتياع، وقد عرفت أنه سيقتله حتمًا، ولكنه استجاب ببساطة مناولاً له سيجارة قائلاً:

- إنت أوفر أوي يا أمجد مش معقول نظرياتك الإلحادية دي؟؟ ثم ينظر للشيخ ياسين ضاحكًا.

- يا شيخ أنا مش عارف الجماعة الملاحدة دول لازم يكونوا سبابين للدين وقلالات الأدب وبس.

يتنحنـح الشـيخ ياسـين قائـلاً، ويخـرج الكلام مجـودًا فـي جملته الأولى.

إحممـم، مـن يفقده الشـيطان صوابـه لا تطلب منه التركيـز في دين أو رب، أسـتغفر الله العظيم من كل ذنـب عظيم، صاحبنا خلاص مخه إتلحس – ثم يتبع الجملة بضحكة استمتاع.

فيجيب أمجد الشيخ ياسين محتقنًا:

– على الأقل أنا واضح يا شيخ المحروقات إنت .. إنت فاكر نفسك الشـعراوي؟؟ إنت بياع للي يدفع ويطبطب على كتفك قبل ما يبوسـها، شغل الدجل بتاعك ده مش عليا، خليك في إرضاع المسيار، ومضاجعة الجن للنسوان.

فأسمع رضا ذا الكرش يكمل ما قاله الشيخ:

– دي ناس عايزة تريح من أي مسـئولية زيهـم زي لا مؤاخذة الهيبز بتوع السـبعينيات لا مؤاخذة يعني جنس ومخدرات وحياة شبه الأجازة الطويلـة مـن كل حاجة وأولهـا الدين والصـلاة والالتزام، فقط عشـان يمارسـوا لا مؤخذة الجنس من غير ما يفركوا لا في طهارة، ولا صلاة، ولا حساب، ولا عقاب.

يدير أمجد عينه لرضا، ويتكلم بتعالٍ واضح:

– خليـك إنت فـي يمين الطلاق، وجهاز البنت وطهارتها يا أسـطى رضا الهيبز دول فوضويون، لكن الملحدين عقلانيين بياخدو بأسـباب المنطق والتطور، مش فاكرينها محكومة بدكتاتور.

ليرد رضا بثبات انفعالي عجيب:

- على الأقل الواحد يبقى عمل حاجة كويسة يا سيدي، ومتعتبرهاش سنة الحياة، اعتبرها فعل خير بنقضي فيه العمر، ونكمل رسالتنا في الحياة، ثم إنك أصلاً مش عارف تشيل الديكتاتور اللي قاعد على قلبنا بقاله ييجي أكتر من 28 سنة، تقوم تتشطر وتعلن غضبك على ربنا، وتقول عليه ديكتاتور، إيه الضعف ده؟

يقلب شفتيه بامتعاض وابتسامة تفوق،

ينظر له أمجد متمعنًا لبرهة قبل أن يقول:

رسالتك في الحياة؟ باعتبار أن كل واحد بيعمل زيك هيكون له تمثال في جنة الفردوس.. مش كدة؟ هيقابل ربنا ويستنى البقشيش على الطاعة بدخول الجنينة اللي فيها ما لذ وطاب من السكس واللبن والخمر والاتكاء على أرائك عشان يدخنو شيشة تفاح، ويلعبو في مناخيرهم باسترخاء.

تتعالى ضحكات الشيخ ياسين غير مبالٍ بالفجور الذي يقوله أمجد.

- يا سيدي أهو على الأقل بنذكر الله، وبنتكلم كلام كله فيه: الله، وربك بقى علام بالضمائر.

وكمان إحنا أذكى من إننا نلحد، وبنعمل اللي نعوزه وقت اللزوم بس عارفين إن ربنا غفور رحيم بردو وبيقدر ضعفنا البشري، لكن مافيش خالص ده يبقى هراء ما بعده هراء.

ينظر له أمجد بسخرية مريرة.

أيوة أيوة، اسم اللـه مع زواج القصر، وإرضاع الكبير، والمسيار
، المتعـة، ومش عـارف إيـه بتـاع نـكاح الدبـر والبـلاوي دي، وكله
اسم الله، وكأن الله ده مستنيك إنت تنظم للناس طريقة استخدامهم
لأعضائهم التناسلية... إيه المنطق ده؟؟ إنت دجال برخصة دينية يا
م الحـاج، وأراهنك إنك قبل ما تخرج الجن من جسم واحدة لازم
...سس عليها من راسها لصوابع رجلها، وترجع تقول: أصل أنا إنسان
ا طبع الحيوانات، وربنـا بيقدر ضعفـي، على أسـاس إن ربنا بيحب
مرج على أخطاء البشر باستمتاع وسادية وآخر الليل بيغفر على أد ما
سط من أفعالك.

تنظر له السيدة سلوى برموشها وألماسها ولكنتها الفرنسية المشبعة
الإغ.

أيـوووف - كيـل تراجيدي - كل شـوية دين.. كل شـوية مواعظ
ربنا هيولع فيكم ربنا هينتقم منكم- عذاب الكبر - تنطقها بالكاف
كأن الحيـاة مافيهاش إلا سـجادة الصلاة طول الوقت عذاب وعقاب
، هجـوم- ايـووووف- يعنـي مامـا زمانها بتتشـوى في فـرن الجحيم
مشان كان ليها علاقة بعمى اللي هو أخو جوزها.. معقول..؟

تزفرها بالفرنسية طبعًا.

ينظر لها رضا مبهوتًا.

عمك كان له لمؤاخذة علاقة بالست والدتك؟؟

ترد سلوى بتلقائية وبراءة:

- (وي Oui) بالفرنسية (آنكل حامد كانmaman goujon) عشيق لماما وكان بيحبنا أوي، أنا فاكرة إنه هو اللي شجعني على أول علاقة INTIME حميمة في حياتي، وكلنا كنت هنموت من الحزن عليه كلنا، حتى بابا.

- بابا؟؟

طبعًا... مش أخوه؟؟ لازم يحزن ويموت عليه كمان.

يرد أمجد بغمزة من عينه:

طبعًا أمك كانت طول الوقت تقول: فينك يا حامد يابو قلب جامد؟

انفجروا ضاحكين بشكل أنيق شيطاني.

ثم تنظر سلوى للشيخ ياسين بنظرة دلال وتسأله بطريقة لولبية منزلقة لها ملمس الأفاعي.

- قوللي يا شيخ ياسين هو ايه اللي شجاع وأقرع ده؟ وبيعمل إيه لما بييجي في الأغافة (تقصد الأرافة طبعًا).

ينظر لها ياسين نظرات متقطعة، وقد زاد وجهه احمرارًا.

- دي وسيلة من وسائل ربنا في عذاب القبر

ترد سلوى، وقد كتمت ضحكتها، وتصنعت اهتمامًا

- يا حرام بيعذبوه إزاى؟؟

- ده تعبان أقرع وتخين، وراسه قد راس العجل الجاموس، يخرج على الميت ويسحبه معاه لسابع أرض بعد ما يطحن ضلوعه، ويكسر جمجمته.

ترد سلوى وقد علاها الاهتمام المزيف أكثر.

وقالت بمنتهى الدلال:

- طيب والتخين الأقرع ده لو لقاها ميتة مش ميت، هيعمل إيه يا شيخ ياسين؟؟

ينظر لها ياسين بوجه متورد من الارتباك والخجل، بينما ينفجر الحاضرون بالضحك المتواصل، وقد وصلهم المعني الفاحش كاملاً.

ليرد أمجد بانفلات وسخرية:

هعهعهعه على كدة بقى ربنا ده سادي جدًّا باعتلهم -فرج- بتاعه في القبر عشان يكيفهم في التعذيب، ويعملهم بروفة على حساب الآخرة.

ينظر له رضا بتركيز قائلاً:

الجملة الأخيرة من كلامك، صح نقدر نقول أن عذاب القبر عبارة عن بروفة لحساب الآخرة.

لترد سلوى بنفس الانزلاق الرافض.

- يعني بروفة ثرى دي على جسم الميتين؟؟

يضحك الجميع بما فيهم الشيخ ياسين نفسه، ورضا، حتى زوجي ابتسم في حبور وهو وأمجد الكافر اللعين.

تحين من زوجي هشام التفاتة ليراني أنظر بذهول لهم، وتتلاقى نظرتي مع نظرته ليرسل لي إشعاعًا خفيًّا بأن أنصرف فورًا.

أقوم مرتبكة قليلاً وأعتذر عن المواصلة بحجة أن ابنتي رغد قد تصحو حالاً.

لم أرتح أبدًا للمناقشات خصوصًا ما يمس الجانب الديني منها، أما الجانب الجنسي، فلم يزعجني باعتباره صادرًا من مكانه الطبيعي من ثدي السيدة المتصابية.

وعندما انفردت بزوجي، وصارحته، نظر بعمق لعيني قائلاً:

-أنا مقدرش أعترض على كلام حد؛ لأن كل واحد حر تمامًا في اعتقاده، ودول ضيوفي لازم تكوني مرنة أكتر من كدة إحنا مش هنستضيف الناس عشان نعلمهم الأدب.

لكن يا حبيبي دول بيتكلمو عادي كدة في الحاجات اللي مينفعش نتكلم فيها شفت صاحبك، بيقول إيه:

أستغفر الله العظيم بيقول أن ما فيش ربنا.

-أصله ملحد، ودد رأيه هو حرّ فيه.

وشفت لما هاجم الشيخ ياسين المحترم بردو ياسين مز علش خالص، إزاى ده؟

-كلنا فاهمين بعض، ومافيش داعي أبدًا لأي عداء؛ لأننا كلنا على نفس المبدأ، ثم ضم شفتيه فجأة، وكأنه باح بسر لا يجوز له أن يتكلم بصدده.

مبدأ؟؟

مش فاهمة مبدأ ايه؟؟

غير أن هشام زوجي نقل محتوى الكلام لصدره فورًا وأدار الدفة بدبلوماسية معلنًا أنه لن يتكلم فيما يخص أصدقاءه بعد اليوم، ومن الأصلح أن لا أعلق مرة أخرى، عليهم فهم أصدقاؤه هو فقط.

جهاز اللاب توب العتيق خاصتي موصل بسماعات خارجية، ,الرقية الشرعية دائرة بشكل متواصل منخفضة الصوت تهمس بآيات ,مارد الشياطين.

يخرج هشام من غرفة مكتبه بعد أن دخلها بربع ساعة.

أراه يقف على بابها يتشمم الغضب، ويبحث عني إلى أن يجدني ,وافقة في المطبخ يضع يديه في وسطه محتدًّا:

- ممكن أعرف إيه اللي إنتي مشغلاه ده؟؟

- ـبيبي دي الرقية الشرعية؟؟

- وبترقي مين بيها يا ست هانم؟

أجبته، وقد تسارعت الدموع لعيني كلما واجهت عصبيته الوشيكة.

- مش برقي حد، ماما قالتلي الرقية الشرعية وسورة البقرة مهمين في البيت.

- ماما...؟؟ طيب روحي بنفسك اقفلي شغل التُّرَب ده، ومش عايز أسمعه طول ما انا هنا فاهمة؟؟

هكذا، زعق زوجي في وجهي بدون سابق إنذار، فأسرعت، وأغلقت الجهاز، وأنا أتمتم بصدق الله العظيم.

***

وانقطعت زيارات أصدقاء زوجي الأسبوعية لأكثر من شهر، وعندما سألته عنهم أجاب ببرطمة تفيد بأنهم متحدون ضده، أو شيء من هذا القبيل.

واسترحت لهذه القطيعة، ودعوت الله في سري أن تدوم .

وازداد هشام انعزالاً وغيابًا.

وكنت أجد على ملابسه شعرًا طويلاً عالقًا.

شعرة سوداء طويلة لا ينتمي لشعرنا المجهد الجرب، ولكنها شعرة متماسكة تدل على حيوية وجمال صاحبتها.

كما كانت تعلق همسات من عطر آخر له صوت هسيس الماء داخل الكهوف لابد أنه عطر فادح الثمن يليق بصاحبة الشعر الطويل.

واشتعل قلبي بالغيرة متصورة كل شيء بمنتهى الإباحية، ولكني كتمت الخبر تمامًا كما تعودت أن افعل.

ثم أصبح يغيب فترات طويلة خارج المنزل، وكلما كنت أسأله ينظر لي نظرة أن ليس من حقي أن أسأله فقد قبلت بهذا الشرط الأساسي مسبقًا.

إلى أن قابلت جدة زميل ابني في المدرسة وكانت سيدة الأري متحركة تنقل الأخبار وتتابع الأحداث بشكل متقن.

وجاء حواري معها بعد انتهاء يوم ابني الدراسي وفي الطريق ألقت في وجهي قنبلة

أنا شفت جوزك كان داخل في عمارة (الجزار) ومعاه واحدة كانت لابسة إسود بس إيه ممثلة أميركانية.

(طول وجسم وشعر ؟؟؟)

نظرت لها وحاولت التماسك، ولم أعلق، وإن كان تصلب عيوني ينفي على يد صغيرى زياد يوشي بما يعتريني الآن من انفعال، فأنا دومًا متماسكة أمام المعارف والجيران، ولا يبدو على حياتي أي شيء يوحي بالتفكك، حتى غياب هشام الدائم أجد له ما يبرره من أنه مشغول بعمله، وأحب جملتي بالدعاء له من صلاح الحال ودوام التوفيق، فهشام بالفعل ناجح ومرموق.

فتابعت العجوز مغتاظة من هدوئي الظاهري:

- لما سألت البواب قاللي أن ده المهندس هشام مستأجر جديد الشقة في الدور الرابع من شهرين.

نظرت لها بابتسامة عريضة مدربة.

- آه... الشقة .....فعلاً أصل هشام ناوي يفتح مكتب مستقل ليه بعيد عن الشركة.

نظرت لي العجوز بسخرية مريرة قائلة:

-آه وعشان كدة جايب خُبرا أجانب.

أريد أن أراك يا حبيبي تمارس العشق كما كنت أتمناه منك.

وليوكتن عرضًا خاصًا لمشاهد واحد فقط هو.

أنا

أقبع وحدي في مشهد رداماتيكي أنتظر لقاء السحاب من زاويتي الصغير أستطيع كشف مستطيل من الصالة القديمة، وكشف جزء لا بأس به من الغرفة، قطرات العرق تحتشد على جبيني معلنة ذلك الإحساس المملّ والمطالب بالتمطي، وقد طالت جلستي.

مددت ساقي، وأخرجت جسمي من زاوية المراقبة ووقفت أتمطى في فراغ الغرفة المرتبة، فالأساس فيها كلاسيكي، وقد نهض رأس الفراش عاليًا مبطنًا بالساتان الأسود، ووقف الدولاب شامخًا فيما تبدو التسريحة كشاهد معي بمرآتها المصقولة، وقد خربت فيها بعض المواضع، فجلعت الرؤية مموهة إلى حد كبير، أتمشى محركة ساقي اللتين تيبستا من فعل الجلسة، وأفتح الدولاب بحذر لأجده فارغًا إلا من بعض الشماعات، وعلق عليها الملابس الخاصة بزوجي، أفتح الباب التالي لأجد بعض الرفوف الفارغة، وكومة من قمصان النوم الحريرية السوداء.

أيضًا سوداء؟؟ لابد أنها تخص تلك الساقطة.

أمد يدي إلى الكومة الملقاة بإهمال وأنتزع صديرية - ستيان- أسود لامع ممزق تمامًا.

ممزق؟؟؟ يعتريني الدهشة، وأمد يدي لأمسك بقميص أسود أرفعه عاليًا لأراه ممزقًا تمزيقًا يدويًا غير منتظم.

وتدور في رأسي الخواطر متصورة أن أزمة ما حلت بينهما فمزق زوجي قمصانها مثلاً أو ماذا؟؟ لا أفهم تقريبًا، واعتراني إحساس بالخوف من تلك المغامرة غير محسوبة العواقب، فكيف سيكون رد فعل زوجي لو اكتشف وجودي؟ كيف سينظر لي؟ هل سيتكلم؟ أم سيصفعني على انتهاكي لأدق خصوصياته الغامضة؟

وفيما كنت أفكر في تلك الموجة العالية من الأفكار، سمعت المفتاح يدور في الباب

.....

تصلبت تمامًا للحظة، ثم استوعبت موقفي وخطورته.

وجريت بسرعة وزحفت مرة أخرى إلى مخبئي السري، وقد تسارعت أنفاسي من ضغط الانفعال لدرجة إنني كتمت أنفي وفمي لأهدأ من سباق شهيقي وزفيري.

أسمع الباب يفتح

صوت خطوات سريعة تتجه الناحية الأخرى من الشقة بينما الباب ما زال مفتوحًا، ثم أسمع صوت الخطوات عائدة إلى الباب، ثم أسمع صوت انغلاق للباب مرة أخرى.

أيكون زوجي؟؟ أم هي نفسها؟؟ صوت الخطوات محايد رشيق يشبه صوت خطوات زوجي، نعم لا بد أنه هو، وقد أتى سريعًا ليأخذ

شيئًا ما، ثم رحل ولا بد أنه عائد مرة أخرى، وبنظرة سريعة للدولاب أدركت أنني تركت باب الشماعات مفتوحًا.

غرقت في ارتباكي لا بد أن أعود فورًا لأغلق هذا الباب.

قمت من فوري واتجهت للدولاب، وأغلقت الباب بدقة، وقبل أن أعود لمخبئي وجدت حقيبة ثقيلة بجوار باب الشقة تستقر في صمت، حقيبة ضخمة تنظر لي كما أنظر لها، الشقة سابحة في الضوء الخفيف، والظلال تملأ المكان بوجود ثقيل، أعود مجددًا إلى مخبئي وقد عرفت تمامًا أن الأمر دخل في الجدية الصارمة وكمحكوم عليه بالإعدام أجلس منتظرة لفترة ليست بالقصيرة.

بست..........بست

اسمع البسبسة الخافتة ولا أعرف مصدرها.

بست .....بست

اها إنها صديقتي في الشقة المجاورة، تقف كبرج للمراقبة لقد نسيتها تمامًا.

أخرج مرة أخرى وأفتح البلكونة.

أجدها تنظر لي بتشجيع وتشير لي من الداخل بأن زوجي يجلس مع بعض الرجال في سيارة أسفل العمارة فهي ترى الشارع من شقتها.

أهز رأسي بأن نعم لتقول لي بالإشارات أن تجلدي ولا تقلقي.

ثم رأيت نظرتها تتغير للذعر، وقد لمحت زوجي يصعد مرة أخرى، وأشارت لي إشارات قوية زادت من توتري، ورجعت لتوي في مخبئي السري لاهثة.

أسمع المفتاح يدور محدثًا، رنين في الشقة الشبه خالية.

صوت خطوات زوجي ومعه صحبة.

أسمعهم يتكلمون بلهجة صعيدية.

- والله يا باش مهندس عشان خاطر عيونك وعشرتنا الطويلة معاهم بس قبلنا.

أسمع زوجي يقول مستوثقًا من قدرته على الإقناع:

- يا سيدي لا هي أول ولا آخر شغلانة.

يدخل مجال رؤيتي كهل أسمر نحيف كأنه هارب من المعابد الفرعونية ذو ملامح صارمة، ووجه أسمر، ولحية شبه نامية، وجلباب أبيض واسع ومعه مراهق بدين أسمر الوجه غليظ متشحم لامع كإبريق الماء.

يحمل في يديه لفة ورقية كبيرة.

وسمعت أصواتًا تدل على وجود رجال آخرين لكني لم أتبين ملامحهم.

من الواضح أنهم عمال من الذين يشتغلون مع زوجي في عمله كمهندس ديكور

أخيـرًا يدخل زوجي إلى غرفة النوم مع ذلك الرجل الصعيدي جارًا تلك الحقيبة الضخمة معه.

يقـف الرجـل الصعيدي قبالتي وقد أعطاني ظهـره - ذلك اللعين - حاجبًا عني أكبر قدر من الرؤية، وقد وصلت لأنفاسـي رائحته التي هي خليط من الدخان والزيوت والتراب فمظهر الرجل لم يكن رثًا لكنه لم يكن ثريًا أيضًا لا تعطيه أكثر من مقاول أنفار، ولكنه كان يتحدث بثبات وثقة مع زوجي.

نعـم كان يتحـدث، ولكـن بصـوت هامس، وقـد اقتـرب منه رأس زوجـي وبـدا وكأنهما يتبـادلان القبـل وليس الهمس من فـرط التصاق الرجـل بزوجي، أسـمع الهمس مشـوهًا خاليًا من التحديـد بين الرجل وبيـن هشـام، ثـم تحرك الرجـل تاركًا هشـام يقـف قبالتي تمامًـا ألمح جسـده الرياضـي المتناسـق، ووجهه الهادئ الوسـيم وقـد علاه بعض التوتـر، بينما الرجل الصعيدي ينخرط في مكالمة بالموبايل مع أحدهم ويستدير هشام ليقف صامتًا يستمع للمكالمة بترقب.

- والله جلتله كل الكلام ده يا عبد الرحمن.

وبيقوللك مرة عندك ومرة عندي.

- يشير له هشام بتشجيع بأن ينهي الموضوع حالاً

- بيقولـك لـو مـش عاوز خـلاص البيـع والشـرا نصيـب - يقولها بالصعيدي الثقيل المتلاحق.

يسمع بعض الجمل، ثم تعتريه ملامح ارتياح وهو يختم المكالمة.

- طيب يا عبد الرحمن عين العقل يا بو خالو.

ثم ينظر لهشام بانتصار ليرفع هشام إبهامه بعلامة الأوكي والرضا ويرفع الحقيبة على الفراش ويفتحها.

نحن أثرياء ولكنه ثراء خالٍ من النقد السائل فحياتنا محوطة بكل وسائل الحياة نفسها، فالفواتير تدفع في البنك، وأنا اشترى احتياجاتي بالفيزا، وأدفع كل مصاريف أسرتي بالفيزا، ولا أحتفظ سوى ببضعة آلاف في المنزل للضرورة القصوى في الصرف، فحياتي كما قلت لكم ديجيتال.

لكن الذي أراه هو الثراء كما في الأفلام القديمة.

رزم تعلوها رزم ثم زرم من ورقات النقد ذات المئتين والمئة كثيرة غزيرة سخية مغرية جديرة بالتصوير، وقد استعدت مشهد بخيت وعديلة وهما يفتحان الحقيبة المجهولة، ولكن أيامهم كانت العشرات والعشرينات أما اليوم فهو فئه المئات لعل المبلغ يزيد عن العشرة ملايين.

لماذا يا حبيبي تعطي الرجل كل هذه الأموال؟؟ هل الموضوع يخص العمل؟؟ لا بد أنه يخص العمل، ولكنه ليس ذلك العمل، بل هو عمل آخر.

يجلس الرجل الصعيدي يحسر المال بلمسات سريعة ويخرج بعض الأوراق النقدية ليفحصها تحت الضوء بعيون كليلة من تدخين

الحشيش وامتصاص الأفيون، ثم يعيد النقود ويغلق الحقيبة بإحكام، بنظر للولد البدين ليدخل الغرفة ويعطي زوجي تلك اللفة الورقية الكبيرة، والتي لا تنبئ أصلاً عن محتواها.

يأخذها منه زوجي ويخرج غاطسًا مرة أخرى في الطرف البعيد من الشقة، ويغيب فيها دقائق بينما الرجل ينتظره على الفراش مدخنًا سيجارة لها عبق مسموم بينما الولد البدين يقف أمام المرآة مستعرضًا جماله النادر، وممسكًا ببعض زجاجات العطر ليرش نفسه بسخاء تحولت الغرفة لسحب من الدخان مع رشات العطر ليصبح الجو كما لو كنا في خندق في الحرب العالمية الثانية وقد اجتمع الوزير مع الغفير اتقاءً للضربات الجوية للعدو.

وأنا أشعر بخوف حيث إنني في غرفة واحدة مع رجال أغراب عني، صحيح أنهم لا يعلمون بوجودي لكن تلك الرهبة لأي امرأة في أنها ترى نفسها في مكان مغلق مع رجال كهولاء الخشنين.

يعود هشام أخيرًا للغرفة، وقد بدا عليه الارتياح ونظر بسخرية للولد البدين وناوله صفعة على وجهه ليبتسم المراهق في حبور، ويقوم الرجل من جلسته ويشير للرجال الواقفين فيأتي رجل منهم، ويحمل الحقيبة ويخرج، بينما يستعد الرجل والمراهق البدين للرحيل مسلمين على زوجي الحبيب بكل ودّ يشي بعلاقة مستمرة وطيدة بينهم.

يرحل الجميع تاركين زوجي وحده معي.

يعـود زوجي بعـد أن أغلق البـاب، وانطرح على الفراش مسترخيًا صامتًـا وواضعًـا قدميـه خارج الفـراش؛ لأنه كان لا يـزال يلبس حذاءه الأنيـق، ألمحه يتمطى ويغمـض عينه قليلاً كعادته طلبًـا لبعض الهدوء والاسترخاء.

آه يا حبيبي أتريد بعضًا من التدليك لظهرك، شعرت برغبة عارمة في الخـروج له لأزيل حذاءه عن قدميه الدافئتيـن، وأفركهما له كما يحبني دائمًا أن أفعل فهو يستجيب لي في لحظات التدليك والمساج ويتركني أتحسسه بكل رضا؛ لأنعم بلمس مناطق جسده شديد الثراء والإثارة.

ولكننـي الآن ألعب دورًا مختلفًا فأنا الجاسـوس وأنـت المنظمة يا حبيبي، ثم يغيب الرجل الرائع في ثبات أو قيلولة وأسمع صوت تنفسه المنتظم يوشي بنومه.

ترلم ترلم ترلم لم لم لم ممم

كان هـذا هو صـوت هاتفي المحمول يرن بمنتهـى البراءة في جيبي معلنًا عن وجودي، وبينما أتحرك بتوتر لأخرسـه مخرجة إياه من جيبي الضيـق أرى زوجي يفتح عيونه ناظرًا للسـقف ومنتبهًـا جزئيًا إلى ذلك الرنيـن، وقبل أن يدير عنقه ناحيتي، وفي الحالـة بين اليقظة والنوم ير . هاتفـه هو أيضًـا في اللحظة التي أغلـق فيها هاتفي بمنتهـى التوتر، ... تدخلـت العنايـة الإلهية ليرن هاتفه موازيًا لرنين هاتفي ويسـتحوذ على اهتمامه وهو يخرجه أيضًا من جيبه.

وبصوت ناعس رائع أسمعه يقول:

آلو أهلاً.

....

لا مش هقدر النهاردة لأني تعبان وعايز أقعد مع الأولاد.

....

صدقيني مش في المود، وعلى فكرة أنا مش زعلان، بس اللي حصل دة لازم يكون له وقفة.

....

عمومًا مش وقته، لأني شبه نائم، ومش قادر أكلم حد، خليها بعدين.

....

أوكي باي

من الواضح أنها مكالمة عادية أرجح أنها من مدام سلوى، وأنها تطلب وده مجددًا أو تحاول الربط من جديد بينه وبين أصدقائه، ومن الواضح أيضًا أنه يكذب عليها ليتهرب منها ذلك اللئيم الرائع.

يعاود زوجي النوم الخفيف مجددًا، وأسرح أنا بأفكاري.

لقد دفع زوجي ملايين لتوه ولا يظهر عليه سوى الاسترخاء، وكأنه أزاح همًّا ثقيلاً ويتهرب من أصدقائه المفضلين، بل ويكذب عليهم أيضًا، وما هي علاقته بهؤلاء الرجال الخطرين؟ وكيف يتأتى له السيطرة عليهم بهذا الشكل؟؟

وتمر الدقائق وتحتشد لتعلن مرور ساعة أو أقل قليلاً أسمع من خلالها رنات هاتفه، ولكنه يجيب بغلق الصوت ويواصل استرخاءه.

ثم يقوم فجأة من فراشه بنشاط وحيوية متدفقة ويخلع حذاءه، ويفك أزرار قميصه، ويحل سرواله يدخل إلى الحمام،، أسمع رشاش الماء الدافئ يغمر جسده المحبوب، ثم يأخذ هاتفه في الرنين المتواصل ليخرج هشام مبللاً عاريًا ليأخذ بالهاتف ويرد أن:

آلو

....

لسة فاكرة تتصلي يا حيوانة

....

لما تيجي هعرفك شغلك يا مومس يا مبولة

ثم يغلق الهاتف

لا أستطيع التصديق، فلهجة زوجي أبعد ما تكون عما أعرفه عنه من الرقي والتحضر، فقد تكلم بطريقة لا أستوعبها خصوصًا، وأنا أراه عاريا مبللا منتفخ العضل.

يلقي زوجي بالهاتف على الفراش باستهانة ويعود مجددًا للحمام يستأنف الاغتسال، وأرتجت علي التفاسير، ولم أعرف هل هو غاضب أم ماذا؟؟ وكيف يعامل تلك المتصلة بذلك الفيض من الإهانات؟؟ استشاط فضولي وأنا آخذ لمحة حماس في مفاصلي للترقب؛ ولأعرف المزيد عن ذلك العشيق المشروع لقلبي وجسدي.

بخرج هشام ملفوفًا في بشكير أزرق، ويفتح الباب الثالث من الدولاب حيث لم أفتش أنا، ويخرج بعض الملابس السوداء ويلقيها على الفراش، ويبتعد عن مجال رؤيتي ممسكًا بحذاء ضخم أسود لامع، ثم أسمع خطواته تخرج من الغرفة، ثم يعود خارج مجال الرؤية لأسمع بعض قليل موسيقى مسمومة تذكرني بالهيفي ميتال أو ما إلى ذلك من تلك الموسيقى الشيطانية التي اكتسحت مصر خلال الثمانينيات، وأسمعه يخرج مرة أخرى غائبًا في الطرف القصيّ من الشقة.

جرس الباب في رنة خجولة أو نصف رنة.

أسمع زوجي يسير في اتجاه الباب ويفتحه.

ثم أسمع صوت انغلاق الباب.

ثم أسمع صفعة تليها صرخة مكتومة.

إنتي فاكرة نفسك واحدة يا بنت الوسخة؟؟

ثم أسمع صفعة أخرى يرتج لها قلبي، وقاومت البكاء أو الصراخ بشدة.

اسمه هسيس التوسل من الزائرة، وقد تلاحقت كلمات مثل آسفة - مش هعمل كدة تاني متداخلة ومختلطة بالذل الكامل لهجوم زوجي.

أسمع جلبة، وكأن زوجي يمسك بتلابيب الزائر بقسوة، ثم يدفعه أمامه إلى غرفة النوم،

ليندفع داخلاً من باب الغرفة شخص مذهل.

تمثـال صنع من معادن غير أرضية يسـبقها عطـر قوي يذكرك بخرير المياه في الكهوف المظلمة.

انتبه جيدًا، وافتح عيونك، فأنت في لقاء مباشـر مع صاروخ فضائي مجهز بعناية وكالة ناسا ذاتها.

فبمجـر د دخولهـا مجـال الرؤيـة لـدي شـهقت معتمدة علـى كفي الملاصق لشفتي في الكتمان

شـعر أسود أسود أسـود يموج بظلٍّ أزرق من فرط سوداه، ووجه له مسـحة الجمال اليهودي النادر حيث البشـرة الغربية الرائقة مع التقسيم الشرقى المثير، عيون سوداء.

كونيـة رائعـة حيث لا انعـكاس غير ذلك السـواد الغني الدسـم مع رمـوش برية تنتشـر بانتظام الأشـواك حول الزهور النـادرة لتحميها من عبث الضواري.

وحاجبـان يتقـززان من أي انتظـام آخر حيث التقـوس الغني الملم بقيمة الأهداب السـاجية وأنف مسـتقيم شامخ له نسـب ملكي ينسجم بتقسـيم الوجه لنصفين قمريين وشـفتين مكتنزتين كالطماطم الطازجة المغريـة بالعض المباشـر هكذا دون غسـيل، تلبس معطفًا أسـود يلتف بإحكام حول جسـدها، وحذاءً أسـود ذا رقبة يغلف سـاقين مسحوبتين عاريتيـن لبعد الركبة الناعمة الحمراء، وقد اكتسـى جلدها بذلك اللون الذهبـي الذي يقـول لك إنني نضجـت واكتملت دائرة أنوثتي باسـتواء شاذ قل ما تجود به الطبيعة على الآدميين

..خل معلقة من ياقتها وشعرها بواسطة يد رجولية، ثم يركلها
.. ي بقسوة متخليًا عن إمساكها لتندفع إلى الغرفة بأكثر الوسائل
، مضروبة بالشلوت.

.ندفع منطرحة أرضًا بغير انتظام ليدخل وراءها رجل مكتمل
جولة مفعم بالغضب والتعالي، وقد ارتدي سروالاً قصيرًا أسودَ
. مًا وقميصًا بنفس اللون بلا أكمام وحذاءً أسودَ ضخمًا له بريق أسود
.ني، انخلع قلبي ووثب مرارًا إلى حلقي ومنعته أسناني المنطبقة
.ن من الوثوب عبر فمي، فهذا هو هشام زوجي المحترم.

ومن خلال موقعها المرتمي على أرض الغرفة وجدتها تنظر بخوف
..لك الجلاد الشرس.

نعم خوف عجيب له رائحة عرق العبيد لم تنظر له، بل أرخت
.يونها أرضًا في انكسار واضح، وقد تغلف زوجي الوقور بهالة من
الوحشية والرجولة والإثارة، وقد تبدى كما الممثلين في أفلام الجنس،
بل فاقهم في وسامته وجسده المشعر القوي بصدره العريض، وسيقانه
المتوترة وساعديه القويين.

وبتقسيمة العضل الخفيف في ذراعيه وساقه الرياضية وبعيوني
المذهولة أرى زوجي وقد وقف أمام تلك الغادة الفضائية بكل شموخ
وهي تنظر للأرض بخنوع.

استمر الوضع دقيقة أو أقل وهو ينظر لها بعيون شريرة تقطر نظراتها
سطوة وتملك بينما هي تسترق النظر له بقلق وارتباك.

تقترب من قدميه بكل ذل ليرفع هشام قدمه اليمنى ويدوس بها على وجهها بكل قسوة، وقد استدار وجهها إلى ناحيتي ورأيت بأم عيني أن البنت تستجيب بألم لضغط الحذاء الثقيل على وجهها وتحاول أن تمد شفتيها لتقبل ذلك الحذاء وتتلوى بألم ومتعة مباغتة، وكأنها خيط دخان يتلوى بشبق في فراغ المكان، وهشام مستمر في الضغط الشديد على وجهها الذي احتقن قد تبدت نظرة استهزاء وتحقير عميق في عيونه، ثم رفع حذاءه عنها فجأة لأرى آثار نتوءات الحذاء على جانب وجهها الرائع تبصم بفيش أحمر بينما هي لا تزال ملقاة بإهمال كمنديل ورقي مستعمل.

تندفع الدموع من عيوني كاتمة صوت صرخة تستغل الانفلات الأمني لأعصابي فأنا لا أتصور أبدًا أن يفعل هشام كل هذا والذي كنت أجهله أنه مقدمة فقط لما سيفعله بها من أهوال.

فقد تراجع هشام ليجلس على كرسي التسريحة المعدوم الظهر يجلس بكل كبرياء وكأنه بلوتو يجلس على عرش الجماجم، بينما تبكي عيون البنت التي لا تتعدى العشرين ربيعًا في ذل صامت، وقد تصاحب متعتها وعذابها وإهانتها بقدر متساوٍ مع متعتها نفسها وقامت منحنية لتتف وقفة الذليل لهذا الشهريار القاسي الذي يستخدم يديه ولسانه بنفس القدرة المتوفرة لدى سرور سيافه الشهير وبدأت محادثة عجيبة

إنتي يا كلبة ليه متصلتيش في الميعاد اللي حددته؟

إنتي يا وسخة ليه ما جيتيش في المعاد؟

ماما أخرتني.. صدقني يا حبي

أنا عارف اللبوة دي عاوزة إيه.

تنحني بذل عميق.

- أرجوك ما تتكلمش عنها كدة.

تقزز ملامح هشام الوسيمة بنفور قائلاً:

- ده الكلب يقرف من ريحة فخادها.

تخفض رأسها ذلاً وامتهانًا بين يديه مؤيدة.

- آسفة بجد سامحني.

- طب يالا ظبطيلى الدنيا يا وسخة.

تنحني البنت على أربع ذاهبة إلى حيث لا أعرف بينما يجلس هشام، وقد تجلت ملامح شيطانية على وجهه الوسيم منتظرًا.

ما هذا يا حبيبي؟؟ أأنت هو أنت؟ لماذا كل هذا العنف وأنت الرقيق كالنسيم؟ ما هي علتك لتفعل مثل تلك الأشياء المخزية؟؟ ومن أين أتيت بكل هذه القسوة ؟؟

إنني أحبك بلا ريب لكنني بدأت أنظر لك من جهة جديدة لا تزيدني إلا حبًا فيك فهذه الخطورة جديرة بالامتلاك، وهذه الشراسة والعدوانية لن تأتي إلا من رجل أسطوري، وشعرت باهتزاز عنيف يتأرجح بين بغضي ورغبتي في اقتناء هذا الكيان المذهل.

عادت البنت ذليلة تحمل على مراحل نارجيلة مذهبة ووعاء لإشعال الفحم من نفس قوام النارجيلة، وجلست تحت قدم الملك تشرع في تقديم الدخان له في رضا عجيب وتناول منها مبسم النارجيلة الذهبي في حين جلست كالقطة تحت قدميه ليمد ساقه إلى حيث فخذيها ويبدأ في شفط الأنفاس القوية بتتابع مذهل.

استمر الوضع كلوحة قديمة من زمن الحريم لتقوم تلك الجارية بعد أن رفع ساقه عنها وتذهب بوعاء الفحم بعيدًا عنه وقريبًا مني أنا ليقوم هشام من جلسته المتعالية، ويلقي بقطعة من مادة بنية اللون في أعماق الفحم لتندفع موجة من الدخان الأزرق الكثيف في حين أغلق باب البلكونة والغرفة ليحبس بين جدرانها تلك الأدخنة النفيسة.

يا مصيبتي الكبيرة فأنا أعرف تلك الرائحة ولطالما شممتها في وجود أبي رحمه الله، إنه دخان الحشيش الغني بالاسترخاء والاستهتار والمسرة أيضًا، وذهب حيث الدولاب وأخرج عصا عريضة وكرباجًا متعدد السيور وأقبل حيث تلك البنت جالسة تستنشق الدخان لتقوم متحفزة بخوف وقلق.

يمد هشام يده لينزع ذلك المعطف الضيق والملفوف بإحكام حول جسدها وينزعه عنها بقسوة لتقف البنت شبه عارية أمامه وقد ارتدت مشدًا أسود وجونلة قصيرة جدًّا، ويبقى الحذاء عالي الرقبة على ساقيها الرائعتين.

ركعت أمامه تستعطفه بألا يضربها بصوت باكٍ ليبدأ في ضربها بقسوة بالسوط والعصا على ردفيها ومؤخرتها بعنف وتبدأ هي في

الصراخ وتستجديه أن يتوقف، ولكن هذا زاد من هياج هشام أكثر فتحول إلى جلاد من العصور الوسطى حيث يعذب الساحرات حتى يفن بطقوسهن، والبنت دخلت في شبه غيبوبة تحت ضر. العصا السوط وهشام يتفوه بألفاظ التهديد والوعيد مخلوطة ببذاءة قوية جدًا . أنا هنا أرتعش ولا أصدق.

وبينما حالة الإهانة والضرب مستمرة ترتمي البنت أرضًا وقد مزقت ملابسها الرقيقة بفعل تطاوله عليها، نعم ارتمت رأسها بالقرب من مخبئي أرضًا لينقض هشام عليها في حالة من فوران رجولته ليطعنها مرارًا وسط صرخات استغاثتها، ومع دخان الحشيش والموسيقى الشيطانية جلست في مخبئي أراقب زوجي وقد تحول إلى خنزير بري يضاجع أنثاه بأقسى الطرق الممكنة والبنت تصرخ وتحاول الفرار منه بلا جدوى، بل ولف الموقف صمت محتوم لا يقطعه سوى اختلاجات صوتية مختلفة التردد بين خوار وهسيس أو بين تفريغ وامتلاء.

ارتعشت واختلط حابلي بنابلي، ولم أعرف أكنت خائفة ارتعد من الرعب أم من الرغبة الوحشية التي اعترتني خصوصًا وبطل الفيلم هو من أحب وأهوى بلا أي جدل.

استمر الوضع المحموم لدقائق ومع ارتعاشة جفون البنت وارتخاء ملامحها عرفت أن كلمة النهاية آتية في القريب العاجل وبالفعل قام عنها هشام بكل تقزز ورجع عاريًا بعد ركلها بحذائه ليواصل تدخين نارجيلته بكل كبرياء.

ذهبت البنت في غيبوبة عميقة لبعض الوقت ثم تقلبت كما يصحو من نومه وقامت لتجلس على طرف الفراش منهكة ممزقة سعيدة مسترخية.

ونظرت لهشام وابتسمت برضا عجيب بينما لم يلتفت هشام لها في غرور.

قامت وتحسست نفسها ووجهها قائلة

- أي ي ي ، إنت أفورت قوي.

نظر لها وابتسم بخجل، وقد استعاد شخصيته المعتادة بما فيها من أدب ودبلوماسية.

حرام عليك جسمي كله هيزرق من غباوتك دي.

يواصل ابتسامته الساحرة.

- ده أنا وإن كان عاجبك.

لانت ملامح الحسناء قائلة.

- طبعًا يعجبني لكن بالراحة لحسن أموت في إيدك.

- متقلقيش كف إيدي حساس يخدر ولا يقتلش.

تضحك الفتاة بدلال متأوهة.

- يا بروفيسير إنت.

وتقـوم لتلملم أشـلاءها وتلـف المعطف مرة أخرى على جسـدها المفعم بالسحجات والاحمرار الشديد على ظهرها ومؤخرتها وتساوي شعرها النادر.

وتخرج تمامًا من الموضوع الأول لتدخل في الموضوع الثاني.

- بابا هيموت ويشوف المجموعة.

يرد هشام وقد استعاد طبيعته بشكل تدريجي.

- هو بعت معاكي أرقام الحساب يا جنا ؟؟

ترد عليه بارتباك مشوب بالصراحة العملية.

- أيوة طبعًا بس الأستاذ رضا لازم ييجي.

يكتسب هشام نبرة جادة قائلاً برزانته المعتادة:

- أنا اتصلت بيه وزمانه جاي في السكة.

ويقـوم ليرتدي ملابسـه الأولى، بينما تلملم البنت شـعثها وتسـوي هندامها أمام المرآة لينقض الجنون على عقلي إذ كيف تناسـى الطرفان ما حدث بهذه الانسـيابية لقد فعلوا فعلتهم الشنيعة، ثم تجاوزوها كأنها إعـلان مررت عليـه بالطريق الصحـراوي بلا أي تعليق، بل اسـتعادت البنت مكانتها الحقيقية وتعاملت مع زوجي معاملة العميل للتاجر.

يرن جرس الباب ليدخل رضا بكرشه وشعبيته الفواحة.

يغيب هشام ثم يحضر ويصحبته اللفة الورقية.

ويجلس رضا على كرسي التسريحة بعدما نصب مائدة أمامه.

يقوم رضا بفض اللفافة بحرص شديد.

فالـورق كان يغلـف ورقًا آخر، ومـن بعد تفريـغ كل لفافات الورق بانت رقعة جلدية بدائية مطوية على نفسها عدة مرات.

استبعد رضا كل الورق.

ثـم قام بفـرد تلك الرقعـة الجلدية بهـدوووء وحـذر، وكأنه يفض جراب أفاعي.

***

كانـت الرقعـة الجلديـة مطوية عدة طيـات وعندما فردها الأسـطى رضـا كانت بطـول الفراش تقريبًا مبطنة بطبقة جلدية أكثر رقة ومقسـمة بحيـث تصنع جيوبًا منفصلة عددهـا 402 جيبًا يحتضن كل جيب على تمثال من الذهب الأصفر اللامع -والذي تعرفه أو تشـمه بمجرد رؤيته - فرعوني جدًا يتقاطع ذراعاه على صدره ويحمل نقشًا ما أسفل تقاطع يـده، ويمسـك بيديـه أدوات مختلفة من تمثـال لآخر، وهـذه التماثيل كانـت تنحـت بهـذه الأحجام لتوضـع مع الملـك في قبـره حتى يخدم كل واحـد منهـم الملك يومًا واحدًا في السـنة كذلك يوجد 36 مشـرفًا أكبـر حجمًـا يقومون بالإشـراف علـى هذه الخدمـة الأبديـة، وهو من تـراث الفراعنـة حيث الإيمـان المطلق بالبعث بعد المـوت وإن هؤلاء مـن سـيجعلون الملك منعمًا مترفًا فـي العالم الآخر بعـد أن يتولى كل أحـد منهم مـا يجب على الملك أن يفعله من التزامات بعدد أيام السـنة

م وجود ستة وثلاثين من المشرفين ومظمين الأعمال بأحجام تفوق
ام التماثيل نفسها - كنز بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ فهو جيش
. من الخدم يفعل ما يأمره به المشرفون في خدمة جلالة الملك.

ذهب أثري يروي قصة الغرور البشري وإلى أي مدى تكبد الإنسان
... الثقل الوثني فقط ليرضى جلالة الميت المتوفى.

وطبعًا هو ما يجعل عيون المهتمين من الأجانب تدور في
حجرها من الجشع فيكفي المهووس منهم أن ينفش صدره في
النادي المخصص لأصحاب المليارات ليقول بكل فخر أنه يملك
خدمًا ذهبيين من عصور موغلة في القدم، وتخص الفراعنة بالذات،
الذين يعتبرون أسياد مملكة الآثار لما لهم من شيوع وشهرة وجودة
درامية أقرب للواقع من باقي الأديان التي تحتوى آثارها على روحانية
غائبة أكثر الأحيان لكن الآثار الفرعونية تحمل قصصًا وحكايات عن
عصرهم الذهبي، عن حياتهم اليومية، وعلى تقدمهم الفكري وقتذاك.

أهذا كل شيء؟؟ لا أن الأثر في حد ذاته مجرد شريط صوتي ينقل
لنا جزءًا من حياة هذا العصر عن طريق رموزه ورسومه المنقوشة بعناية
على آثاره وهو ما يزيد من قيمة الأثر بطريقة لا تصدق، فبضع رموز
هيروغليفية منحوتة هي من يجعل ذلك التمثال كنزًا تتخاطفه الأمنيات
الجشعة والنهمة للتفرد والندرة.

هذا الأثر يسمى الأوشابتي وتعرف في اللهجة العامية بالعرايس.

أمسك رضا بعدة تماثيل في تتابع معين، وقلبهم لينظر في قاعدة القدم للتمثال،

وشاعت في نظرته ابتسامة اطمئنان.

- زي الفل.

نظرت له جنا بتركيز، ثم أخرجت هاتفها وطلبت رقمًا سريعًا.

-كله تمام يا بابي.

تسمع للحظات، ثم تودع بابي.

ثم تجلس متوارية باللاب توب خاصتها، وتضرب أرقامًا سريعة بعد الدخول لإحدى مواقع البنوك، ثم تنسخ رقمًا من هشام، وتضرب بشكل متوالٍ سريع، وذلك لتحويل مبلغ لا يقل أبدًا عن الست أصفار، لكن بالدولار هذه المرة.

انصرف رضا، وانصرفت الفيحاء جنا.

أنا هنا أقبع في مخبئي أترنح من دخان الحشيش وقد أحسست بقدر كبير من الكسل والإهمال وأحسست بأن عقلي يتخلى عني، ويجعلني أكثر استهتارًا فيا له من مخدر!

وبالفعل بردت أطرافي، ودار رأسي تمامًا وأحسست بشبق عجيب، وتمنيت أن أخرج لزوجي عارية أقول له: ها أنا جاريتك يا حبيبي ولكنني تذكرت تلك القسوة العجيبة، وتلك الغلظة الجديرة بالجلادين، والتي تجلت في زوجي الوقور وتذكرت انطراح جسده متصلبًا فوق جسدها

ا ن، واعترتني أمواج من الغيرة والغل، وقاومت بشدة خروجي إليهم بالغضب.

لكنني كتمت أنفاسي بشدة، ووجدت دموعي تنهمر على حبي وعلى من أحببت.

فها أنت يا حبيبي تصرخ بكل قوتك معلنًا عن حقيقة مذهلة لم أكن أتصورها، انحراف وشذوذ وتجارة محرمة بالملايين.

ها أنت يا باش مهندس الديكور الشهير تتحول لزعيم عصابة تقودها بكل براعة.

يعود هشام إلى الغرفة، ويجلس لمدة نصف ساعة يتابع التحويل النقدي بدقة متناهية بعد انصراف جانا والأسطى رضا.

شاعت ابتسامة النصر على ثغره المضموم دومًا وهو يرصد الملايين تتراكم في حساباته السرية برضا طفل انتهى لتوه من التهام ثمرة مانجو ناضجة.

بكسل شديد يقوم زوجي ليأخذ حمامًا دافئًا وأجده يتراقص طربًا بربحه الشبيه بأمطار الهند الموسمية، فلا بد الآن أنه أصبح ميلونيرًا بمعنى الكلمة.

يدخل زوجي الحمام مغلقًا الباب وراءه لأسمع بعد برهة صوت الدش ينهمر على جسده، ويتعالى صفيره بلحن مرح يحبه.

أقوم من مكاني بحذر، فلم أعد قادرة على القرفصة في مخبئي أكثر من هذا، وبخار الحشيش أعطاني جرأة في التصرف.

اقتربـت من باب الحمام بهدوووووء أسـتمع لـه، ثم نظرت للاب توب لأجده يحمل تنبيه برسالة واردة على صفحته بالفيس بوك.

يأكلني فضولي لأعرف تلك الرسـالة أمد يده وأنقر فوق أيقونة فتح الرسـائل، وقبـل أن أمد يدي تعالـى رنين هاتف هشـام الموضوع على المائدة الصغيرة.

انتزعني ذلك الرنين من فضولي انتزاعًا وسمعت صوت تدفق الماء يتوقف لعل الصوت وصله داخل الحمام، ومن خلال زجاج الباب أراه يتقدم مسرعًا ليجيبه.

تصلبت في مكاني للحظات، ثم جريت خارجة من الغرفة كلها قبل أن يفتح هشام الباب، ويخرج عاريًا ليجيب على الهاتف.

جريـت إلى صالة الشـقة، وانحرفت يمينًا في اتجـاه الغرف المغلقة واقفًا في الردهة الضيقة المفضية إلى باقي الغرف لأسـمع هشـامًا يقول عبر هاتفه للمتصل:

يـا فنـدم كله تمـام، أنا اتأكدت بنفسـي من الحسـاب علـى أمير كان إكسبريس.

....

طبعًا يا أفندم ما فيش أي نقاش في الموضوع ده

مع السلامة، اتفضل اتفضل

مكـذا يغلق هشـام المحادثة بمنتهـى الخنوع، وهو مـا يتعاكس مع
.نه تمامًا

من هو هذا الأفندم يا هشام؟؟؟

يا لك من رجل تعج بالأسرار!

وبينما عاد هشـام ليكمل استرخاءه تحت الماء الساخن تقدمت من
الشـقة بخفة، وفتحته بمنتهى الحذر، وأدخلت المفتاح في الثقب،
ـمعـت أغلقته بهدددوء وأنـا أدير المفتاح كيلا يصـدر ذلك الصوت
ك كليك المصاحب لرجوع اللسـان إلى مكانه، وفيما كنت منهمكة
أغلاق الباب، أجد يدًا تهز كتفي.

ارتعبت تمامًا، وكدت أن أبلل نفسي، وأنا ألتفت لصاحب اليد،
إنهـا تلك الجـارة المتعاونة تأمرنـي بالصمت واضعة سـبابتها أمام
منيها، وأشارت لي بأن أتبعها إلى شقتها.

دخلـت لشـقتها المريحة، وارتميت على أقـرب مقعد، ووقفت هي
امي ترمقني بتركيز.

التقـت عيوننـا أنا وهي وصمت لفتـرة قبل أن أجهـش تمامًا بالبكاء
عالي، إذ إننـي لم أعد أحتمـل كل تلك الضربـات، بينما هي تطبطب
. كتفي وتضمني بحنان وتأمرني وتستحثني على السكوت، وأنا في
ال تفريغ كامل لكل توتـري قامت من جانبي وأتت لي بكوب عصير
. لته منها شـاكرة وجرعتـه كله مرة واحدة بسـبب حريقـي الداخلي

وتدريجيًا هبط الانفعال مع نهنهة بسيطة، وكنت قد قررت أن أكتم
معظم مشاهداتي؛ لأنه أولاً وأخيرًا زوجي وأبو أبنائي.

سألتني بفضول كبير:

شفتي؟؟

-شفت.

اتأكدتي؟

-اتأكدت.

بس البت صاروخ من بتوع المستقبل.

نظرت لها، فأكملت:

احم ...أصلي شفتها وهيا داخلة عنده... من العين السحرية.

....

– على فكرة أنا متأكدة إنه متعلق بيها عشان شكلها، وطبعًا تلاقي
ميت في شرابها.

نظرت لها طويلاً قبل أن أهز رأسي بالموافقة.

جلست أمامي وسألتني بخبث:

وشفتي إيه يا نهلة؟؟ بصراحة جوزك بردو مش عادي ده مز، وا
إعلانات كالفن كلاين.

نظرت لها لأجدها مستعدة تمامًا لتلقي الأخبار بمنتهى الفضول
والإثارة.

- هو بينام معاها عادي يعني زي أي واحد وواحدة؟

نظرت لي مستنكرة، ثم أردفت بسرعة:

عادي!!

عادي؟؟؟ بت زي دي وجوزك السنيور ده وتقولي عادي؟؟

ثم ضحكت بخجل واستدركت:

ناقص تقوليلي إنهم قضوها واقفين كأنهم في الأسانسير.

ضحكت رغمًا عني فهي تملك خفة ظل، وطيبة ممزوجة بخبث طفال والذي يجعلها حميمة مقربة إلى قلبي، ولكن لا لن أتحدث ، أسرار تخصه ذلك الندل الحبيب.

أنا لا أجرؤ على تعريته أمام الناس حتى ولو بالتلميح، فهو أبو ﻻدي وحبيبي مهما كانت الظروف.

تصنعت الجدية أمامها، وقلت:

- مش مهم هما بيعملوا إيه؟ المهم إنه .. إنه .. إنه خاين.

قلتها بصعوبة، ولكني لا أجد غيرها.

نظرت لي مصعوقة، وتكلمت وكأنها تردح بالبلدي:

نعم يا روحي مش مهم بيعملوا إيه؟؟ ده هو ده المهم بعينه يا دلعدي.

نظرت لها مبتسمة من أسلوبها، وقد حسبتها تمزح، فأكملت:

إنتي لما كنتي جوة كنتي بتشوفي فيلم سكس، وبتراقبي كل حركاتها مـع جوزك عشـان لما تعملـي زيها يقـوم اهتمامه يقل بيهـا هي ويركن عندك إنتي يعني لما تلاقيها بتــ..........

نظرت لها مصعوقة وسـرح بي خيالي للحظات، أو أنا أتصور نفسي مطروحـة أرضًـا بينما يركلني هشـام بحذائـه ليمارس معـي الحب، لا لا لـن أتحمل هذا أبدًا مهما كانت درجة حبه لي، واسـتعدت سـخونته وحماسه وهو يمسح بها أرض الغرفة قبل أن أن .. لالالالالا لن أستطيع فجسدي، وإن كان يتمنى هشامًا، فهذا لأنه حبيبي يقبع في بطينه الأيمن ولكن أيضًا جسـدي غالٍ ثمين أحبه ولا أسـتهين بـه كذلك، الموضوع أعقد من مسـألة عادات جنسـية، فهشـام مهرب أو تاجر أو سمسار لبيع الآثار، ويتعامل كمجرم بالفعل، أو رئيس عصابة كما في الأفلام.

- حتى لو بتقرفي أو مكسوفة عادي يعني............

نظرت لها بغباء بينما هي تتصور إنني سمعت محاضرتها الشيقة عن تعديل طريقتي مع زوجي في الفراش حتى يحبني.

نظرت لها بتركيز لأول مرة وقلت بصدق:

- متشكرة على المعلومة المعتادة إنتي متعرفيش جوزي مش مـسألة إنـي أغير مـن طريقتي مسـألة إنـه أصلاً مـش بيحبني، مـش بيفضلني، شايفني مش التيب بتاعه.

نظرت لي سارة بحزن.

- أومال إنتي حارقة نفسك، وبتعرضي نفسك للخطر عشان إيه؟

تنهيدة حارة أفلتت مني قبل أن أرد:

- عشـان أشوفه وهو عاشق، أشـوفه وهو عايز، أشوفه وهو حقيقي بجد.

نظرت لي سارة بإشفاق.

- ياااااااه للدرجة دي بتحبيه يا نهلة.

- أنا عملت المستحيل عشان يرضى يتجوزني.

نظرت لي سـارة باسـتغراب شـديد، بينما انحدرت دمعة ساخنة من عيونـي، وأنـا أنظر لهـا باعترافي المشـين، نعم لقد فعلت المسـتحيل، وتحولت لكائن مغامر، فقط لأحظى به رجلاً يملأ حياتي الباهتة.

- إنتي لازم تحكي يا نهلة أرجوكي.

نظرت لها وأحسست بأنني أريد البقاء معها لفترة أطول.

فعودتي لأمي لن تجدي نفعًا، وستزيدني تعاسـة، خصوصًا أنني لا أعرف معينًا أساله.

نظرت لها قائلة:

- أنـا جعانـة أوي ممكـن تعمليلي أي سـاندويتش عقبـال ما أدخل التويليت؟؟

انتفضت مرتبكة:

- يا روحي من عيوني آسـفة أنا ناسـية إنك بقالك كتير جوة، قوم
إنتي اغسـلي وشـك، ولـو عايزة تاخدي شـاور كمان عنـدك كل حا
جوة.

- لا بس أغسل وشي، وأفوق لاحسن ريحة الحشيش مدوخاني.

نظرت لي سارة، وقد اعتلتها ابتسامة مفاجئة.

- واااااااااااااو حشيش كمان يعني كانوا متسلطنين ع الآخر.

اعتراني الحزن والانكسار، فتراجعت سارة بخجل.

- اووووووووه سـورى يا كوكو، أصل أنا بحب الجو ده وبيفكر
بالحمار اللي كنت متجوزاه، كان حشاش درجة أولى، كان بيشد النف
من الخابور عشان يوفر... النتن.

- إنتي مطلقة؟

- اتجـوزت مرتيـن، وكل مرة أوسـخ مـن التانية .. المـرة دي ناو
أتجوز راجل كبير لأني بجد محتاجة أب مش زوج.

ضحكت وقمت من فورى للحمام المقابل لحمام زوجي في الج
الأخرى.

النور مغلق من الواضح أنه سينام قليلاً كعادته.

دخلـت لحمام سـارة الغير منظـم، فالواقع أن سـارة تملـك جم
متواريًا، فعيونها تجبرك على الابتسام والفضفضة، ولكنها تعيش حيا
بطريقة تلقائية جدًا! كأنها البنت الكسـول في بيت أمها، هل تعرفون
النـوع من البنات التي لا تريد فعل شـيء من شـغل المنزل، وقفت أ

الحوض أتأمل وجهي المستدير، ورقبتي القصيرة، وحاجبي الطيب الذي يرقد فوق عيوني المذعورة الحانية وتذكرت وجه تلك البنت التي فرمها هشام.

فوجهها معبر له شخصية تتحدث بدون أن تتكلم البنت فقط تعطيك الانطباع بجودة الأيزو وتترك له الباقي وأنت تتأملها، فوجه سلمى مثلاً يجبرك على المصاحبة ورفع الكلفة، ومع الرجل تبدو مضمونة نظيفة أما وجه جنا يجبرك على التأمل متسائلاً أهذا الوجه يشارك الجسد في تفاصيله الدقيقة؟ هل ردفاها مثل شفتاها؟؟ وهل مؤخرتها المتوارية انعكاس حقيقي لنهديها المتماسكين؟

أما وجهي أنا فيعطيك إحساس بأنك تريد أن تشكرني على تعاطفي الغير معلن معك يعطيك إحساس بالخدمات والصداقة الخالية تماما من عوامل الإثارة فقط أنت تحبني للتفاني الذي أظهره من أجلك وفي خدمتك.

تناولت الصابونة وغسلتها ثم غسلت وجهي بها بعمق.

مشطت شعري المفرود، وأعدت ربطه، وما زالت الخواطر تتقاذفني كزورق مكسور الشراع في تسونامي.

حتى لو تعاملت مع زوجي بتلك الطريقة الشاذة فأين أنا من استواء بطنها وسحبة ساقيها وتكور صدرها أين أنا من هذه الدمية متقنة الصنع؟؟

الغريب في الأمر أنني تناسيت طبيعة عمل زوجي الإجرامية وما عدت أفكر إلا في أنه زوجي الذي أعشقه والذي يمارس الحب والحميمية بعيدًا عن فراشي.

خرجت للردهة، وأخرجت الموبايل لأجد أن أمي قد هاتفتني لأربع مرات متتالية.

لابد أن الأمر به كارثة ما

أجريت الاتصال وبعد عدة محاولات ردت أمي وهي ناعسة:

- أيوة يا ماما.

- أيوة يا حبيبتي.

- إنتي اتصلتي بيا 4 مرات.

- مش أنا يا حبيبتي ده زياد كان عايز يكلمك ولما مردتيش اتصل بأبوه.

- إيه؟؟ اتصل بأبوه؟

- أيوة سأله عنك، فأبوه قاله إنه لسة مروحش.

- يعني هشام عارف إني مستنياه في البيت دلوقتي؟؟

- أكيد أومال إنتي فين أصلاً ؟؟

ارتبكت قليلاً ثم قلت.

- أنا عند الكوافير في نفس الشارع يا ماما.

- طيب يا حبيبتي متأخريش على جوزك ربنا يسعدك.

أغلقت الخط، وأنا في حيرة.

فهـو يعرف أنني فـي المنزل أنتظـره كمفاجأة، ومع ذلـك لم يكلف خاطـره أصـلاً بالسـؤال أو الاستفسـار، يـا لـه مـن استغناء كامل عن شخصي، أي ضمير تملكه يا حبيبي وأنت تعرف أنني أقبع وحدي أنتظر منك لمسة أو ابتسامة، بينما أنت تضاجع وتنكح وتتهاوى لأعماق اللذة في عين النهار متجاهلاً إياي بتلك القسوة.

في الوقت الذي خرجت فيه سـارة حاملة صينية بها كوب نسـكافيه وبعـض من شـطائر الجبـن والمربي فأشـرت لهـا بالصمـت وأجريت اتصالاً مع زوجي.

الرنين يتواصل ولا ردّ.

أعاود الاتصال به ولا يرد.

طبعًا أعرف أنه لن يرد؛ لأنه يخشى أن ألمح في صوته خمول النوم.

أجريت آخر اتصال فرد عليّ بصوت خامل مليء بالنوم.

- حبيبي إنت نايم؟؟

- آه كنت مغمض عيني شوية.

- نايم فين كدة؟؟

صمـت زوجي قليلاً، فمن الواضح أنـه تذكر أنني أنتظره في المنزل كما قال زياد.

- في المكتب، كنت بريح ضهري على الكنبة وعنيا نعست.

- طيب حبيبي، هترجع إمتى؟

- لسه أدامي شغل كتير، مش عارف هخلصه إمتى.

- طيب أنا هقولك على مفاجأة أنا هنا في البيت لوحدي سيبت العيال عند ماما.

أجاب بفتور ومسحة من غضب مصطنع.

- كان لازم تقوليلي عشان أعمل حسابي في الشغل.

أيها الخبيث الكاذب.

طفرت من عيوني دمعة، وأنا أقول له:

- طيب حبيبي خليك على راحتك أنا بقى هرجع عند ماما.

- معلش يا نهلة أنا فعلاً مشغول.

أغلقت الخط لأول مرة، وأنا أعرف عنه أكثر مما يعرف عني.

نظرت لي سارة متأملة وابتسمت.

- يخرب بيت الحب.

الحب؟؟؟ تناولت منها شطيرة من الجبن الرومي نفاذ الرائحة.

- ده بطارخ يا نهلولتي، وخدي بلعي بالشاي، ويللا قولي بقى.

بفم محشو بالجبن الرومي والشاي، تكلمت وانفعلت وطفرت من عيوني الدموع سخية، وكأن دمي نفسه هو دموعي.

- تعرفي إيه عن الحب يا سلمى ؟؟ اسأليني أنا.

قابلت هشام في ظروف غريبة ولقيت نفسي مشدودة بسلسلة حديد
ا حيتـه كأني جارية، وهو سـيدي. كل حاجة فيه كانـت زي ماانا عايزة؛
.ـسـم رياضـي ورجولة ووسـامة زي بتوع الإعلانـات وذوق وخفة دم
.ادرة، ورحب بي مبدئيًا في حياته كعلاقة عاطفية، وبعد أيام أعلن بكل
امانـة إننا منفعش لبعض، مجرد شـوية أيام حكم عليـا بالإعدام بعدها
.بقى يشـجعني ويقوللـي معلـش إحنا مـش لبعض ومـن أخلاقه بقى
..ساعدني ويشجعني على الارتباط بغيره وأنا في دنيا تانية خالص بحبه
ادرجة الخطر بحبه لدرجة إني ماكنتش بنام إلا والتيشـيرت اللي سرقته
.ن شـقته في حضني كل ليلة لدرجة إني كنت بلبّس التيشيرت للمخدة
. احضنها وأبكي، واتغيرت أحوالي وبقت من سـيئ لأسـوأ، خصوصًا
. إنه ابتدى ميردش على تليفوناتي وحسيت بانهيار شديد في حياتي.

نظرت لي سارة متعجبة.

- ده كان حب جامد أوي؟؟؟

- مكنش مجرد حب أنا كنت بشـوف هشـام كأنه حل لكل مشـاكل
حياتـي كل شـيء عايزاه كان عنـده هو حتى المسـتوى الاجتماعي كان
عنده هو وأنا من أسـرة متوسـطة في كل شـيء حتى أنا متوسطة في كل
شيء.

- وهو كان عايش مع أهله يا نونو؟؟

- لا كان مستقل وعايش لوحده زي الفنانين وكان في الوقت ده محبوب مرغوب من الكل لدرجة كنت بسمع عنه أكتر ما بشوفه من البنات صحابي.

نظرت لي سارة وقد انفعلت تمامًا مع الحكاية.

- ها طبعًا حاولتي تتقابلي معاه وتفهميه إنك مش قادرة تبعدي عنه؟؟

ابتسمت بسخرية مريرة قائلة:

- أنا لاعبته كل الألعاب؛ رميت نفسي تحت رجله، بوست إيديه كان يرجع آخر الليل يلاقيني واقفة لوحدي في الشارع مستنياه، عرضت عليه نفسي لكنه رفضني تمامًا، وكان كل ما يلاقيني في الشارع ياخدني ويوصلني لبيت أهلي ويوصيني معملش كدة تاني.

- طبعًا كل التصرفات دي خلتك تتعلقي بيه أكتر؟؟

طفرت الدموع من عيني أخيرًا وأنا أقول:

- بالظبط مبقتش عايشة إلا عشان أفكر فيه وكنت بامشي أعيط في الشارع وباحس إن قلبي مدبوح بسكينة زي الفرخة، وكانت أقل كلمة تبكيني وبقيت عايشة زي الميتين.

أرجعت باقي الشطيرة إلى الطبق، وقد شعرت بضربة قاسية تعتصر قلبي وأنا أتذكر تلك الأيام السوداء.

شوفي يا نهلة إنتي إنسانة رائعة وأي حد يتمناكي

طبعًا لكم أن تتخيلوا باقي العبارة، وما فيها من مديح مسموم، فإن
ت رائعة كما تقول لماذا لا تأخذني؟؟ أنا أحبك وأذوب كشمعة من
رفيها، ولكنه أصدر حكمه بالفصل النهائي مستخدمًا مقصلة البتر
انها، وحاولت بكل الطرق لم أجد أي استجابة منه.

كان يسكن في شقته بأحد شوارع المهندسين، وأنا أسكن بيتًا
توسطًا في حي ميت عقبة الشعبي الفواح.

وتطورت حالتي لدرجة أنني كنت أقف بالساعات في انتظاره أمام
مارته الهادئة؛ ليجدني وهو عائد من سهراته ليجري عليّ ويعاتبني
يأخذني إلى سيارته ويوصلني بنفسه إلى رأس شارعنا، ولكنه حتى لم
مس يدي، كان يتعامل معي كشحاذة يلقي لها بالحسنة دون أن يربت
تى على يديها، كنت أنام ليلي وأنا أعانق ذلك التيشرت المسروق من
نده أتلمس رائحته فيه وأبكي وأبكي وأبكي.

ساءت حالتي الصحية كثيرًا وتحولت إلى خيال أصفر خصوصًا
ندما علمت أنه مسافر للخارج وضربني اليأس على أم رأسي وبدأت
ي تقلق عليَّ وذهبت بها الظنون، وانقضت عليَّ تفحصني لتجدني
رة يابسة مغلقة.

وأخذتني للأطباء الذين أجمعوا على أنني أعاني من اكتئاب حاد،
أنني لا بد أن أغير الجو.

ولم تقتنع أمي بالتشخيص، وبات قلقها يصرخ وسط الناس
صوصًا عندما أبدت إحدى الجارات ملاحظتها لها قائلة:

(يا ختي نهلة مالها بقت زي عود القصب؟؟ هيا بعد الشر عيانة ولا إيه؟؟)

وطار صواب أمي فهي تؤمن بأن أكثر شيء يسيء لسمعة البنت إنها تكون مريضة، والحقيقة إن المرض أكل على ملامحي وشرب وزاد عليه بلاهة لم أعرف من أين أتت.

دائمًا شاردة دامعة خائفة تعتريني هزات نفسية عنيفة ونوبات بكاء حارقة بلا صوت، كانت دموعي تنساب كجدول دم قصير يحفر طريقه في الرمال قبل أن يسلم الشهيد نفسه للعالم الآخر.. أريده أريده أريده .. أريد ابتسامته وجماله وعالمه وتفاصيله.

أريد أن أعيش خادمة تحت أقدامه .. هكذا بلا أي تزويق أو مبالغة، يكفيني فقط أن أكون....خادمة.

....

(في ميت عقبة)

في منطقتنا الشوارع تتلاحم كما تتلاحم أجساد الناجين على زورق الإنقاذ، فكل شيء ملتصق بكل شيء بطريقة جنونية، والعجيب أن الالتصاق من النوع المرن المطاط، ولكنه التصاق في كل الأحوال، فالجيران والمحال والناس جزء لا يتجزأ من حياتنا داخل بيتنا ونحن أسرة واردة من الخارج لنا مستوى أعلى قليلاً، ولكننا عشنا وسطهم بغرض الحماية والاستئناس، فخالاتي وأخوالي ينتشرون حولنا بما لا يقاس وقنواتهم مفتوحة على بيتنا ببث حي مباشر ومن أهل

حينا الشعبي... ومن جارتنا ومن حياتنا اليومية والحقيقة أن من أهم ميزات الحي الشعبي في مصر أن تستطيع إيجاد بديل مناسب لأهلك لمجرد وجودك بينهم .. فيهم الصخب والحيوية والتواصل والتدخل في حياتك بأعلى المؤشرات .. لا يهم فأنا في عالم آخر أترنح وعلى وشك السقوط في بئر عميق.

(الشيخ عبد التواب)

ولفظة شيخ هذه قد تكون للسخرية، فالرجل ضخم مرعب كبير الرأس مختل العقل معروف في المنطقة كلها بقدراته السحرية، وهفواته، وكان الشيخ عبد التواب يجلس على رصيف بالقرب من ذلك المقهى الكبير عصر يوم قائظ الحرارة ليجد أمامه امرأة في الخمسين من عمرها تبكي وتستنجد به، وكانت تلك المرأة تحسن له وتعطيه كثيرًا فهب واقفًا يسألها ما لها؟

فقالت: إن زوجها المعلم محمد الأحمر ذلك الجزار الشهير في حينا بنوي الزواج من شابة حسناء، وأنه ينوي أن يترك بيته وأولاده الخمسة ليعيش معها في شقته الجديدة بشارع السودان الراقي واحمرت عيون الشيخ عبد التواب وغادر معها وهو يهز رأسه بطريقة مرعبة، وذهب لبيتها وجلس على الباب، وطلب منها أي شيء يخص المعلم، فأتت له بشراب متسخ له فأخذه منها وتركها بدون كلمة واحدة واتجه للمعلم الجالس على باب دكانه مثال للجمال والفحولة.

رحب به المعلم محمد الأحمر وأوصى له بقطعه كبد، فهو يعرفه ويعرف إحسان زوجته.

- إنت ناوي تتجوز يا محمد يا أحمر؟؟

فنظر له محمد بغضب خفيف، وتجنب الدخول في مناقشة مع ذلك المختل قائلاً:

- إن شاء الله يا شيخنا، متنساش تيجي الفرح، هندبح عجلين وهتهيص.

- ومراتك أم العيال يا محمد؟؟ هكذا سأله عبد التواب غاضبًا.

فتصاعدت عصبية الجزار.

- وانت مال اللي جابوك يا معتوه.

فنظر له عبد التواب بعيون مستديرة، وقد انقلبت ملامحه بشكل مرعب.

- اسمع الكلام وبلاش تسيب ولادك وبيتك؟

فزمجر الجزار وقام زاعقًا فيه بغضب عالي الصوت، لدرجة جمعت الناس على المشهد.

ودخل للمحل وخرج ماسكًا بسكين التقطيع الضخمة، وهو يلوح بها في وجه عبدالتواب.

- يالــلا يــا مهفوف من هنا، واوعى أشوف وشك لحسن أقطعك وأرميك للكلاب.

ظل عبد التواب واقفًا ينظر له بتركيز، واقترب منه ومس كتفيه قائلاً:

- أربطك يا محمد ياابن فوقية لا تنفع طبلة ولا طار.

اعترى الرجل اهتزاز لا إرادي بينما يتابع عبد التواب إلقاء لعنته.

- أربطك يا محمد ياابن فوقية إنت والعروسة اتنين نسوان بستنيان الناس.

تجمد الذهول الممزوج بالخوف على محمد الأحمر للحظات، قبل أن يأخذ أي رد فعل، غادره الشيخ عبد التواب وسط ذهول الناس الذين حضروا الواقعة وسمعوا التحذير وباشروا العقاب المنزل بمحل الجزار.

تناسى الرجل الفخم المعطر كلام المعتوه، وأقام ليلة عرس باذخة تحدث عنها الحي طويلاً من فرط ثرائها.

وحين صعد مع العروس إلى شقته العامرة تحسس جيبه مطمئنًا لدهان الخرتيت وإلى حبوب الترامادول وإلى كيفه ومزاجه وكله تمام.

ولم يحدث شيء أي شيء لدرجة أن الرجل ذاب في بحر الخجل من عروسه، فهو وهي سواءٌ امرأتان مختلفتا العمر، هو كأم وهي كابنتها، ابتلَّ الرجل وذاب في الحيرة الممزوجة بالخجل الصارخ، فلا شيء ومع كل يوم تتجدد الكارثة فلا مقويات ولا دهانات ولا خمر ولا مخدر تفعل شيئًا ناجعًا، بل إن الجزار أصبح يعاني من احتباس بولي مؤلم من فرط محاولاته الفاشلة، وبقي الموضوع مهترئًا مرتخيًا بقسوة الفضيحة.

ورجع محمد الأخمر يبحث عن عبد التواب كالمجنون صارخًا وباكيًا على رجولته التي تحولت إلى خرقة بالية، رجولته وفحولته التي كان يفخر بها وسط أصدقائه باتت كخيط مبتل ملتصق بفخذه، وانعكس هذا على شكله العام فبدا كنزيل هارب من مصحة المدمنين.. وأخيرًا وجده، ها هو عبد التواب يجلس بجانب النفق يتأمل الكون في حكمة الزاهد الرافض ترجاه محمد الأحمر أن أرجوك أبوس رجلك أعد لي رجولتي.

- تطلق وترجع لولادك.

- إزاي؟؟ والعروسة لازم على الأقل أدخل عليها شكلي بقى وحش يا عبد التواب،

فرفع الرجل إصبعه في وجه الجزار الذبيح.

- تطلق ... أو تعيش مَرَة تحبل وتحيض يا جزار.

وأذعن المعلم، وتم الطلاق العذري، وعاد إلى بيته منكسرًا ليجد نفسه وقد استعاد عافيته، وأحسن من أول فلا احتباس ولا التهاب، بل هو معافى سليم كالثور الطالوقة تنعم بنفسه وبمن معه بلا مطبات.

واشتهرت الحكاية في المنطقة، وسمعتها من خالتي في إحدى ليالي السهر ببيتها.

....

تبًا لك يا هشام، لقد بلغتُ من الإنهاك ما يفضي إلى الموت، وأنت غائب لا تريد حتى الرد على اتصالاتي، ألهذا الحد لا تريدني؟؟

وأصبحت أتمنى مجرد سماعه يقول لي أي شيء بصوته أي شيء حتى ولو كانت سبّة أو احتقار.

وهل يورث اليأس إلا كفرًا ؟؟ لقد كنت يائسة مهيضة موءودة أتطلع لأي تفصيلة تحمل سيرته، أو تعبق برائحته....

رائحته؟؟؟؟

وتذكرت التيشرت، فجريت وأخرجته من مكانه السري.

ما زال يعلق به عرقه ممزوجًا بعطره لم أغسله، لم أنظفه، كنت أريده كما هو

وفيما أتشمم واحتضن تلك القطعة العزيزة من ملابسه أسمع من يقول بترنم بصوت أجش مبحوح، ينعق أسفل نافذتي مترنمًا.

مبنمشي مبنشمي.

مبنمشي ليل ونهار ... والفكر معايا احتار.. قالوا معمولك عمل .. وخدوني على السحار.. رش البخور على النار.. وقاللي مافيش أمل ...مبنمش مبنمش ليل ونهاااااااااااااااااااااار ..آه ه ه.

إنه الشيخ عبد التواب يمر أسفل نافذتي.

وكما يلمع البرق بغتة في سماء الغيوم، أضاءت فكرة عابرة مخيلتي.

((الشيخ عبد التواب زي ما قدر يجمع محمد الأحمر على مراته، ويفرق بينه وبين عروسته، يقدر برده يساعدني .... أيوة أكيد طبعًا هيساعدني أحقق حلم عمري)).

وأمعنت النظر في ملبسه المسروق.. هل يصلح ؟؟ نعم يصلح ..
نعم نعم لا بديل .....

السحر سيجعله يتقبلني ويجعلني دانية منه فقط أريد القرب أريد الاستجابة على مكالماتي ورسائلي .. أريد مقابلات ولو خاطفة .. ياربي الرحيم أنا فعلاً أريده ولا أرضى بأي شيء بديلاً ... وحسمت أمري في أشد لحظاتي يأسًا.

وجريت نازلة من البيت أبحث عن الرجل في كل مكان لأجده أخيرًا يجلس على عتبة بيت قديم.

اقتربت منه، نظر لي بغلظة ثم تلين ملامحه بمجرد تعرفه عليّ.

فقد كانت أمي هي الأخرى تحسن إليه بطبيعة الحال، ويعرفها ويعرف عطاياها المتمثلة في طبق طعام أو حلوى أو جلباب أو معطف من أملاك الراحل العزيز أبي.

اقتربت منه، ووقفت لبرهة.

ومددت يدي بقطعة الملابس العزيزة له بدون كلام بينما تنساب الدموع الغزيرة من عيني ولم أقل سوى كلمتين.

- اسمه...... هشام بن نرجس.

- فينه؟؟

- هنا جنبنا في المهندسين.

دس التيشرت في عِبّه.

وقام ومشيت وراءه، ووصلنا للمهندسين مشيًا على الأقدام.

هـو بهيئتـه وفظاظتـه ورثاثـة ثيابـه، وأنا بيأسـي وغلبي علـى أمري مظهرنا كابنة خاطئة وأب مكلوم في شـرفه، نمشـي متجاورين صامتين لا نعبأ بنظرات المارة.

ووصلنا للشارع الكائن بها عمارته الفخمة، وأشرت له على الشقة، فتركنـي وقبع على الرصيف المواجـه للعمارة صامتًا، ووقفت أنا أتأمل الموقف: الشـيخُ جالس علـى الرصيف تعتصر يداه التيشـيرت ويتمتم أسنانه بكلام، والناس تمر عليه وتؤثر الابتعاد عن فظاظة منظره.

ثم...

لمحت سيارته تدخل من ناصية الشارع

إنه هو بجماله وجاذبيته عائد إلى داره آه يا حبيبي كم أوحشتني.

ووجدتني أتوارى خلف شجرة لأراقب بتوتر ما سيحدث.

وأمام الشـيخ عبد التواب ركن هشـام سـيارته بالضبط وترجل منها نازلاً، وفتح مؤخرة سـيارته ليخرج منها حقيبة سـفر متوسـطة، وبعض الأكيـاس فـي اللحظة التي قـام فيها عبد التـواب من مقبعـه واتجه إليه ووقف صامتًا.

التفت له هشام باندهاش من ضخامته، ثم نظر إلى مظهره، وقدر أنه مجرد شـحاذ، تناسـى وجوده وظل يخرج متعلقاته من حقيبة السـيارة، وقـد كان بـادي التوتر مـن وجوده الفـظّ بينما الشـيخ يواصـل التمتمة بسرعة حتى شعر بيده الثقيلة توضع على كتفه وتضغط.

- خد نصيبك يابن نرجس.

ينطقها عبد التواب بصراخ.

ارتعد هشام من لمس الرجل لكتفيه، وتقزز منه كثيرًا، وأغلق مؤخرة السيارة في عصبية مبتعدًا عن الرجل الغريب في اللحظة التي تجري فيها دراجة نارية عابرة الشارع في سرعة لتطيح بهشام في صدمة قوية، وتتناثر الحقائب والأكياس على قارعة الطريق بينما سحل هشام على الأسفلت ونزفت من رأسه الدماء.

. ارتعبت، وشعرت بسخونة بين فخذاي فمن الواضح أنني تبولت لا إراديًا على نفسي وجريت تجاهه ناسية كل شيء حولي وقد تفتت قلبي وعقلي.

جريت صارخة، وتجمع الناس، وارتميت عليه أصرخ بهيستريا.

تبحث عيناي عن الشيخ عبد التواب لكنه غير موجود، لقد تبخر الرجل.

ا،كان...

نشفى المروة بالمهندسين،

ا، فت...

السـاعة الثانيـة بعد منتصـف الليل، هشـام يرقد في سـريره ملفوف

، وانتشرت اللصقات الطبية على أنحاء جسده، وأنا في حالة يرثى

ن الذعر، وقد نسيت أهلي وأمي وإخوتي تمامًا.

ي الوقت الـذي تدور فيه أمي وخالي بحثًا عنـي أرقد تحت قدمي

، لا أرى سواه.

، انحنيـت في غفلة مـن الممرضات والعاملين وقبلت شـفتيه لأول

، وقد تضاعفت رغبتي وحناني المتدفق لحد السيل.

، طمأنني الطبيب سائلاً إياي عن كنه علاقتي به.

أنا خطيبته.

نظر لي الطبيب نظرة غير المصدق، ولكنه هز رأسه بالموافقة.

ها أنت يا حبيبي معي في مكان واحد، صحيح أنك مصاب مكدود

حول إلا أن ضعفـك أصابني بسـهم رصاص أدخلـك قلبي للأبد،

أ. صد بابه ورمى المفتاح في المحيط.

وقبـل أن أرحـل عـن المستشـفى، وقفـت أمامـه ناظرة إلـى ع
المغلقـة، وانهمرت من عيوني الأمطار السـخية لتروي جزعي وله
السرمدية عليك يا حبيبي.

وانحنيـت عليك لأقتبـس قبلة من شـفتيك المضمومتين، واسـ
بكائي الصامت المحموم يصاحب قلبي بعد أن تبلل وجهك بدمو

يـا إلهـي لقـد هلك قلبـي من الحـب والحسـرة والشـعور المم
بالذنب.

فأنا من فعل بك هذا، ولك الحق كل الحق في استبعادي للأبد.

لقد امتزج شعوري بالذنب مع حبي العظيم؛ ليصنع منتجًا نهائيًا
قابل للتحلل

فأنا لك للأبد. :

وقبـل أن أرحـل فتـح عيونـه الصافيـة ليرمقنـي باسـتغراب، وو
ويغيب في نومه المشبع بالمسكنات.

رجعت للبيت لأجد العائلة تصرخ كلها في وجهي بينما جرتني
من شعري بغلّ وتكاتف الجميع للفصل بيني وبينها.

- كنتي فين يا بت؟؟ انطقي لأنسـل الشبشـب على دماغك؟؟ ك
فين يا وسخة؟؟

نظـرت لهم في استسـلام وحكيت لهم أن من أحبه في المستشـ
راقد بين الحياة والموت.

نعم قلت كل شيء إلا موضوع الشيخ عبد التواب.

ومرت العاصفة بعد تأكدهم من أنني بخير وشفقة منهم في أن تعود نلك الحالة المستعصية من الاكتئاب.

أصيب هشام بكسر في الساق ألزمه الفراش مع ارتجاج خفيف المخ وبعض السحجات نتيجة السحل على أسفلت الشارع، وبعد رر يومين سمح له الطبيب بالمغادرة لإكمال العلاج في البيت، هكذا الت لي موظفة الاستقبال وهي ترمقني في تشكك.

خرجت وأنا أنوى زيارته وخدمته، فشعوري بالذنب من ناحيته امل لا شفاء منه، طرقت الباب ليفتح لي عم صالح البواب، سألته عن نام، فقال: إنه في الفراش، دخلت لأول مرة شقته.

كم هي واسعة شديدة الثراء والفخامة، من الواضح أنه ميسور الحال ما لا يقاس بالمقارنة ببيتنا القابع في ميت عقبة.

واظبت على خدمته بكل ما أوتيت من قوة بالرغم من ضعف حالتي اسلاً وهزالي الواضح على جفوني وأسفل عيني ورعشة أطرافي، لكن حساسي بالذنب المخلوط بعنف العشق جعل مني خادمة دامعة العينين.

ورحب بوجودي بفتور وإحراج، وداومت على زيارته كل يوم أقوم مل شيء في المنزل كما لو كنت زوجة بطل مصاب في الحرب.

إلى أن طرق الباب في يوم، وكان هشام قد تعافى جزئيًا وطالبني ارًا بالرحيل حتى لا يسبب لي مشاكل.

فتحت الباب لأجد أمي وخالتي وخالي الأكبر.

أسقط في يدي، وتندى الجبين بالعرق البارد، وعرفت شعور المجرم عندما يداهمه رجال الشرطة على حين غرة في وكره.

جرني خالي من يدي ضاغطًا بقوة على عظامي.

- للدرجة دي مش عارفين نلمك يا كلبة، ودخلت أمي مفتحه البيت مع خالتي الأروبة لتجد هشامًا طريح الفراش ملفوفًا بالضمادات لحسن الحظ.

فوجئ بهن، ويخالي ذلك الرجل المتدين الوقور الصامت.

لم يعرف بماذا يجيب عليهم.

واشتد الحصار حولي وحوله

....

تمت الخطبة الجبرية، ووافق هشام محرجًا ومجبرًا من كل هؤلاء الذين فرضوني عليه فرضًا.

وطار قلبي من الفرحة، ومع الأيام تعافى هشام وتعافيت أنا.

حاول بكل الطرق الهروب مني لم يعرف.

كنت أحاصره بخدمتي المخلصة، وأتبعه كما يتبع الكلب سيده

وكان الشيخ عبد التواب يزورنا في الدار، ويسأل عني وعندما يجدني يمد يده لي قائلاً:

- هاتي أي حاجة؟؟

نوتـرت من وجوده، ولكنني أعطيه طبعًا، فبالرغم من كل شـيء هو ،احـب الفضل، ولم تكن أمـي تفهم، ولكنها عـزت ذلك إلى فرحتي الارتباط بحبيبي.

وحدث الأمر الجلل وتزوجت منه وسـط ذهـول معارفه وأصدقائه ،ن اختياره غير المتناغم مع سـمعته ولا مكانته بين الناس، فهو مرموق ،ير مرغوب من الجميع وأنا منطفئة مجهولة لأكثرهم، يوشي مظهري الشـعبية، وبأنني من الطبقة الوسـطى أي نعم لم يكن هشام ابن الباشا، لكنني أيضًا لم أكن ابنة الفقراء، ولكن التباين كان صادمًا أشبه بزواج ،ر د إنجليزى بمربية.

وعرفت أنه ينوي الخلاص مني بعد فترة بأي ثمن.

وحملت منه رغمًا عنه مع أنه أوصاني باتباع وسيلة لمنع الحمل.

ولكـن كيـف لـي ألا أقتطع من تلـك الكعكـة الغالية قبسًـا من نوره احـل أحشـائي. فقـد كنت أنتـزع منه القبـلات بالإحـراج، وأنتزع منه الأحضـان بالاسـتجداء المضني، وهـو لا مسـتجيب ولا رافض، فقط سامت بعيد متناءٍ عن منطقة تواجدي، وبالطبع شـعرت أمي بمعاناتي، لكنها عاجزة عن مسـاعدتي، فهشام يرفض تدخلها مطلقًا في حياتي، لا أذكر عدد المرات التي عرض على فيها الطلاق، وكنت عندما أزور ابي في منطقة ميت عقبة أبحث عن الشـيخ عبد التواب لأراضيه كيفما امن وأن يتقبل بصمت وهو ينظر لي وفي مرة سألني بطريقته الشبحية.

-مالك حزينة؟ مش وصلتي للي انتي عايزاه؟

-مش بيحبني يا شيخ عبد التواب حاولت كتير.

- ياما ناس متعرفش اللي ورا التمني إيه.

ثم نظر إلى قائلاً بصرامة:

- إنتـي اتجمعتـي مع اللي رايداه ومعملتيش حسـابك إن هو راي
ولا لأ.. والسحر ميحركش القلب لكن يحرك صاحبه.

ما زالت هذه الكلمات ترن في أذني الداخلية.

لقد تحديت القدر، واخترت تحقيق رغبتي على حساب رغبته،
حق لي في المطالبة بأكثر من هذا.

أنـا وهو تحت سـقف واحد وكفـى - ومع الأيام تحقـق لي أن
السحر البخل واللؤم، فهو يعطيك بقدر ما ينتقص منك يأتيك بالغر
ويأخذ منك الراحة يحقق لك الغاية، ويسحب منك امتيازاتها.

فهـو لا يريدني ويتمتـع بإخلاصي وخدمتي، وأنـا أملكه، ولكن
حـب على الإطلاق، وحين كنت أجاهر بالشـكوى من نفـوره وابتع
يقول لي:

-أنا مظلـوم، أنا اتحرمت من اختياري، وانتي نفذتي اختيارك...
بختك.

(بطن الصخر)

المكان ..

الطريق الصحراوي الغربي بمركز أبو تيج مسجد سيدي السلطان ا'مرغل، وهو لمن لا يعرف: ولي من أولياء الله الصالحين، ينتهي نسبه ؛ملي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

واليوم هو الليلة الختامية لمولد العارف بالله الزاهد الأستاذ السلطان الفرغل وقد احتشد الناس كخلايا النحل يترنحون بذكر آل البيت في جو من النشوى العارمة والتي تعترى تلك المدينة الصعيدية الأصيلة.

يجلس الشيخ ياسين في صحن المسجد بعدما فرغ من عمليات الذبح والتفريق فهو مرشد صوفي رفيع المستوى في الطريقة البرهامية الشاذلية الدسوقية وله فيها مكانة كبيرة لما له من حسن اللسان وبعض العلم الديني الصوفي فالشيخ ياسين عبارة عن خليط من عالم ديني ،مرف ما تحويه بطن كلمات الله من تفعيل، ويشتغل بالعلاج الروحي المخلوط بالتعاليم الشيعية الملطسمة، ولهذا كان له من السلطة ما ،كفي للتأثير على كل الملكومين والحيارى من أتباعه، بل كان يضغط

بسادية على مريديه ويجبرهم على إجراءات قاسية أقلها الخلوة والصيام المتكرر وقيام الليل للصلوات بتكرار فلكي ولا يترك راغبيه إلا في حالة من الإعياء والدروشة أشبه ما تكون بالسُّكر المتواصل، ولدرجة لا يمكن الحكم الحقيقي لفاعلية مثل تلك الإجراءات القاسية المبالغ فيها.

فقد أرشد أحد مرضاه لإرسال عشرين شخصًا للعمرة لما لمس أنه ميسور الحال يعاني من الحسد المزمن وطبعًا نفذ الرجل النصيحة وفي صمت نسب الكرم كله للشيخ، وبالتدريج أصبح الشيخ ياسين من أهل الخطوة، وأهل الفضل وأهل العلم لكل المتابعين.

وبالرغم من حملات التشويه والتعليقات السلبية إلا أن الرجل يذيع صيته يومًا بعد يوم ويصبح من كبار المعالجين الروحانيين، وعلت بعض الأصوات بأنه يسخر الجن بالأعمال السفلية، وليس بكلمات الله التامات كما يزعم.

لقد حضر له بعض الرجال من غرب البلدة، حيث الصحراء الغربية المتاخمة لحدود الصعيد الغربية.

يستقبلهم الشيخ بترحاب ويقوم معهم بواجب الضيفة في مضيفته الخاصة خلف المسجد الكبير.

صخب المولد على أشده.

يقبل عليه رجل تظهر عليه مخايل الزعامة بين رجاله.

- بنعاد عليك بالخير يا شيخ ياسين.

- وينعاد عليك يا مقدس بخيت بالخير يارب.

- السلطان الفرغل حبيب الكل أقباط ومسلمين وكراماته فوق الوصف.

- ليا كلمتين معاك يا شيخ ياسين.

انتحى الشيخ ياسين بالمقدس بخيت في كلام هامس.

- مافيش وقت يا شيخ، هو مشوار ساعتين ونرجعك بمشيئة الرب.

تظهر على ياسين مخايل الاهتمام التجاري إذ إن هذه الزيارة المزعومة وراءها على أقل تقدير عدة آلاف من الجنيهات، وربما أكثر لو كان الأمر مشمولاً بالإيجابية.

هو يعرف في هذه الأمور بما لا يقاس.

وافق على الرفقة، واستأذن منهم قليلاً، ثم عاد بعد دقائق ثقيلة بادي الإرهاق.

يخرج الشيخ ياسين خفية معهم، ويركبون السيارات متوجهين إلى غرب البلدة متجاوزين ترعة النيل الكبرى ليتوغلوا أكثر في الصحراء مبددين ظلام الطريق الساكن بكشافات السيارات المصاحبة.

الطريق لا ينتهي والرجال يتحدثون مع الشيخ ياسين في مختلف الأمور عدا الأمر الذاهبون لتنفيذه.

الطريق أصبح أكثر وعورة وشعر الشيخ بأن الطريق يتخذ مسارًا صاعدًا متعرجًا.

والجو نفسه بات أزرقَ مشحونًا بالخطورة والغموض، وعلى مجال الإبصار وتحت أضواء النجوم، يلمح الشيخ بعض الرجال المتوارين في نتوءات الجبل.

أخيرًا تقف السيارات بالقرب من جرف رملي شديد الوعورة به الكثير من الأخاديد.

-أنت الآن في جبل أسيوط الغربي حيث تحتشد بعض المقابر الفرعونية السرية لحكام الإقليم البائدين.

ينزل الجمع من السيارات وبصحبتهم الشيخ ياسين.

ويشير المقدس بخيت، وهو بالمناسبة ليس قمصًا أو قسيسًا، بل هو رجل قبطي يتزعم مجموعته ويديرهم بحزم وثقة، ولم يجد ياسين أجمل من كلمة مقدس ليضفي عليه هيبة دينية موازية لهيبته هو.

يصعد الرجال عبر مدقات الصخر لمنطقة أشبه بالجدار الصخري.

- هنا يا شيخ ياسين.

كان المتكلم هو المقدس بخيت.

وإيه اللي عرفك أن هنا فيه حاجة يا مقدس.

رد عليه بنغمة جنوبية.

قبل سابق جبنا اتنين هنا وقالوا إن المنطقة دي فيها، لكن معرفوش يحددوا.

يصمت الشيخ ياسين تمامًا، وتتخذ شخصيته خطورتها الحقيقية.

ويمد يده يتحسس الجدار الصخري المتعرج في مساحة واسعة منه منمًا بسورة ياسين عدة مرات، ثم يتابع النجوم في السجادة السماوية سوداء ويحسب بعض حساباته، ثم يختلي لنفسه ليتكلم في هاتفه محمول قبل أو يعود للمكان مرة أخرى.

ثم يصيح، وقد لصق فمه بالجدار المترامي:

((توكلوا يا خدام هذه السورة الشريفة بحقها عليكم وطاعتها لديكم أظهروا وبينوا لي ما في هذا المكان من خبيئة أو دفين أو كنز بحق هذه الآيات عليكم توكل يا طارش يا ملك العمار أنت وخدامك وأعوانك أظهر لي ما في هذا المكان بارك الله فيكم وعليكم)).

يقولها بإلحاح عدة مرات.

ثم يصمت تمامًا.

وينفرد بنفسه قليلاً، ثم يظهر كالمنوم.

ينظر المقدس بخيت للشيخ ياسين، ويشعر بأن الرجل منوم مغناطيسيًا يمشي بحركة آلية عجيبة، وهو يهتز ولولا علاقته القديمة به وما سمع عنه من قدرات وثقة من زملاء آخرين ما أوكل له بالمهمة الكبرى.

فمن ضمن أنشطة الشيخ ياسين هو تسخير ملوك الجان للكشف عن أماكن المقابر والآثار والكنوز القديمة، وكان يأخذ على تلك المهارة سخاء شديد إذ إن الزيارة الواحدة للشيخ ياسين تقدر بعشرين ألفًا في الكشف فقط.

أما في الإقامة وتحديد أماكن الحفر، فكان يأخذ نسبة خمسة بالمائة من حصيلة الكنز نفسه، وهو ترجمة لخمسة أو ستة أصفار في حالة التنقيب الإيجابي.

الآن الصمت يخيم على المكان.

الشيخ ياسين يتفصد عرقًا وهو ذاهل عن الوجود، ومستند على الصخور.

يمد أذنيه ويحركهما يمينًا ويسارًا كخفاش في الظلام.

تم ارتجف رجفة عميقة، وهو يثبت أذنه في اتجاه معين، ويسمع الهمس من عمار المكان مع رفقائه من الشياطين، يبدو أن المكان إيجابي نعم نعم.

....

الجدار به مقبرة وحيدة لفتاة جميلة دفنت سرًّا بعد أن قتلت قبل ثلاث آلاف سنة وبالتحديد في عصر الملك سنوسرت الثالث 1985 ق.م حيث كان يحكم الإقليم أمير مخلص للفرعون العظيم، ويبدو أن الملك له قصة حب عاشت هنا وماتت أيضًا هنا.

واغتم قلب الفرعون وأمر بتحنيط الجثة، ودفنها مع قلبه الكسير.

وقام أمير الإقليم الشاب المخلص بتنفيذ الوصية.

وحنطت العشيقة الراحلة ودفنت في جدار الجبل كما يدفن الجندي المجهول بلا اسم فقط مراسم الدفن الملكية بدون اسم.

وصلت المعلومة الأولية للشيخ ياسين عبر خدامه السفليين.

وأعلـن أن هـذا الجـدار به كنـز فرعوني هـارب من أيـدي المنقبين وعلماء الآثار.

وكانـت هـذه هي الخطوة الأولـى وتقاضى عليها العشـرين ألفًا من الجنيهات.

بقيـت الخطوة الأصعب وهي تحديد مكان (النحت) وليس الحفر، لا تنسـوا أننـا نتكلـم عن جدار صخـري وليس أرضًا تحفـر، وهو ما لم يحـدده الشـيخ بعـد، فهذا شـغل آخر، القـرار فيه ليـس هينًا أبـدًا؛ لأنه مكلف ويستغرق وقتًا غير قصير، وعمالاً وتأمينًا ومؤونة.

أنـت تتكلم عن نحت في الصخر وليس الحفر العادي الذي نسـمع عنه.

غادر الشيخ الجبل نازلاً إلى حيث السيارات المنتظرة.

وفي طريق العودة حيث المدينة والمولد قبض الشيخ مقدم الأتعاب وقدرها ثلاثون ألفًا.

تمهيدًا لعقد جلسـة أكثر تعقيدًا لتحديد مكان عمل ثقب في الصخر لينفذوا إلى مقبرة العشيقة الملكية، ولكن هذا له ترتيب آخر.

عاد الشيخ ياسـين إلى المولـد وبالرغم من الصخـب العاتي حول الجامع وبالرغم من سـرية ووعورة المكان وخطـر المعلومة، وقبل أن يخـرج المقدس بخيت عن حدود المركز طارت مكالمة طازجة تحمل التفاصيـل إلـى بيـت راقٍ في حي مصـر الجديـدة بالقاهـرة بالتفاصيل الأولية.

والذي تلقى تلك المعلومة هو السيدة سلوى نفسها والتي أجرت ثلاث مكالمات

واحدة لمدرب التنمية البشرية أمجد،

وواحدة للأسطى رضا،

ولكن الأخير قام بعمل مكالمة من نصيب تلك الحسناء جنا، وهي ابنة للسيدة سلوى، ولكنها تعيش مع أبيها.

السياسي المخضرم ونجم الفضائيات ورجل الحزب الأصيل وطليق السيدة سلوى السيد(سعد الدين حلاوة).

والذي أجرى بدوره اتصالاً برجل أخطر في درجة عالية من هرم السلطة.

وهذا الأخير أجرى اتصالاً هاتفيًا بسيدة على أكبر قدر من الخطورة ليسمع منها كلمة واحدة.

- المهم عندي هو الدهب والزئبق الأحمر ومش مهم التمن.

والثانية كانت لرضا.

***

المكان صفحة (((عذبني شكرا))) على فيس بوك

محادثة بين حسابين مختلفين الأول باسم سيزيف، والثاني باسم عاشقة الأقدام.

هاي

هاي

بقالك كتير مختفية.

فعلاً كنت مسافرة، وانشغلت بحاجات كد.

طيب وإيه النظام؟

مش عارفة قول إنت.

نبجي على المسنجر أو سكاي بي عشان نفتح الكاميرات.

الموضوع ده زهقت منه، وبحسه شغل عيال صغيرة.

طيب إيه تحبي نتقابل؟؟

مش عارفة.

ايه مش عارفة؟؟ إنتي بتحبي الشيء اللي أنا باعمله، والعكس
م يبقى إيه؟

مش قادرة آخد قرار بالمقابلة دلوقتي، ممكن خلال الأسبوع
.

راحتك.

***

ادثة أخرى

ام عليك صور رجليك الحلوة دي يا سيزيف.

- لو عاوزة تبوسيها قوليلي.

- طبعًا عاوزة جدًا ده إنت رجليك تجنن.

- خلاص نتقابل.

......

- ساكتة ليه؟؟

- مش عارفة مترددة وخايفة.

- متخافيش أنا واحد محترم جدًا، ومتقلقيش أبدًا، وهبعت صورتي عشان تطمني أكتر

....

- واو دي صورتك يخربيتك ده أنت ولا كولوني.

- أوكي خلاص بقى يبقى نتقابل.

....

- قلتي إيه؟؟

- موافقة حدد إنت فين وإمتى؟

- أون ذا رن ON THE RUN مصر الجديدة الساعة 9 النهاردة

- ديسسسل يو هاف أ ديت YOU HAVE A DATE.

هعرفك إزاي.

أنا هعرفك متقلقش.

أوك هستناكي.

في نفس يوم المحادثة ينزل هشام من سيارته الرياضية ويدخل بوسامته ابضيف للمكان رونقًا آخر بحضوره، ويبحث بعينه الصافية عن تلك العاشقة للأقدام وينتظر كثيرًا، وتنتابه بعض العصبية، فغروره الملاصق لوسامته يأبى عليه إلا أن يكون ملكًا متوجًا على عرش أي امرأة.

المكان يعج بالرواد من الجنسين شباب يرتدون البنطال الساقط حتى وسط الإلية، وبنات تشبههن الشباب في الرجولة والتحرك.

ثم تدخل غادة حسناء مبهرة ترتدي السواد في التاسعة عشرة من عمرها تجعل القمر ينزوي بعيدًا متحسرًا على سمعته التي سوف تنسفها تلك الأعجوبة الجمالية الصارخة.

تقف أمام الكاونتر وتشتري بعضًا من التبغ الغالي الثمن، ثم تتجه للمبرد المزدحم بشتى المشروبات، وتأخذ علبة لبن جوز هند، وتشرع في شربها باسترخاء.

بالطبع لفتت نظر هشام بجمالها الصارخ.

تشاغل عنها بقراءة بعض المجلات وهو يدخن سيجارته.

اتجهت له في ثبات.

وقفت أمامه تحييه قائلة:

- هاي سيزيف.

نظر لها بعدم اكتراث رديء.

- مش بطالة.

لتنظر له الفتاة متغاضية عن الرخص في الحديث ومنبهرة بتفا

وتم التعارف السريع، وارتاحت الفتاة، واطمأنـت تمامًا له ؛
العموم شخصية مريحة تشعر معها بالأمان والخصوصية.

- اسمى جنا.

- وأنا هشام.

- برج إيه يا هشام؟؟

- أنا برج الدلو وإنتي.

- أنا برج الحوت.

- بحب بنات الحوت جدًّا.

- وأنا مبحبش رجالة الدلو خالص مالهومش أمان.

- هههههههه بالعكس ده أنا الأمان كله.

- إنت منين؟؟

- أنا من المهندسين وإنتي.

- أنا من هنا.

أنـــــــــــــــا هشام

اقترب أكثر مني لو تجرؤ فقط شاهدني من بعيد فتفاصيلي
لعيونك ومحبطة لحماسك لنفسك بطريقة لن تصدق، فأنا

" موذجية للرجل كما تراه في إعلان للساعات، أو السجائر، شعري غزير
«سبر لامع تنتشر على صفحة وجهي شعيرات أنيقة تظهر عشوائية، ولكن
.. زعة بدقة الهاي ديفينشين تنتظم صفحة وجهي بكونتور قياسي من
بث التقاسيم الرجولية الإعلانية للأناقة تلين ملامحي وتتصلب بطريقة
مدروسة أعبر بها عما أريده دون أن يعرف الآخرون فيما أفكر بالضبط
أتهاون بحق الآخرين بقدر اهتمامي بحقوقي وحفاظي عليها فالناس
عندي ليست سوى قطيع من المجموعات المتشابهة جدًا فقد أعتبرهم
مجموعة من النمل أو القرود مهما كانت صفتهم ودرجاتهم لا أملك
مشاعر محددة لشخص ما فأي إنسان عندي هو رقم وتصنيف ولا أكثر من
ذلك وأسعى دائمًا لتوسيع رقعة امتيازاتي بأي ثمن أقدر على دفعه أواظب
على ممارسة الرياضة فقط ليتجلى انتشار الشعر في جسدي الفارع بشكل
أنيق، أمارس القراءة في مختلف المجالات لأثري لغة حواري مع من
أريد وإن اجتذبتني العلوم الروحانية أكثر وأظن أن هذا عائد لاحتقاري
الحياة نفسها فأنا لا أخاف الموت وأظن أن الحياة الأخرى أكثر روعة
ونقاء وكفى تلك الحياة المصارحة الأبدية بين سكانها.

كذلك أعمل في وظيفة تلامس إلى حد ما شخصيتي فأنا مهندس
ديكور أمارس بكل إخلاص انعكاس شخصية العميل في الديكور
الذي أقوم به له.

وكم من شواذ النفوس يعيشون بيننا ويبدون كالآدميين ولكنهم
غير ذلك تمامًا فلو سقطت الأقنعة سترى مسوخًا خارجة لتوها من
مستنقعات القار.

بمجـرد ما يدخل العميـل إلى مكتبي أقرأه ككتـاب أطفال، وأعرف نوازعـه وميولـه وأكلمـه فيما يحب أن يسـمع تمامًا وأطابـق ذوقه على الديكـور ليخـرج عملاً فنيًا شـديد الغمـوض، فذوق العميـل مخلوط بتفاصيلـي أنـا، ورضـا العميـل عني أوصلنـي لأعلى منصـب في تلك الشـركة، وحوصـرت تمامًا بحقد وغيـرة الزملاء إضافة إلى استغنائي الطبيعي عنهم مما ساعد في خلق فجوة عميقه ضيقة الفتحة.

لا أهتـم أصـلاً بأحد على الإطـلاق، وأظن أيضًا بثقافتي المكتسب أنني معقد.

أو كما سيقول صديقي الملحد المثقف أنني شـخصية سايكوباتية وبحكـم قراءاتـي وجدت أنني بعيـد كل البعد عن إيـذاء الآخرين، فهم مـن يفرضون نفسـهم على ذاتـي، ويجبرونني على تعامل شـخصي أنا فـي غني عنه أصلاً، فعقلي مزدحم بأفكاري ولا أريد أي مشـاعر واردة مـن الخارج. لا أحمل ذلك المصطلح الذي يسـمى بالحب، وأرى انه احتيـاج فيزيائي يوكد الرغبة في الإشـباع من الالتصاق بهذا الشـخص بالـذات دون غيره فقـط لتحيل حياته إلى جحيم مقنـع بالاهتمام والود والعـداء والعتـاب ومـا إلـى ذلـك مـن الأشـياء ذات الاسـمين وذات المعنيـن، علاقتي بربـي علاقـة مدللـة، وديني هـو مجـرد تصنيف أو تحديد «ا لا يعيقني عن حرية الاعتقاد فيما أشـاء فنشأتي جاءت شديدا التعقيد جعلتني أبدو منرددًا بين الطقوس والاعتقاد نفسه.

(أبي وأمي وعم منصور)

ذكرياتـي ضبابية عن أبي فهو شـخص ما كان يأتـي لزيارتنا أنا وأمي
،اني بألعاب وأشياء لطيفة جدًّا، كان معطرًا جميلاً أكاد أراه أجمل من
، المتجهمة في وجهي دائمًا بحكم التربية الشـائعة في ذلك الوقت،
،ملقـت بـه مع الأيـام فهو يبـدو أرقـى وأكثر تحـررًا من أمـي وأهلها
،متزمتين المتشنجين أخلاقيًّا.

ما زلت أذكر ضحكته الصافية ومزاحه مع مطلقته - التي هي أمي -
الرغـم من التوتر العام المصاحب لوجـوده وقت زيارتي وكان يهمس
، أذنـي بكلمـات كان لها مفعول السـحر علـى شـخصيتي، وبلغت
، بيت جدتي الثانية عشـرة حيـن انقطع ذلك الرجل مـن حياتنا بغتة،
سـألت أمي بإلحاح عما دهاه، ولِـمَ لا يأتي فلم تعرف إجابة، فقط هو
،نفـى تمامًـا وتقاذفني الحنين الحقيقي لـه، وكرهت وجودي مع أمي
أهلهـا المتناقضين، وافترسـتني أحلام اليقظة فـي التحليق بعيدًا لبلاد
ـكن فيها أبي في قصره، وينتظرني ليمطرني بكل الملذات ويسمعني
،ضحـك علـى نكاتي ويلهـو بالكلام الجـريء أمامي بينمـا أتصنع أنا
ـخجـل، أما فـي الواقع فقد اسـتبدل أفيش أبي الزاهـي بأفيش تجاري

لفيلـم مقاولات اسـمه زوج أمي ذلك اللزج الأملس مقوس السـاقين، صاحـب الوجه الضخم اللحيـم بعلامة الصلاة الثلاثية بوجهه مسـطح تنتشر عليه شعريات في ذقنه، وجسم أكرش غليظ لتكتمل لوحة الجمال حين يجلس بجانب أمي ليلقي محاضرة أخلاقية عن الرجولة والخوف من الله ويراقب خلسـة نظرة الاستسـلام المطمئنة من أمي، لقد احتلها الوغد نفسـيًا تمامًا لأمضغ أنا ذلك البلغم المسـمى ب(منصور خليفة) الورع التقي الذي لا يهمل صلاة ولا ينسـى شـعائر، وحملت منه أمي، وآتت ببعض الكائنات الشـبيهة بالبلغم الكبير، كأنها بصقات على وجه حياتـي وعرفـت بالتجربة أن كرهي له أو حبي لا يعنيان شـيئًا عند أمي، إلـى أن جاء يوم سـب الرجل سـيرة أبي ونعته بالمخنـث ولمحت تلك الاهتـزازة الموافقة من أمـي، لتغلي حممي وتشـتعل كراهيتي ومع كل هذه الحرارة نضجت شـخصيتي الكتومـة التي لا ترمش لهفوة، ومرت تسع سـنوات تجرعت فيهم الهوان الداخلي على يد ما يسمى بأسرتي، فالرجـل لا يعـرف الخصوصيـة ويتدخـل فـي كل كبيـرة وصغيرة بكل الطرق الاسـتعراضية. أذكر يـوم وجد صورة عاريـة لمادونا في كتابي، أثـار فضيحـة على مستوى الأهـل والمعـارف، وادعى أننـي مهووس جنسـيًا، وأنـه يخاف علـى إخوتي مـن وجودي منفـردًا معهـم، وأيضًا التزمت الصمت تمامًا ولـم أعلق على هذا التشويه المخزي.

إضافة لبخل متعمد لا يتماشى مع مصادر دخل تركها لي أبي متمثلة في شـقتين في حي المهندسـين كانتـا تؤجران إيجار مفـروش، وكيف استحوذ على إحداهما لشقيقه يدفع إيجارًا بخسًا لا يوازي عشر القيمة،

، سط هيمنته على الشقة الأخرى، وحاربَ السماسرة والمؤجرين
! مف لنا كاللقمة في الزور.

كل هذا وأكثر.... وأنا أنمو كنبت شيطاني متوحش.

ومن طرفي ظللت صامتًا أكتم فقط وأعرف أنها مسألة وقت.

كان زوج أمي معتادًا على الفياجرا والمنشطات الجنسية، وسمعته «ول للصيدلي في الهاتف: أريد حبة بلا آثار جانبية؛ لأن النوع المصري سبب صداعًا عنيفًا، وعرفت أيضًا أن الضغط يرتفع تلقائيًا مع مفعول الحبة زرقاء اللون.

وكان ذلك البلغم مريض بالضغط - واكتملت لدي فكرة، ونفذتها كل بساطة، وكنت في التاسعة عشرة من عمري،

شريط فياجرا مصري - طبق بليلة ساخن يحبه الرجل من يد النعسة أمي،

سلطانية عملاقة من مزيج الحليب والقمح والزبد والسكر ومسحوق شريط من الفياجرا لتكتمل رجولتك يا عم منصور، ولينتصب ميزان شهوتك مهتزًا ومشدودًا إلى مؤشر الشلل.

انتهزت دخول أمي لغرفتها لتأتي له بسجادة الصلاة.

وأفرغت المسحوق بالكامل في السلطانية وانزلقت بمنتهى الهدوووء عائدًا إلى جحري، عادت أمي، وقدمت له البليلة الساخنة والتي ستحرق شعيراته الدموية إلى الأبد.

وقـد حـدث..... فقد تزامـن طبق البليلـة مع أخذه للحبـة الجديدة لتكتمـل الرؤيـة منفوخة العـروق وظاهرة في ارتفـاع جنوني في ضغط الدم ومرسلة عدة جلطات في المخ مصحوبة بالشلل النصفي.

وقـع الرجل، وبكيت أمي وأطفالها كثيـرًا إلى أن قبلوا بالأمر الواقع وتعايشوا مع الموضوع كما تتعايش الحيوانات في قفص الأسر.

والغريـب أن معاملتـي لـه تحسـنت تمامًـا، وصـرت أخدمـه بـكل إخـلاص، ليس للشـعور بالذنـب كمـا تتوقعـون، ولكنـه كان جديـرًا بالشـفقة فـي نظري فالتواء شـفتيه ورميته متقوسًـا على السـرير قد أثار فـي شـخصيتي نزعـة أمومية عجيبة كمـا أن هـذه الصـورة النهائية من تدبيـري أنـا، ومن صناعتي وليَ الحق في الاعتنـاء بها، فصرت أواظب على حضور جلسـات العلاج الطبيعي معه، وأهتم بدوائه لا لشـيء إلا لأقـول له: أنا معـدن لا تعرفه أيها البلغم الكثيـف، ولكم راقني رقدتك وعدم سـماعي لصوتك الخشـبي مرة أخرى يتردد بـكل الهراءات التي لا يجيدهـا إلا أمثالك ولو كان الـرب راضيًا بزبيبتك الثلاثية ما عوقبت باستلقائك طريحًا مبللاً مقوسًا في فراش أمي.

والعجيب أنه أثنَى علي باعتباره من رباني وأحسن تنشئتي.

تحـررت جزئيًـا، وصـرت أدخـل وأخرج وأمـارس حياتـي برقيب مشـلول يسـتجدي مني العطـف والاهتمـام، وتجلت شـخصيتي على البيت كاسـحة كل نفوذ للرجل أو لأمي أو أي شـخص آخر في مستوى العائلة، وصارت خطوتي أكثر اسـترخاءً وصرت أعني به بحزم وتسلط وأشـرف على علاجه من باب التدخل في شـئونه، وأمنع عنه الأصناف

يحبها ولن تؤذيه كثيرًا، كنت أرى في نظرة عينه ذلك الشعور الذي
مسح خسارته ومكسبي، وكانت تتجلى من رأسه هزة بطيئة توضح أنه
نف المذلة ببطء وتلذذ، وكان لا يعصي أمرًا ويستسلم بلا شروط.

.

وتماثل الرجل للشفاء الجزئي، وخرج من التجربة بشفاه مهتزة يجر
انبه الأيمن رفيقه الأيسر ونظرة مبتلة وعكاز اشتريته بنفسي كهدية له.
وبلغت الحادية والعشرين، وأجبرت أمي ضعيفة الشخصية كي
ازل عن حقها في الشقتين، وتصنعت فضيحة جنسية بجلاجل
ارجل شقيق منصور، وأخرجته بطريقة فجة لأستولي على حقوقي،
بصبح عندي رأسمال لا بأس به ابدأ به حياتي المهنية.

ما زلت أذكر أول يوم لي في شقة المهندسين.
التحرر أو ذلك الإحساس الذي يشعر به مشط قدمك بعد أن تخرجها
ن حذاء ضيق وتضعها عارية ساخنة على البلاط البارد المرحب.
كان هذا شعوري تمامًا بلا زيادة ولا نقصان.
كل شيء ملكي الآن، أتدبر أموري بتنفس منتظم ونفس مسترخية.
فكل شيء أصبح هادئًا ناعمًا وممزوجًا تمامًا بالحرية والانطلاق.
أنهيت دراستي للديكور في كلية الفنون الجميلة بارتياح وتلذذ.
وغادرت عالم أمي تمامًا تاركًا الأسرة تعوم في التكافل الديني بينهم
الأعمام يدبرون أمور أخيهم، وزوجته وأبناءه، وبالطبع يكرهونني

كالوباء بسبب ما فعلته لشقيقهم الذي فضحته، وأمي تشمل كل شيء برضاها الصامت، وسلبيتها الموروثة.

أما أنا فكائن حر، بل اعتبرت نفسي كائنًا كونيًا يهيم بين سدوم الملذة والحرية اللا متناهية.

تنامت لدي أشجار غليظة الجذوع صخرية الخشب من التسلط والصلابة والقسوة مختلطتين تمامًا بالشهوة لكل ما هو شاذ وقاسٍ، وقضيت لياليَّ أمارس التعبد في محراب الغريزة مخلص القلب صافي التركيز، لعل التركيز في الملذة يختلف عن التركيز في العبادة فأنت في المتعة يكون تركيزك منتصبًا فوارًا وتتضخم الأنانية مطلقة دفقات من الذاتية والانضغاط، لكن في تركيزك مع الله تكون خاضعًا مرتخيًا متقبلاً الذل والإحساس بالتقصير مراقبًا لفتحاتك وإفرازاتك، ومن تلك النقطة توقف تفكيري، وانطلقت بحزم ونهائية للخيار الأول مؤجلاً أي مشروع للالتزام لأجل غير مسمى.

بعت شقة واستقللت بالأخرى وبدأت مشروعًا صغيرًا لديكور المطابخ.

وفي هذه المطابخ اختبرت مدى قوتي وسحري على المرأة وسيطرتي الكاملة على نوازعها لأجبر زوجها على الامتثال لرغباتها التي تترجم لمصلحة مادية محترمة بالنسبة لي وكبر المشروع بالتدريج، لم يحدث انفجارًا ولكنه أحدث استقرارًا الزمن لا يستهان به واستمر نجمي في صعود هادئ، ولكنه ملحوظ لأولاد الكار في مهنتي وأصبحت مطابخي تحمل شعارًا كما الماركات العالمية، بل وصل بي

.كنـي إلى استخدام إعلانات تلفزيونيـة أقوم فيها بتقديـم اقتراحاتي
ثل سـيدة في مطبخهـا إلـى إنْ ذاع صيتي وأسسـت مكتبًـا فاخرًا في
المهندسين لامع السمعة، ثم حدث وضمتني شركة كبرى للتجهيزات
نفس السياسـة الاسـتعمارية تبوأت منصب المستشـار الفني للشركة
حدث التغييـر وفقًـا لرؤيتـي الفنيـة وبسـطت نفـوذي علـى الجميـع
تحولـت مع الوقـت لراهب بوذي أقيد شـموعي بمفـردي وأتعبد في
حراب نفسي بطقوسي الخاصة لم أقم للجميع وزنا سوى أنهم بعض
التفاصيل والنفسيات مجرد مجموعة من المتشابهين فقط يميز أحدهم
من الآخر أنه متشـابه مع متشـابهين آخرين ونمت شـخصيتي لاكتشف
مواطـن التابو رويدًا رويـدًا وعلى انفراد بطيء تنازعتني الشـهوة بطرق
جديـدة وطبعًـا الانفـراد يعنـي الوحدة والوحـدة تعني الاختيـار الجيد
لفقـاء المتعـة والميـول الخاصة وأكسـبني ذلك الاحتـكاك المنتفض
خبرة لا تهون في دنيا المتعة الخام.

جعلـت كل امـرأة عرفتهـا إلى مجـرد بوصلة ممغنطة لا تفعل شـيئًا
سوى أن تنظر لي وترتجف عذابًا واحتراقًا دائمًا متجددًا.

فأنا تجربة تفوق التدفق وتوازي التخمة طويلة الأمد.

بل أعتبر نفسـي حصان طروادة الفيروسـي الـذي دخل بصفته هدية
فانفجر منه جنود الاحتلال المتمثل في ذكرى حارقة لأي امرأة جربتني
وعرفت معنى أن أهرس لحمها تحت حذائي السينييه.

(مدام أميرة)

الليلة هو موعدي مع مدام أميرة في الخمسين من عمرها تعتبر أن العشق هو استثناء بسيط في التزامها الديني كمن يحل له الإفطار في نهار الصيام كعذر شرعي فكانت مدام أميرة تعتبر أنه عذر شرعي أو ظرف استثنائي لا يجعلها تنحرف عن مسار حياتها، فهي كاتبة صحفية كبيرة تشغل كلماتها حيزًا لا بأس به من الصحف القومية، وتعرفت عليها كعميل يؤسس شقة جديدة بميدان روكسي.

أنثى تسمع صوت زئيرها في البراري تأففًا من تشابه الذكور عندها تزأر مللاً وتسلطًا، أنيقة محتشمة تلبس الجاكيت الحريمي الأنيق فوق تنورة قصيرة تكسو الركبتين بينما يمتد عنق الحذاء ليكسو القطعة الباقية من الساق تاركة حيزًا لا بأس به من الإضاءة، ينبسط وجهها شدًّا وبوتوكسًا من النوع الجيد، تعودت على امتطاء زوجها بمنتهى الاسترخاء، وبأقل مجهود، فهو هادئ مثل ابنه يتركان الدفة بيأس لمدام أميرة في القيادة، ووجدتها في نظري صيدًا وتحديًا لا بأس به أبدًا خصوصًا، وأن المرأة تتعالى في تعاملها بشكل متعمد أقرب للتسلط.

وثارت شهوتي تمامًا لاقتناص تلك اللبؤة، وتعمدت مفاجأتها في التعامل فبينما تتجبر وتتسلط أستجيب وأدلل، ثم فترة من التجاهل تبدأ هي بالاحتكاك لأي سبب مفتعل لتعيد التعامل معي مرة أخرى تبدأ فترة من التعالي والأوامر، أستجيب فيها ثم أنقطع فجأة من منطقة نفوذها، وفي أسبوع واحد تحولت مدام أميرة لحقل كهربي ممغنط تتطاير فيه الشرارات منذرة انفجارًا عاطفيًا سيالاً يغرقها تمامًا في العرق والإفرازات.

وقد كان...

اتصلت بي في أثناء فترة انقطاعي المتعمد لثالث مرة بدأت المكالمة، وبعد سلام وتحية متحفظة، سألتني عن أشياء هامشية ليبدأ الجد بعد ثالث دقيقة.

-وانت مختفي فين يا باشمهندس؟

-أصلي بعمل حاجة كدة في شقتي.

شعرت بفضولها، وهي تسألني:

-حاجة إيه ؟؟ ديكور؟

- آه حاجة كدة بعملها على مزاجي الخاص.

اشتعل فضولها،

-حاجة إيه يعني؟؟ بتنحت تمثال؟؟

-لا ... بعمل غرفة تعذيب.

شهقة خافتة لم تخطئها أذني.

-غرفة تعذيب؟؟ وفي البيت ؟؟ ومراتك هتقول إيه؟؟

-أنا سينجل يا مدام أميرة

.... تحبي تشوفيها؟؟

اشتعل حماسها، وكبرياؤها، وتعاليها في نفس الوقت.

وبعد ساعة كانت مدام أميرة تقف في شقتي بنفس التعالي والوقار والذكاء والجاكيت الأنيق.

رحبت بها ترحيب الدوق للأميرة، ارتديت بدلة كلاسيكية أنيقة بالبابيون الأسود، ولبست نظارتي المسائية ذات الإطار الأسود مستقبلاً لها بترحيب يفوقها احتمالها مع لمسة رومانسية دافئة، وموسيقى منبعثة من لا مكان.

نظرت للبيت في تأفف.

بيت واحد عازب.

تركتها تتأملني بدون إجابة، وسمعت موسيقى ممتعى تدق فيها الطبول ويمتزج العرق

-هي فين بقى؟

-هي إيه؟؟

-أوضة التعذيب.

نظرت لها بتركيز، وأنا أشير للداخل بدون كلام.

تجرعت ريقها، وهي تتابع أصبعي، ثم قامت وأنا وراءها.

ودخلنا لغرفة نومي الأورجوانية.

أجالت عيونها، ثم نظرت لي بتعالٍ.

-سرير ؟؟ ودولاب ومراية؟؟

-أنا افتكرت هلاقي كرباج وساقية وكرسي مقلوب.

اقتربت منها عملاقًا متجليًا.

-هتلاقيهم فيا أنا.

وانقضضت على خمسين سنة من التسلط والكبرياء.

جميل جدًا أن تذل المتغطرس فلا شيء يمتع قدر إذلاله.

فكنت أستمتع وازدرد لحمها المتعالي ببطء كأنني أرشف الشاي وبهذا الانحدار البطيء تمتعت بانزلاق ترددي محبب، وبكبس ميكانيكي زاخم.

واحدة واحدة،

إلى أن ينهار الصرح تمامًا تحت سنابك خيولي المثقلة بالإذلال والقسوة لأتوج انتصاري بمقصلة أقطع فيها الرءوس وأضعها هنااااااااك على الرف، فها قد قطعت رأس الغرور، ورأس الذكاء، ورأس الغطرسة، ورأس التملك.

تحولت بعدها مدام أميرة لسيجارة منطفئة قبل أن يكتمل إحراقها فلا هي رماد ولا هي تبغ.

فقط شيء تعرف أنك لن تشعله مرة أخرى بالرغم من بقاياه.

وبالطبع لم تجرؤ على النظر في عيني بالرغم من ملاحقتها لي بكل الطرق.

فهي أصبحت مجرد رقم ينتظر لا أكثر ولا أقل.

وامتلأ ذلك الركن القصي في ذاكرتي بصور لضحايا جذبي الكوني كانوا كواكبَ وصاروا نيازكَ تائهة.

بذمتكم فيه أمتع من كدة؟؟

ومع مرور الزمن توكدت سلطتي الذاتية، ونضجت جاذبيتي واستفحل كبريائي ووصلت لدرجة عالية من التخصص في مثل تلك العلاقات السرية شديدة الخصوصية، والتي فيها أتمتع بكل مزايا الحاكم بأمره، وكل طقوس الجلاد في مع المعتقلين في غياهب السجون، أستمع لأناتهن واستجدائهن لي، وأنا جالس على عرش بلوتو وسيما كزهرة النار بعيدًا ككوكب بلوتو نفسه، والغريب ومع كل الازدحام أجد أنني أميل للوحدة بكل معانيها، وأستمتع بذلك أيما استمتاع، وعودت نفسي على شيء مهم جدًّا وهو الاستغناء الأمثل عن الآخرين فلا حاجة لي بمشاركة هؤلاء المتشابهين لي في حياتي إلى أن تعثرت بحجر اسمه نهلة زوجتي التعسة.

واحدة من هؤلاء المتشابهين في نظري بشدة وإن اختلفت عنهم في أنها تثير شفقتي بطريقة لا تصدق.

تملك جمالاً طفوليًا وجسدًا أنثويًا يتبدى كرحم خصب، وذلك المزج بين طفولتها وأنوثتها أدناها من منطقة المراهقين الدائمين فهي تحب على نفسها ولا تعرف سوى التضحية من أجل من تحب بكل تلك البلاهة المثيرة للشفقة، ولأني لا أجد لها تأثيرًا الدي إلا في إبعادها عن طريقي.

وكنت أنا بالطبع من أحبت وتعلقت ووقعت على بوزها، والغريب أنني لم أملك أدنى رغبة في قتلها جنسيًا كما فعلت بالعشرات منهن، شيء ما في طبيعتها الشعبية وخنوعها يذكرني بأمي تلك التعسة الأخرى، أرى في ضعفها واستسلامها لمحة قاسية من أمي، وأبعدتها عني بنفس طريقة إبعادك عن طبق من طعام لا تحبه، فالتصقت وتوسلت ورمت بكل كيانها على عتبتي.

وحدث وأن تورطت تورطًا مفاجئًا كما سمعتم منها وتزوجتها.

وبالرغم من نجاحي مهنيًا، ومن نجاحي اجتماعيًا، فقد شعرت بثقل كريه في زواجي هذا، وأعلنت بكل صراحة أنني غير مرتاح، أتقلب على أشواك الملل والرتابة، ولا أنكر أنني حاولت بكل الطرق التفاعل خصوصًا أن الزواج أعطاني شكلاً اجتماعيًا أرقى وأبعد عني شبهاتي التي كانت قد بدأت تتسلل بخفة وانزلاق الأفاعي على سيرتي وسمعتي وخصوصًا أيضًا مع الحاسدين من مختلف الأشخاص الذين أعرفهم.

وجـاء ابنـي زياد كهدية مـن الآلهة لشـخص محبب لهـم، وعوقب أخيرًا بعقاب فريد من نوعه وهو الزواج.

فرحـت بـه فرحة معقـدة، وكرهت أن يصيـر مثلي فجـأة، فأنا أريده هادئـًا ناعم البال لا يشـعر بمثل ما شـعرت به أنا من عذاب وإحسـاس خافـت بالذنب من انحلالي السـابق، وتعمدت الابتعـاد عنه حتى أترك مساحة من الاحتلال لنهلة ذات الجذور الشعبية في تربية الولد أخلاقيًا، واكتفيت بالتدليل والاهتمام السطحي.

-لماذا يا هشام قررت عدم التدخل في تربية ابنك؟

هـل لأنـك لا تريده مثلك؟؟ هل تكره نفسـك لهـذه الدرجة؟؟ هل تشـعر أنك على خطأ ما وأن كل هؤلاء المتشـابهين على حق؟؟ أم أنك تريد أن تبقى نسـخة فريدة من نوعها ولا تريد امتدادًا؟

-لـم أهرب من الكفالة، بل هربت من المسـئولية، فأنا لا أريد صنع هشـام آخر وترسـخ داخلـي ذلك الاعتقـاد، وبقيـت أراقـب الولد من بعيـد، وألقي في وجدانه فقط ما يحب أن يرى مني، والعجيب أن الولد اسـتجاب بالفعـل لي لتردداتي وتفهمني بكل بـراءة، فهو ينظر لي بتحدٍّ بينمـا تلمـع عيونه بالضحـك والمكر وكأنـه يفهمني ويراقبنـي، بالمثل أتعامـل معه معاملة صديق السـوء المخلص ويتقبل منـي بكل ترحاب ابتعادي عنه وكأنه يفهم دوافعي.

حنيـن جـارف إلـى صمـت الوحـدة؟؟ إلـى تلاعـب الأفـكار فـي رأسـي؟؟ إلى بعض الأطباق الفرنسـية الأنيقة؟؟ أريـد طبقًا من اللحم

المعطر اللامع أغرس فيه بشوكتي وأقطع فيه بسكيني تلوكه أسناني يمتزج به لعابي أبتلعه، أهضمه، أزيله كما لم يكن.

لم أحبها قط ولم أقبل عليها وأظنني لن أفعلها فقط أتركها تتحسسني كما تتحسس أيدي النسوة ضريح الإمام، وتقبل يدي كما المؤمنين مع البابا أترك لها بعضًا مني كما نترك الحسنة على باب المحتاج ونذهب، شعوري بأنها فرضت علي جعلني لا أشعر ناحيتها سوى بالامتعاض نفسه، ولكنها بالفعل موجودة صاخبة تمارس دورها مثل الآخرين على أكمل وجه، وتتفانى في خدمتي كعبد وسيده وصارحتها بأمانة الأمراء بأنني لا أريدها، ولسوف أمهد لخروج آمن وكريم من حياتي، فانهارت وضغطت علي بابني وبمزيد من التنازلات.

لم أكن أشعر براحة في البيت عدا حجرة مكتبي التي أقضي فيها معظم وقتي أتابع على مواقع الإنترنت اهتماماتي وميولي الحقيقية كذلك لم أهمل ثقافتي، بل زدت عليها وحرصت تمامًا على تغذية عقلي بالقراءة القوية وبرزت لنفسي كمثل حي للتناقض بين عقلية راجحة وغريزة مكبوتة تريد التحرر مرة أخرى وكأني أخاف على ذكائي من كبتي لمشاعري وميولي وازدوجت شخصيتي بما لا يقاس وأيقنت تمامًا أنني حامل لكل فيروسات الأمراض النفسية، وبهذا اليقين رجعت بقوة لحياتي السابقة، ولكن بطريقة شديدة التعقيد.

....

دخلت مع جنا إلى شقة أمها تمهيدًا لتعارف أصرت جنا عليه.

كان بيتًا فاخرًا يتمثل في شقة واسعة من إحدى عمارات مصر الجديدة المدملجة تحتل الدور بأكمله، وتتناثر المقاعد الوثيرة في أرجائه، فالسيدة سيدة صالونات من الدرجة الأولى يجتمع عندها أهل الفكر والثقافة في مواعيد محددة سلفًا وتثار فيه النقاشات، وتصدح فيه موسيقى التخت الشرقي بتلك الطريقة المطربشة، وصادف أول تعارف لي في هذا الصالون انعقاد ما يشبه الندوة الثقافية.

كانت جنا على قدر غير عادي من الجمال الشرقي الممزوج بالملامح الغربية وهي البنت الوحيدة لطليق أمها السيد سعد الدين حلاوة رجل السياسة الأبرز في الفضائيات والمشهور بطريقته الملتوية في محاباة أهل السلطة فهو قواد ناعم البال يمارس التبرير كما لو كان يلعق الآيسكريم وينطلق مبررًا كل شيء يقويه ويدعم منابع المصلحة مثله مثل معظم ضيوف الفضائيات المدهونين بالخنوثة والفساد.

وكانت الأم هي السيدة سلوى العياط سيدة الصالونات ذات اللكنة الفرنسية والشعر المصبوغ والجمال الغابر.

تم التعارف ولم يفتني أبدًا لحظة الافتتان في عيون الأم المشدودة بحقن البوتوكس

واندمجت في الأمسية الثقافية كنجم وضيف شرف خصوصًا بعد ما ثارت تلك المناقشة مع رجل معتد بنفسه كأمجد مراد مدرب التنمية البشرية اللامع وأفكاره الإلحادية الصادمة في وجود رجل أكرش قصير، عرفت فيما بعد أنه رضا يعمل سباكًا أو نجارًا ويملك

فضيلة الشعر والإلهام، ويتحدث القوافي في حديثه بسلاسة تسليكه للمواسير، أو دقه للمسامير في خشب أملس.

وفي محادثة جانبية اجتمعت أنا والسيد رضا والأستاذ أمجد مع مضيفتنا المصبوغة سلوى.

جنا اختفت من الواضح أنها تحادث صديقًا آخر في الهاتف، ولم أعر لاختفائها اهتمامًا، فهي مجرد أوردر سيتم عاجلاً أو آجلاً أما الآن فأنا هنا بين مثقفين أريد إثبات وجودي بينهم، وشعرت بإثارة للجو العام.

- بس يا سيدي ورسولكم قال بعثت والدنيا هكذا - يقرب من سبابته وخنصره بطريقة كوميدية - وعدى أربعتاشر قرن من الزمان مات فيهم الملايين واتظلم فيهم المليارات حروب وأمراض وشر أصلي مرعب.

هكذا تحدث أمجد، وهو جالس يشرب كوكتيل الفودكا ويدخن سيجارة.

- وهو أربعتاشر قرن يبقى إيه في عمر الزمن يا أستاذ أمجد ؟؟ كمان ميصحش إنك تتكلم عن رسول بيآمن بيه ربع سكان العالم بالطريقة الكوميدية دي إنت فاكر نفسك بتتكلم عن توفيق عكاشة؟

كان ذلك كلام رضا.

- يا سيدي مقالناش حاجة ربع سكان الأرض بيصلوا ومرعوبين من انتقام الله اللي مسلط عدسة الميكروسكوب على واحد واحد فيهم عشان يخسف بيه سابع أرض كأنه خالقنا عشان يستفزنا في الأول ويعذبنا في الآخر.

كان هذا أمجد.

- رحمة ربنا وسعت كل شيء يا أستاذ أمجد.

- ربك اللي المفروض يكون رحيمًا كان المفروض يمنع الظلم اللي بيتعرضله الإنسان لكنه قاعد يتفرج على المذابح والحروب وظلم الإنسان بمنتهى السادية.

هكذا احتقن وجه أمجد بعصبية.

- أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم.

نطقها رضا بكل رفض لأفكار أمجد.

- أظن أن الإنسان هو اللي بيصنع الظلم لنفسه.

كانت أول جملة أنطق بها لينظر لي الجميع باندهاش.

فالغالب الأعم أن الرجل الوسيم فارغ العقل فما بالكم بالجاذبية الكونية التي أملكها أنا؟

- أعتقد أن الأفكار الإلحادية لا تجيب على أسئلة كثير يجيب عنها الدين بكل بساطة.

ظر لي أمجد بعيون جديدة فنظرته الأولى لدخولي كانت الغيرة من
اس جبار مثلي أنا.

أما النظرة الثانية هي التأهب للانقضاض على شخصي ليمحي به
ة الغيرة الأولى وأدركت هذا بمجرد ما نظر لي بتركيز.

- قصدك الخرافات بتاعة البعث والموت الحساب وجو البخور
؟

أجبته بمنتهى الاسترخاء:

- نظريات الميلاد وما قبل الحياة والنفس والروح بتقول أن فيه قوة
حدة جاذبة لكل الكون، وعلى فكرة الأفكار دي مكنتش مرتبطة
ن خالص، بل اجمع عليها علماء ملحدين كتير يبقى هنا الإلحاد
افض نفسه.

احتقن وجه أمجد من الواضح أنه غير مبرمج على المناقشات
الفلسفية.

- ممكن تسمي ده غباء العلماء ولو بتتكلم عن الإعجاز القرآني فده
ر هراء طلع بيه علماء الدين.

نظرت له مستنكرًا وبكل تحضر أجبته:

- عمومًا الحكم على كينونة الوجود متجيش من مجرد الإساءة
منقدات الآخرين المفروض أن الإلحاد تحرر وتقبل للآخر مش
د ممارسة عامه للبذاءة والتقليل من شأن الرموز الدينية أيًا كانت،

المفـروض أن الملحد يكـون مثل أعلى لتقبل وضاعـة تفكير الآخرين عشان يعرف يجذبهم.

نظر لي أمجد بحقد، والتزم الصمت، ولازمته حركة لا إرادية يعبث فيها بلحيته الأنيقة، ويمسـح عليها بهدوء، كان الوغد يتصور أنني لقمة سائغة لجرأته وفجوره، بينما دخل رضا الحوار بقوة التأييد لكلامي غير المفهوم له وإن كان يعتقد أنني على حق ما دمت دحرت هذا الأمجد.

- سـبحان الله ربنا رحيم حتى مع عقل الملحدين نفسـهم ورحمته بتخليهم يزيدوا في الغرور والغلاظة لكن .. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

تكلمت سلوى:

-أنا شايفة إن الدين والتدين والإله والرسل وكل ده اختيار إنساني، وشـايفة كمـان إن كل واحد هنا إمـا بيعبد ربه على طريقتـه، أو ليه رب خاص بيه، وشـايفة إن البلد دي عايزة الحكم الديني مش عشان القمع، لكن عشـان يعمم التشابه بين الناس ويخليهم مجرد نسخ مكررة بتعمل نفـس الواجبات، وبتاخد نفس الحقوق. حاسـة إن التيـار الديني مليان بالشيوعية القديمة لكن في وجود إله بيحاسب ويعاقب.

رد عليها رضا مدافعًا عن التيار الديني:

- يا مدام مش معقول نقول على الإصلاح تعميم في التشابه، الدين هنا بيقول إن الناس متسـاوية كأسـنان المشـط مش عشان متشابهين مع

ص لكن عشان الحقوق المشروعة، والواجبات الملزمة لكل فرد في المجتمع، ولا إنتي خايفة يلبسوكي نقاب؟

ضحكت سلوى قائلة:

-نكاب؟ وهلبسه على إيه ؟ على كريستيان ديور ولا شانيل؟

نظرت لرضا متيقنًا من تدينه الخفي، ومدركًا لما يقوله من توكيد.

- الحقيقة أن التيارات الدينية على مر التاريخ معملتش غير المذابح المعارضين وأظهرت من التنكيل أكثر ما أظهرت من الإصلاح.

وافقت سلوى على كلامي الثعباني مردفة:

- يبقى ناقص تتنصب محاكم التفيش بعد كدة، وبدل المقصلة والحرق يبقى قطع الإيد، ورجم الزاني، وقص الرأس في الأماكن العامة.

نظر لها أمجد غير مدرك للفخ الذي أنصبه.

- فعلاً أديكي شايفة في أفغانستان قص ورجم وقطع إيد ورجل بالخلاف ووجع قلب ودموية زي محاكم التفتيش في القرون الوسطى بالظبط، هو ده اللي إنت عايزه يا أسطى رضا؟

نظر له رضا باسترخاء.

- هو إنتو مش شايفين من الدين إلا ده؟ مش الدين ده اللي بيحفظ عرضك ومالك وبيحميك من الاعتداء، وبيضمنلك جنة وحساب على الخير والطاعة يعني هو الدين زي ما حرم الجنس المفتوح ما هو حلل لك الطلاق والزاوج وحلل لك الثروة، وشجعك على فعل الخير،

لـو إنـت شـايف رجم للزاني مـا هو عشـان يكون عبـرة لأي حد يهتك عرضك ولو هو قطع إيد السـارق عشان محدش يعتدي على مالك ولو هو بيقص القاتل عشان ياخد بحقك من اللي هدر دمك يعني الدين هنا زي ما ألزمك زي ما حماك ورفع قدرك.

نظرت لرضا بإعجاب من منطقه المتماسك، وسلاسة حديثه. شيءٌ ما في منطقه يلامس معتقداتي الذاتية.

– اللي أنا شـايفه من الناس بتوع السياسـة الدينية أنهم مجموعة من الهيجانيـن وخـلاص طـول الوقـت تحس أنهـم بيفكرو فـي أعضائهم التناسـلية وفي النسـوان إزاي يخلوهـم مجرد لحم محفـوظ في فريزر البيت لحين الاستخدام بس.

كان هذا مدرب التنمية البشرية.

نظرت له مفحمًا.

– عمومًـا الإسـلام كـرم المـرأة، وترك لهـا حرية الطـلاق والزواج والاسـتقلال المـادي عـن الـزوج، كل الموضـوع إنـه احتـرم ضعفهـا وحماهـا من التمـزق بين أيـدي الرجال يعنـي إداها حريـة كبيرة، لكن ألزمها الوقار عشان متفتنش، وتكون أكثر إثارة للرجل.

نظر لـي رضا بإعجاب كبير، بينما ضحكت سـلوى بسـبب عجزها عـن تصنيفي فكلامي مغلف بمنطـق اللوردات في عصور النهضة، وإن كنـت أتلمـس طريقًا لاهوتيًا كمن يملـك يقينًا مـن معتقداته تتلاقى مع الآخرين بهدوء، وترحل عنهم أيضًا في هدوووووء.

إنت غريب أوي يا باش مهندس.

نظرت لها.

الحياة فيها الأغرب يا مدام.

(اعرف أنك تريدنني بشدة أيتها الحيزبون، من عيونك أفهم، ومن لاجة شفتيك أترجم، ومن اهتزاز جسدك أشعر بمدى رغبتك في ل قدمي).

من بعيد أسمع دق الطبول، وعرق اللحم المرتعش.

لا لن أفعل، ليس لعفة طارئة مني، ولكن إمعانا في تعذيب تلك حيزبون المثقفة، وليوكنن عرضًا مسرحيًا الليلة، وكل ليلة، فأنا معجل بلحم الصغيرة الطازجة جنا.

ابنتها الرائعة جنا نفسها والتي عادت من محادثة طويلة في الموبايل.

نظرت لي بارتباك.

- سوري سيزيف، كنت باعمل كول مع ماي فيانسيه كمال.

نظرت لها بابتسامة، وقطبت حاجبي إذ أسمع منها لأول مرة أنها مخطوبة.

- كمال ده ابن حد مهم من معارف بابا، لطيف كيوت بس مش ماي ايب خالص.

- وقبلتي ليه لما هو مش التيب بتاعك؟؟

- أصل الموضوع مش فارق معاه أصلاً، وده مريحني أوي.

ثم نظرت حولها قبل أن تخفض صوتها تقول لي.

-أصله GAY

نظرت لها متعجبًا بشدة من منطقها.

- ولما هو لا مؤاخذة هتعملي بيه إيه؟؟

-إنت موش فاهم هو لما يكون كدة أكون أنا على راحتي، وميقدرش يقول لأنه لو قال على راجل أعرفه هقول على قبيلة الرجالة اللي يعرفهم حاجة كدة زي ديل (اتفاق) بينا.

- قصدك تقولي إنه يعرف اللي هيحصل بينا.

- موش إكزاكتلي طبعًا، لكن هو ممكن يعرف إن ليا علاقة بصم بودي وخلاص.

نظرت لها فوجدتها تتحدث عن الموضوع ببساطة متناهية.

-أراحني الوضع لأقصى درجة، فالصفقة رابحة خالية من الشوائب.

انتهت الندوة، وتبادل معي أمجد ورضا وسلوى أرقام الموبايل، ورحلت عنهم مودعًا جنا نفسها بقبلة طويلة متوحشة في غرفة جانبية.

وبالفعل، تم لقاء عاتٍ بيني وبين جنا التي اكتشفت أنه قبيلة من نساء عاريات يرقصن حول طوطم الرجل.

وكان هذا الطوطم هو أنا احتللتها تمامًا، وأحبت وجودي، وكلمتني عن نفسها بكل طرق المكاشفة المعروفة، وشعرت أنها تتعمد التجرد التام لأسرارها أمامي فقط لتتعرى فقط لتفضح نفسها أمام نفسها

ـمونها في علم النفس نظرية الماسوكيزم أو حب العقاب بالمصارحة ـاملة لكوامن النفس في إحدى ظواهره).

فالأم والأب منفصلان منذ زمن بعيد، وقالت لي جنا أن أمها تقول أن ـب هو الآخر gay ليس له في النساء أصلاً وبالرغم من هذا التصريح ـ أن جنا مالت لكفة الأب أكثر بنفس المنطق المشابه لموافقتها على ـطبتها لنفس نوع الأب تقريبًا وتنازعتها عداوة خفية مع الأم المتحررة ـي لا ترضى بغير الذكر بديلاً.

وعرفت منها أن الأم على علاقة بأمجد مدرب التنمية البشرية، وأن ـعلاقة بينهما استمرت سنوات خرج منها أمجد إعلاميًا مرموقًا بدفع ـاعي مباشر من أمها متمثلاً في الدفع المادي والثقافي والاجتماعي ـ الجنسي أيضًا.

فأمها كهف عميق تتلاقى فيه عظام الرجال القدامى مع جثث ـرجال الأحدث فقط ليتحلل كل شيء في أعماق ذلك الجب، ومن ـطريقة كلامها أيضًا، عرفت أنهم جميعًا ينتظمون في مصلحة واحدة، ـ إن كنت لا أعرفها على وجه التحديد لكن ثمة رابط بين الأم والأب ـ جنا ومدرب التنمية البشرية غير الجنس، لكن ما هو؟ لم أعرف حينها.

....

أحب النوم عصرًا فقط لأزيل آثار النهار عن نفسي، وأمارس النوم ـس بالاستغراق، ولكن بالاسترخاء الكافي لراحة أعصابي، هاتفي ـالمحمول يرن رقم رضا صديقي من صالون الحيزبون.

- أهلاً رضا.

- أهلاً باش مهندس، وحشتنا قلت أسأل.

- أهلاً بيك طبعًا يا أسطى رضا.

- فيه موضوع مينفعش نتكلم فيه في التليفون، ممكن أقابلك؟

تفكرت قليلاً، ولم أجد سببًا للرفض.

- أهلاً بيك اتفضل.

ووصفت له عنواني متفقًا على الزيارة في الثامنة مساءً.

في الموعد المحدد، حضر الرجل مصطحبًا معه قفصًا من المانجو الفاخر على سبيل الزيارة.

رحبت به، وأدخلته لمكتبي بعد ما ألقى التحية بطرف خافض إلى زوجتي.

وبعد السلامات والترحاب دخل في الموضوع.

- شوف يا باش مهندس، الست سلوى هي وأمجد قافلين علينا الميه والهوا وإنت بس اللي تقدر تحلنا.

- مش فاهم يا رضا.

- إنت صديق بنتها جنا، والبنت دي مفتاح لأبوها سعد الحلاوة، وسهل أوي توصل ليه عننا إحنا.

- مش فاهم أي حاجة، مالها جنا بيكو وبأمها أنا أعرف أنها عايشة مع أبوها.

نظر لي رضا بتريث.

- يا باشمهندس إنت الوحيد اللي تقدر تخللي جنا توصلك لأبوها به مصلحة حلوة لينا كلنا.

- كلكم مين؟؟

- أنا هافهمك؟

وتكلم رضا بما لا يخطر على بالي.

......

كان رضا يعمل خبيرًا مثمنًا للآثار يعرف منها الأصلي من التقليد ويحكم على القطعة حكمًا لا يخيب كما أن له قدرة استثنائية على التقييم وكان له صديقه الشيخ ياسين الشهير بأحاديثه في البرامج الدينية، ولكن ليس هذا هو كل شيء فالشيخ له قدرات خاصة تتمثل في تأكيد الحفر في مناطق معينة يحتوي باطنها على قبور الكفار الأوائل والذين نسميهم الفراعنة.

كان له تلك القدرة السحرية مستعينًا بخدامه من الجن والشياطين.

وكان رضا يلعب دور الخبير والقناة الموصلة للمشترين متمثلين في معارف السيدة سلوى داخليًا وخارجيًا، وإن كانت العمليات كلها تتم بتأمين خاص من سعد الدين حلاوة الذي يأخذ النصيب الأكبر من الصفقة، وكانت سلوى تذعن لتحالفها مع طليقها لأنها تضمن ارتداد لا يخلو من الأصفار الستة في كل مرة وهذا يكفيها هي وعشيقها أمجد لشهور من الترف والإسراف والملذة.

وعـرف رضـا بطـول التعامل أن طليقها هـو من يتولـى تأمين انتقا
وتحصيـل القيمـة عبر حسـابات بنكية معقدة تعـود بالفائـدة عليه أو
ومن ورائه سلسـلة متدرجة الحلقات ابتداءً من سـلوى وأمجد ثم ر
وياسين ثم أصحاب ومكتشفي تلك القبور نفسها.

شـبكة معقدة يرميها رضا في حجري، ويطلب مني رتق جزء مم
فيها.

- طب أنا إيه مصلحتي في ده؟

- هيكـون دورك هـو دور سـلوى وأمجـد وهتكسـب الملايـن ا
عرفت تسلك أمورك مع سعد الدين وعندك المفتاح.

- مفتاح؟؟

أيوة طبعًا جنا هي مفتاح أبوها وخطيبها.

خطيبها؟؟

إنت متعرفش كمال يبقى ابن مين؟

- مين؟؟

- يبقى ابن جثة تقيلة أوي أوي أوي.

هو اسمه كمال إيه.

يضحـك رضـا، وابتسـم لمغـزى كلامه مـن الواضـح أن - كمال
تسبقه سمعته.

أمه؟ دي تبقى الشاسيه الأساسي في العربية كلها، هي العضمة
اللي مبتتكسرش.

ههههههههه عشان كدة خاطب واحدة أوبن مايند open mind

- الناس بيقولو إنه ليه علاقة بأبوها نفسه، وكله في المليطة يا معلم.

ضحكت أكثر قائلاً:

- عشان يكون زيتهم في ....

قاطعني رضا قائلاً:

- في دقيقهم.

- طيب إيه اللي خلاك دلوقتي تفتح الموضوع ده ومعايا بالذات.

- أنا راجل ابن بلد، وأفهم اللي أدامي صح، وانت راجل بجد
وفهم في المصلحة.

أعجبني كلامه، وأثيرت أعصابي برغبتي في التسلية والمغامرة.

- طيب لما أفتح اللينك ده لازم يكون فيه مصلحة حقيقية.

- طبعًا يا باشا مصلحة متقلش عن اتناشر مليون دولار.

نظرت له بجشع مصطنع.

-إيه اتناشر مليون؟!

- دولار يا باشا مش جنيه.. دوووووولار.

- إزاي يا رضا؟

- إزايـدي لمـا تفتح اللينك وسـيب الباقـي علينا إحنـا هنعمل كل حاجة وإنت قاعد مرتاح تحت الشمسية.

- شمسية؟؟

- طبعًـا يا باشـا ده أنا هطلعـك رحلة مفيش حد بيطلعهـا إلا كريمة الكريمة في مصر.

وافقـت بـدون تفكيـر، شـيءٌ مـا يختـرق الرتابـة، ويحـدث تلـك الخربشات المريحة عندما تحك ظهرك بعصا.

......

توطـدت علاقتي بسـلوى وعشـيقها الملحد، ودعوتهـم مرتين إلى منزلـي تأكيـدًا علـى حميميـة لا أرغبهـا، ولكـن إمعانًا فـي ازدواجيتي نفسـها، فأنـا صديق متربص لشـيء آخـر، وطمحت في المكسـب كما يطمـح المقامـر علـى الطاولـة الخضراء ليـس لاحتياج ولكـن حبًّا في تعذيب نفسي بأمل المكسب وخوفًا من الخسارة في اللعب.

وطبعًا لم أرتح لمخالطة زوجتي التعسة خصوصًا ما يظهر عليها من استغراب وامتعاض لأساليب فكرهم نفسها.

وكنـت في هذه الأحيان أرتب لامتلاك مكان آخر غير منزلي تمهيدًا لانفصالي عن أم العيال، وترتيبًا لعش مستقر لذاتي وميولي، فقد كرست سفري المتكرر للساحل الشمالي لمقابلة جاريتي فائقة الإثارة جنا.

وتعـددت لقاءاتي معها، واكتشـفت أنها تماثلني فـي حب المغامرة والإثارة إضافة لتوافق جنسي عجيب لم أره في عشيقاتي السابقات.

......

- عايز أتعرف على أبوكي.

نظرت لي جنا بتركيز.

بابا؟

- أيوة أبوكي، واللا خايفة عليه مني لياخدني منك؟؟

ضحكت بارتباك ممزوج بمتعتها الخاصة في الإهانة.

- هو انت ناوي تغير وتقلب على الخشن؟؟

أكملت الجزء المسرحي بصفعة قاسية تعرفها جيدًا.

- إنتي بتراجيعني؟ يمكن عايزكم إنتو الاتنين على سرير واحد.

تحسست مكان الصفعة بتلذذ، وقالت بخنوع:

- تعالى بكرة على الساعة تسعة هاعرّفك عليه.

وقد كان

....

سعد الدين حلاوة

اللحم الذكوري الأبيض المسترخي تحت أيدي المدلّك.

إنه السيد (سعد الدين حلاوة) أحد أقطاب السياسة اللامعين.

تجاعيد منتشرة بدقة تشي بعمليات تجميلية سابقة فلحت في
ـاء الصحة ولكنها فشلت تمامًا في إخفاء السن الحقيقي لرجل
ياسة اللامع بجسد مكتنز رخو أملس يستلقي عاريا فيما عدا وسطه

الملفوف بيشكير بلون الدم و بشعر حريرى خفيف على جمجمته الكبيرة واسترخاء يأخذ طابع الاستسلام ليد الشاب مفتول العضلات مشعر الصدر عريضه يقوم بتدليك استرخائي للرجل وبين الحين والآخر تصدر تلك الآهة المريحة من بين أسنان الرجل المنكفئ على وجهه على مائده التدليك ، في قصره الخاص، تصدح موسيقى بوذية من مكان ما ويدا الشاب وأصابعه تضغط بدقة مدروسة أماكن بعينها ويتدلى من فمه سيجارة محشوة بتبغ فاخر مخلوط بالحشيش المغربي

- آه ه ه بالراحة يا أبو السيد متغرسش صباعك أوي

هكذا يشدو الرجل من بين أسنانه بدلال ينافس دلال عبد العزيز نفسها

- يا افندم هو أنا لسة عملت حاجة -

نطقها المدلك بلهجة ذات مغزى قارح

- صوابعك بتوجعني خف شوية أنا جسمي مهري من غير حاجة

يقولها سعد الدين بألم مسرحي

- كان الله في عونك يا افندم - ينطقها المدلك بخبث شديد

- مش عارف ألاقيها منين ولا منين - ينطقها الرجل بشرود

يمارس المدلك عمله في أقدام سعد الدين مبتسما - يا فندم انت قدها وقدود

تدخل جنا لوالدها وتنظر مليا لرجل المدلك ثم توجه حديثها لأبيها

- بابا

- نعم يا روحي - يرد الرجل بغنج أنثوي مفتعل

- أنا مش قلتلك إن فيه ضيف هيجيلنا على الساعة تسعة

- أوووه يا جنا طب ما ييجى هو أنا قلت لأ؟

طب مش ناوي تخلص الـ (session)- الجلسة - دي ؟؟

- حاضر يا عيون بابا روحي إنتي جهزي نفسك لحد ما سيد يخلص مهمته معايا.

تنظر له جنا بتأفف ونفاذ صبر فهي ترتاح لوجودها معه أكثر من وجودها عند أمها ربما تجد الأم الغانية متمثلة في أبيها المثلى عن أمها ذات الأفخاذ النهود الكبيرة، تتابع المدلك سيد وقد أمسك بفخذي أبيها اعتصارًا وتدليكًا وتخرج.

الساعة التاسعة إلا عشر دقائق هشام يقترب من قصر الرجل القائم بشارع صلاح سالم.

وتتداعى المعاني في رأسه فهو الآن في قمة الإثارة ويريد بشدة أن يبلغ هدفه الذي جاء من أجله.

وتوارد إلى خاطره كلام ابنته وزوجته السابقة ورضا عنه وشعر بأنه في مهمة مثيرة مفادها هو الاستحواذ على اهتمام الرجل المهم وكسب وده وصداقته وتعجب من نفسه لأنه لم يكن أبدًا ممن يحبون المال ولكنه شعر بالتحدي من كلام رضا نفسه عن الرجل وتلك التلميحات عنه.

يدخل هشام إلى حديقة القصر الصغيرة بعد المرور بأمن البوابة والسماح له بالنفاذ إلى قلب القصر.

ينزل هشام من سيارته متوسطة القيمة غير مبالٍ بنظرات أفراد الأمن بقامته الرائعة ووسامته وملبسه الكاجوال الأنيق فقد تعمد تمامًا ارتداء سروال جينز يبرز فحولته وقميص مفتوح الصدر تبرز فيه عضلاته المتناسقة ممزوجة تلقائيًا مع شعر صدره وقد صفف شعره بطريقة مثيرة فهو يعرف جيدًا أنه يقابل رجلا تدور حلوه دوائر الشذوذ فلا بأس أبدًا من إعجاب يزيد الأمور فاعلية.

تستقبله جنا بكل ترحاب مبهورة بمظهره الجديد بنجوم هوليوود وقد ارتدت فستانا أسود قصيرًا فوق الركبة وتدلى شعرها النادر إلى ما تحت فستانها.

تصنعت بروتوكولاً وهي تستقبله.

- أهلاً مستر هشام في ميعادك بالظبط.

ينظر لها هشام وهو يتناول راحيتها مقبلاً.

- طول عمري مظبوط.

يدخل إلى بهو البيت العامر بالتماثيل العارية، ويستوي في جلسة على مقعد فاخر بغرفة الاستقبال الفيكتورية.

يأتي الخادم وينحني لهشام سائلا اياه

- تشرب حاجة يا افندم؟

- قهوة سادة.

ينصرف الخادم بخشوع وهدوء.

تنظر له جنا في تذلل واضح وقد اعتراها شبق مفاجئ له.

- إنت النهاردة وااااو يا حبي.

ينظر لها متحديًا ومتعاليًا بطريقة مدروسة.

- فين أبوكي؟

الخنوع والشبق الممزوج بالكبرياء يتجلى بمعانيه على وجهها الفضائي.

- جاي حالا يا حبي.

في الوقت الذي ينتهي المدلك حامد من مهمته بالفعل تاركًا سعد الدين حلاوة بين حالة من الاسترخاء، والتأفف بسبب حضور الضيف المتوقع تحت ضغط العزيزة ابنته.

يقوم باسترخاء نازعًا بشكيره من حول وسطه ليهرع المدلك المفتول في إلباسه روبًا حريريًا آسيويًا تتجلى مطرزاته الذهبية واشية بغنج الرجل وحبه اللانهائي لنفسه.

يدخل سعد الدين حلاوة إلى حيث هشام لتتألق عيناه، ويحل محل التأفف اهتمامٌ كبيرٌ، وهو يتأمل وسامة هشام المفرطة.

- هاي دادي، ثم تشير لهشام - هشام ماي بست -كلوز- فريند.

يقوم هشام بدبلوماسية لا تخلو من كبرياء مصافحًا اليد البيضاء الرخوة.



-أهلا بيك يا افندم – يقولها بثبات تاركًا المجال ليتفحصه سعد الدين حلاوة الذي التمعت عيونه بانبهار لهذه الفحولة الرياضية.

يشير له سعد الدين بخيلاء وأريحية مفرطة داعيًا له بالجلوس بينما يجلس سعد الدين حلاوة بهدوء لامًا أطراف الروب لحبكة أكثر على جسده الأملس وقد استشعر الإثارة الكامنة في ثناياه المعطرة.

-أهلاً أستاذ هشام، جوجو كلمتني عنك كتير.

يتظاهر هشام بخجل لا يعرفه قائلاً:

- شرف كبير إنك تسمع عني يا افندم.

- جنا بنتي الوحيدة كل أصحابها لازم يكونوا أصدقاء مقربين ليا.

ويتبادل مع ابنته نظره جانبية مبتسمة مليئة بكل المعاني.

يسود الصمت في دخول الخادم الخنوع جارًا عربة مذهبة عليها كنكة القهوة الذهبية، وبعض كؤوس وزجاجة خمر معتق فيكتورية المظهر وقنينة الثلج.

يصب له القهوة في شياكة وترحاب، ويترك هشام المجال لسعد الدين ليتأمله مليًا ثم يتناول من يد الخادم كأسًا مترعة بنبيذ معتق فواح الرائحة لسعد الدين نفسه.

- جنا قالتلي إنك عايز تتعرف عليا.

- دي(رغبة) كبيرة قوي للتعرف عليك – يقولها هشام بازدواجية.

ينظر له سعد الدين بابتسامة خفيفة.

- رغبات جنا عندي أوامر يا فنان.

أبتسم لوصفه لي بالفنان وأقول مستمتعًا بالكلمة.

- فنان؟؟؟

- آه طبعًا شكلك بيقول كدة، فنان وعقليتك مفتوحة على العالم، كمان ممكن الوثوق فيك بسهولة وإنت ناجح عشان كدة من الآخر شكلك متواطئ مع المصلحة أكتر من أي حاجة، أصلاً إنت التيب بتاعي.

نظرت له جنا مصعوقة من الجملة الأخيرة وما تحملها من غزل صريح من أبيها لعشيقها، قامت جنا من فورها متعللة بأنها ستحضر مشروبًا خاصًا لنا قبل أن يستطرد الرجل قائلاً:

- كل واحد في الدنيا ليه تيب خاص، تيب في حبيبه، في صاحبه، في مراته، في الأشخاص اللي بعرف يتعاون معاها، ومشكلتنا إننا مش متعايشين مع الموضوع ده خالص في مجتمعنا، كل شيء هنا مفروض بواقع لا يطاق، وعشان كدة أصحاب النفسيات الخاصة، بيتشدوا لبعضهم؛ لأنهم بيحسوا إنهم قلة وسط الناس العاديين.

ابتسمت له، فالرجل أعمق بكثير مما تصورت.

بدا الرجل عميقًا يحلل ويفند كأنه عراف يثير حيرتك بمعلومات متدفقة عني وإن كنت أستبعد أن تكون جنا وصفت أو حكت شيئًا عن علاقتنا، لكن بدا على جنا الارتباك والتوتر من كلام والدها التحليلي.

ليعود سعد الدين حلاوة إلى الحديث المتأني والمستمتع برؤية هشام وبارتياح لخروجها.

ثم يحرك أحد حاجبيه صعودًا

- ها إيه بقى حكاية رغباتك دي؟

أجبته بثبات وهدوء متجاهلاً الإيفيه المزدوج.

- أنا من أشد معجبينك يا افندم بآراءك السياسية المتزنة وأفكارك الوسطية الرائعة.

يتنهد سعد الدين مسترخيًا

- البلد بقت حاجة تقرف الناس مش فاهمة إن أي تغيير مش ممكن يكون للعكس تمامًا فاكرين إن التغيير هيعملوه بالفوتوشوب.

يهز هشام رأسه موافقًا ليتابع سعد الدين حلاوة عرض وجهة نظره.

- الناس بقى عندها خلط بين التدين والمثالية والتغيير بطريقة مثيرة للشفقة وفاكرين إن حال الكون هيتغير بين يوم وليلة لمجرد إنهم عايزين كدة.

تصنع هشام الحماس لرأيه قائلاً:

- الناس موش مدركة يا افندم.

- الناس مش بس مش مدركة الناس تقريبًا عميا، وفاكرين إن أي تغيير معناه إننا نعلق المشانق ونرفع المقصلة، ونتزل بيها على كل رقبة موجودة مش ممكن الغباء.

- يا افندم حضرتك عارف إن فيه سلبيات كتير، والبلد بتغلي بقالها كام سنة.

- يعني السلبيات دي تخصنا لوحدنا ما كل بلاد العالم فيها أوسخ بكتير من عندنا تفكير شعبي ضحل ومقرف جدًا.

ثم يتدارك حديثه بصمت حذر ليبادره هشام بما يحب أن يسمعه.

- عمومًا أي تغيير بيكون فيه ضحايا ومستفيدين مش مهم الأشخاص لكن المهم المبدأ نفسه، وأنا شايف إن كل الأنظمة متشابهة في البرجماتية مش أكتر، المهم بقاء الكيان الأكثر إحكامًا.

تضرج وجه سعد الدين ورفع حاجبه الأيمن بالرضا قائلاً:

- بالظبط يا باش مهندس التفكير الأصولي مشابه أوي للتفكير العلماني كل واحد منهم ميهموش إلا ده.

ويشير بازدواجية إلى ما بين فخذي هشام.

ينظر هشام بتلقائية إلى حيث أشار سعد الدين ويشعر بالتوتر.

يلتقط الرجل القارح ارتباكه قائلاً بتوضيح فاحش وبضحكة خفيفة:

- إنت فاكرني بقول على إيه ؟ ...أنا قصدي الكرسي.

لتخرج ضحكة قصيرة نابعة من القافية المحكمة للموقف من بين أسنان هشام.

ليتابع سعد الدين حلاوة حديثه المسترخي قائلاً بنعومة:

- لازم مايكونـش فيـه تمييز أبدًا بين الأنظمـة؛ لأنها كلها في الآخر مجرد مسميات مش أكتر.

يهز هشـام رأسـه موافقًا ومؤيدًا، وهو يعرف جيدًا أن الطريق مفتوح لعقد صداقة عتيدة مع هذا الرجل الناعم.

ينهـي سـعد الديـن اللقاء ممتنًّـا من ضم هشـام لناديـه الخاص بعد أن تبـادلا أرقـام الهواتف، ولم يخفَ على هشـام إعجاب سـعد الدين بشخصه ومظهره وودعه عند الباب الداخلي للقصر، ثم بسط كفيه على صدره مداعبًا بغنجه المعروف، ثم اتخذ سمة أهل السلطة فجأة قائلاً:

- انت ولد ممتاز وعجبتني وأكيد هيكون بينا شغل كتير.

يخرج هشام مغادرًا القصر شاعرًا بانتصار الغزو نفسه، ولتؤكد الأيام حسن ظنه بقوة تلك العلاقة الوليدة مع رجل الدولة سعد الدين حلاوة.

قصة حب ورب عاشق

لـم يكـن الفرعون الـرب سنوسـرت الثالث وسـيمًا قسـيمًا مفتولاً كمـا الفراعنـة، بـل كان أقرب إلى غصـن متيبس وخصوصًـا مع تقدمه فـي العمـر وكانت الملكة - مر سـيجر - زوجته قوية الشـخصية لا تعبأ أصـلاً بحاجاته الزوجية، فهي تراه مجرد تمثـالٍ لرجل مات منذ قرون، وتحنطت جثته الملكية قبـل الأوان، بأذنيه المفرودة على جانب وجهه وعيونـه الضيقـة الشـبه مغلقة طـوال الوقت، وبشـرته الذابلة وشـفاهه الرفيعـة وقوامـة الأقـرب للنحـول وكانت تتحيـن الفرصـة لتقفز على الحكـم لصالـح ابنهـا - رخ ميرع - لأن ولـي العهد الحقيقـي كان من أختهـا المتوفية الملكة السـابقة..... كان الحقد يقتصـر على ابن أختها الأكبر؛ لأنه من سـيكون الفرعـون القادم وأن شـخصية مثل أمنمحات ابن زوجها فعلاً قوية بصفته قائد الجيوش الشـمالية والشرقية للمملكة ولكنـه الحقـد وإصـرار - مـر سـينجر - على تولـي ابنها الأكبـر - رخ ميرع - مقاليد الحكم خلفًا لأبيه الفرعون الرب.

كان الملك العظيم والذي يعتبر بحق أهم فراعين الأسـرة ال12 لما لـه من فتوحـات وتأمين ورخاء عظيـم لمصر فقد أمـن الملك الحدود

الجنوبية ليأمن شر غارات مملكة كوش النوبية وأقام السدود والقلاع على الحدود الجنوبية التوسعية الجديدة واهتم بالتجارة والتعدين والمعمار والفنون.

كان الملك سنوسرت الثالث أقرب إلى ناسك متعبد زاهد منه إلى فرعون عظيم معبود حتى النحاتين في عصره نحتوا تماثيله وهو في وضع التعبد لقرص الشمس آتون وليس شامخًا كما يتوجب لإنه فرعون مثله.

ولكنه في المقابل كان عاتي الكبرياء يتحدث بشح وعنفوان ويعتز جدًّا ببلاده وازدهارها في عصره الذهبي.

وملك قلوب شعبه حتى قبائل المغيرين الجنونبيين كانوا يتعبدون لتمثاله باعتباره إلهًا عادلاً وسخيًّا وغير دمويّ؛ لأن فتوحات سنوسرت أو غاراته كانت معظمها لتأمين الاقتصاد والتجارة الداخلية والخارجية.

حتى بعد مماته كان من أهم الفراعين المعبودين على الإطلاق.

لدرجة جعلت هيرودوت يؤلف أسطورة عن حاكم فاتح عادل يسمى سيزوستريس وهو النطق الإغريقي لاسم سنوسرت الثالث.

كان الملك كثير الترحال يتفقد مملكته بنفسه ويتأكد بشكل مستمر في رخاء الأوضاع في بلاده الغنية مترامية الأطراف.

وفي يوم محدد حسبه علماء الفلك بدقة وقد تعامد نجم الشمال على برج إيزيس ليسيطر على الملك مشاعر جديدة لم يختبرها ... أن الفرعون عاشق، بل ويعشق بجنون وكأنه ابن العشرين.

قابل الحب الوحيد في حياته وهو على مشارف الستين من عمره.

إنها - خونو - الرقيقة كالنسيم الناعمة كبتلات اللوتس ابنة السبع عشر ربيعًا والأخت الصغرى لحاكم مدينه الغلال أبا تيج .هي الآن مركز أبو تيج بمحافظة أسيوط).

كانت هذه الهيفاء سمراء نقية دقيقة الملامح تشي خطوطها ، منحنياتها بليونة الزبد تحت قرص الشمس.

وينبئ شعرها الأسود الغزير بربيع دائم واخضرار متفجر في قلب جذع الشجرة المسنة المتغلغلة بقوة العرش والألوهية المعبودة والتي هي الفرعون العظيم.

ملكت عليه فؤاده عندما لمحها لأول مرة وهو عائد من رحله كان يتفقد فيها أمن ومتانة حدود مصر الجنوبية دخل مدينه الغلال مرهقًا من طول الطريق ورجرجة عربته الحربية كان يفكر طول الطريق في أنه وجب عليه بعض الراحة فقد استهلك تأمين الحدود الجانبية ستة سنوات من عمره، وأن مفاصله باتت تئن لجفافها واحتياجها لبعض الراحة، فقد أنهكتها الحرب شمالاً وجنوبًا وطول المشوار.

إلى أن ظهرت خونو ككوكب حديث الولادة دائم الخضرة.

وطلبها كمحظية -لأول مرة- في حياته الملكية لدرجة أرهبت الكهنة من حوله وأشعرتهم بأن النجوم تخبئ شيئًا يخص المملكة المصرية كلها وليس الفرعون العاشق فقط، وتوجسوا خيفة من المقادير، من الواضح جدًّا على الملك الوله والسعادة فقد زارته

الضحكات وبات يطلب مجالس المعازف والمراقص واعتراه صبا مفاجئ، وأجزل في العطاء بمرسومات ملكية لكل جندي وقائد في جيشه العظيم.

كان الملك يخاف عليها من النسيم، ويحتفظ بها مدسوسة بين ضلوعه منعمة بكل الامتيازات حميمية، فهي باختصار جزء حي ومفصول من جسده، فالفتاة بادلته الحب بحب والعشق بعشق، وكانت تمضي الساعات الدافئة تدلك للفرعون الرب مفاصله وشرايينه بكل الطرق الممكنة، بل وتذهب بعيدًا وتسري في دمائه الزرقاء بخفة سريان النسيم في عز الصيف، تمارس معه تعبدًا وخشوعًا وغرامًا ممزوجًا ببراءة العنزة الوليدة في مرج الخضرة، وخشي ما خشي أن تتعرض لها زوجته الشقيقة وأم أولاده وهي المشهورة بقسوتها وتسلطها على الرعية.

بنى لها بيتًا رائعًا على مشارف الحدود الغربية لإقليم سيوط (محافظة أسيوط حاليًا).

وأحاط البيت بالتماثيل والحراس الأشداء وبحديقة مترعة في الترف والترفيه.

وكان ليلُه معها تعبدًا وافتتانًا ونهارُه مراقبة ومتعة، وهو يراها تدهن شعرها بالزبد، وتجلس في الشمس أو وهو يرى الجواري يقومن بتمشيطها وتكحيل مقلتها الصافية والشبيهة بنبع بارد وفي صحراء حياته بجسدها الذهبي وسمرتها الصافية ونحول قدها المدهش

وأطرافها الشبيهة بحلوى الخطمى(حلوى فرعوني تشبه المارشمالو) (لعظامك يا خونو هي المكسرات وعرَقك هو العسل الجبلي).

ويلغ الأمر العاصمة بكل ترابها وغبارها وشوراعها مرصوفة، وصل الخبر مدينة منف العظيمة حيث البلاط والقصر والمستشارون والمأمورون وحيث الشقيقة الزوجة ملكة مصر - مر سينجر.

استشاطت الزوجة الأخت الملكة من الخبر، واستبد بها الكبرياء العاتي وتلوث دمها الأزرق بتعكير نهائي وفسد مزاجها فألقت ببعض العبيد لبحيرة التماسيح خاصتها حتى تشعر ببعض الاسترخاء، هي بحاجة للتدبر والتفكير في أمر هذا الشيخ الملك الذي وقع في براثن الغرام والهوى وأرسلت بجواسيسها ليعرفو أكثر.

ورجع الجواسيس من مصر الوسطى ليخبروا الملكة أن الفرعون الإله قد عاد بالعمر أربعين عامًا، وأنه أصبح أكثر إشراقًا وفتوة، وأنه يمارس العشق في العراء بشكل متواصل، ركأن وضعيته تلك سيخلدها النحاتون.

فالملك الصامت الصارم المعبود رجع له شبابه بفضل أخت حاكم الإقليم شبيهة زهرة اللوتس المقدسة.

وانعقدت المؤامرة في ظلام بلاط قصر الفرعون في مدينة منف.

مؤامرة سوداء قوامها حراس الملكة وأتباعها وأزواج بناتها وحكموا على - خونو - بالإعدام والتمثيل بجثتها حتى لا ترحم أبدًا في العالم الآخر ولا تعرف لطريق أوزوريس خطوات.

وفـي يـوم أغبـر كان فيه كوكـب زحل يعلن عـن وجوده فـي الأفق امتدت الأيادي تمسك الخناجر والرماح.

لتنغرس في عنق خونو وبطنها وظهرها لتتحول المسكينة إلى خرقة باليـة مـن اللحم الذهبـي الممـزوج بالدماء والغـدر والرحيـل المؤكد للغرب.

انكفـأ سنوسـرت علـى وجهه لاطمًـا الدنيا والملـك وصك الكون بنظرة غضب عارمة فور رؤيته لجسد حبيبته المشوه المسحول.

وأرسل في طلب الكهنة خاصته.

الملـك والمملكـة فـي ناحيـة، والقبائـل المغيـرة فـي ناحيـة وقلبه المحطم المكلوم في ناحية.

وكل ناحية تصرخ بأنانية مطلقة وهو على وشك الجنون.

وجاء الكهنة بتوجس ورعب من غضب الفرعون الإله.

أمرهم بأن يعيدوا حياكة الجسـد المعشوق ورتقه ببعضه مرة أخرى وهي عملية ملكية بحتة لا تحدث إلا لو اغتيل الفرعون الإله نفسه؛ لأن العقيدة الدينية وقتذاك كانت تفرض أن يكون الجسد منتصبًا كاملاً حتى تعود له الروح بنفس المقام والكبرياء الذي كانت عليه في دنيا الأحياء؛ لأن كل ملك هو ملك في العالم الآخر وكل عبد هو عبد والجزاء يعطى براحة وخلود الآخرة نفسها وهو يريد لخونو الراحلة مكانة الملوك. ثم يحنطـوا الجثـة العزيزة ويضعوها بلا اسـم في تابوت من خشـب الورد ويعين لها خدم ومساعدون في صورة ما يزيد عن أربعمائة تمثال صغير

ليتوالوا على خدمة الحبيبة في دنيا الخلود والبعث، وما يعرفون الآن باسم تماثيل الأوشابتي القزمية المتنوعة.

ومن شدة حزنه وحرصه على الكتمان أمر الملك العاشق بنحت مقبرة الحبيبة خونو - في صخور الجبال الغربية المتاخمة للطريق الغربي الصحراوي الحالي لمدينة أبو تيج عاصمة الغلال في مصر الوسطى.

وفي مشهد مهيب دفنت المعشوقة السمراء في قلب الصخور ومعها خدمها -الأوشابتي- وعلى كل تمثال يمثل لعنة الملك على الدنيا والأيام والخونة والمفسدين.

لأن العزيزة خونو لم تمت وحدها، بل مات معها جنينها الذكر فقد كانت حاملاً في شهرها الخامس، وهو ما زاد على كاهل الفرعون الرب من حسرة وحزن لا نهائي وقام السحرة الملكيون وعلماء الفلك بتطعيم لفائف الكتان المغلفة للجثة بالمجوهرات النادرة، وقنينات غذاء الحراس من الجن والذي يعرف حديثًا باسم (الزئبق الأحمر).

تم الدفن في غرفة من الصخر الصلد بعد نحتها ووضع التابوت منفردًا فيها ثم سدت الفتحة بالصخر الصوان ووضع الخدم الدائمون (الأوشابتي) في صندوق من خشب الصندل في تجويف ثانٍ.

ليسدل الستار عن قصة الحب العارمة للأبد في قلب الجبل بلا اسم ولا وصف

فقط اللعنات المسجلة على التابوت وعلى تماثيل الخدم لتصرخ في وجه من تسول له نفسه. ويقتحم مقبرة الحبيبة المغدورة .

((أفيقي يا صاحبة الجلد الأملس والنظرة الصافية، فقد أرسل خدمك المخلصون كل عابث إلى عذاب وانتقام يليق ببشرتك الرائقة وعظامك اللينة).

(انتهى زمني لأنك رحلتِ غربًا، وانكسر فؤادي، وزاد سخطي ولا أملك سوى اللعنات لهذا العالم).

....

- أحبيييبيه

نطقها سعد الدين حلاوة وهو يبصر التماثيل الذهبية شافطًا زفيره بشكل متلوٍّ.

- أمك لو شافتهم هتتوب من السكس.

- داااادي.

قالتها جنا معترضة على أسلوبه في الحديث عن أمها.

يعاود النظر للتماثيل ويلتقط أكبرهم ويقربه لعينه متأملاً.

تحفة فنية، كمان شوفي يا جنا التفاصيل كل تمثال من دول اتنحت لوحده، واتكتب عليه لوحده كل جملة هنا مختلفة عن التانية، وبتحدد عمل الخادم ويوم عمله في التقويم الهيروغليفي.

نظرت جنا بفتور وقلة اكتراث وقالت مجاملة:

- يس دادي حلو أوي.

- لازم أكلم رؤوف عزمي حالاً.

- طيب دادي أنا رايحة أقابل كمال.

نظر لها سعد حلاوة ضامًا حاجبيه بطريقة نسوية ضاحكًا بفحش.

- سلميلي (عليها).

فقطبت جنا وردت بتحدٍّ.

- لعلمك كمال مان بجد ودكر أوي يا دادي.

يضحك سعد الدين بأنوثة فاحشة قائلاً بقافيته التي لا يستطيع أن يقاومها.

- دكر؟؟ هههههي دكر، الكلام ده أدامي ومصدقتوش ياروحي.

تنظر له جنا بغضب طفولي وتتركه بدون سلام، وإن صاحبها ضحكة خافتة تعربد في بطنها.

....

أنا كمـــــــــــال

ممممممم

لست كما سمعتم عني بالضبط، فلست مؤنثًا أبدًا ولا أميل أصلاً لأن أكون امرأة، بل يمتد جسدي الفارع والواضح الرجولة لخمس وثمانون سنتي مترًا بعد المائة أنا الأخ الأصغر لأخي الوحيد رجل الأعمال الشهير وأنا أيضًا أملك عملاً، ولكن عملي هو الأرقام، فالأرقام هي

ما يحدد سعادتنا وتعاستنا هي المؤشرات الفاضحة لأي شيء، ولذلك احترفت في مجال البنوك، وكان حبي للأرقام أكسبني برودًا عامًا، وكأن قلبي مات، وحفظ متجمدًا من سنين، الكل يقول عني إنني بلا مشاعر، لكنه القناع الذي ألبسه حتى لا يتجرأ أحد على ذكر مشاعري الحقيقية، أنا أعرف أن الجميع يعرفون ويتكلمون ويتغامزون، ولكن لا أحد يملك القدرة على المصارحة كفاني نظرتي المتحجرة لو شعرت فقط بالتلميح، بعدها أتحول لعدو قاسٍ يستخدم كافة الأسلحة لهدم من تجرأ، علاقتي بوالدي فاترة يشملها النسب والسلطة لا أتكلم معه كثيرًا فهو مشغول لدرجة إنني أتابع أخباره في الجرائد والإعلام فهو مرموق معبود من تابعيه مرهوب الجانب من أعدائه ومعارضيه، فهو الثعلب العجوز المخضرم، وإن كانت والدتي تؤثر عليه بشخصيتها الإحصائية وتوليها زمام أمري أنا وأخي الأكبر، أما والدتي فأنا أحبها لقوتها وإن كانت تستخدمني كما تستخدم قلمها الخاص، وأنا أذعن بكل قبول لها، فأنا بيني وبين نفسي أستشعر قوتها ونفوذها بكل استمتاع، وهي الوحيدة التي لم تلمح ولو بنظرة إلى اختلافي، بل ويملأني الفخر بأن هذه الربة القاسية ترعاني بكل هذا الرعب في شخصيتها فهي دومًا تبتسم في وجهي وتربت على شعري بحنان نادرًا ما تراه عليها، تحبني بجنون وتهتم لأمري لدرجة أنها تتابعني يوميًا على مدار الساعة لتتأكد من سلامتي ببقائي على قيد الحياة، تعدني لأكون الخليفة المنتظر لأبي وتجهر برغبتها في مباسبه وكأنها تهيئ الجميع للخطوة الضخمة القادمة فخلافتي لأبي بها من المعارضة ما يهدم دولة، ولكنني كنت

واثقًا من تخطيطها وبعد نظرها، كان اختيارها لا يستهويني ولكن من يجرؤ على مصارحة ميدوسا بأنها تحول البشر لتماثيل، كنت لا أحتمل غضبها أبدًا، وأسرع من فوري لأقبل يدها وأطلب منها غفرانًا لم أطلبه من الله في صلواتي المتقطعة، ولعل علاقتي بها معقدة لعلها عقدة أوديب نفسها.. الحقيقة لا أدري فكما حددت لكم سابقًا إنني رقمي لا أغوص في الانحناءات الفلسفية فأنا هو أنا.

أعشق من يتمى لكوكبي أنا، ولعل هذا يعكس حبًّا لذاتي وليس لشذوذي كما يقولها بعض المتخلفين.

فقط هذا الرجل سعد الدين حلاوة هو ما صارحني بوقاحة الغواني، وعندما احتددت عليه صك وجهي بضحكة من شارع محمد علي قائلاً:

- مش عليا يا روحي و(سِرّك) في بير غويط أوي.

هذا القارح اصطادني وصنفني وألبسني بدلة رقص تليق بصافيناز، بل هو يتعمد مناداتي بصيغة المؤنث، هذا المنبعج الرطب المزركش بروح فيفي عبده نفسها، والغريب أني لا أرد عليه لأنني وبكل صراحة غير قادر على مجاراته النسائية الفاحشة، وإنني لست هذه أبدًا، بل أنا هذا، ولكنه بدا كغريق تعلق بقشة فقد تصور الغبي أنه كسب نقطة لصالحه أمامنا نحن أسياده؛ لأنه تجرأ وعراني ولكنه الأحمق لا يعرف من هي (ماما).

أنا فقط أميل لنفس نوعي وطولي ووسامتي لأني أعشق نفسي، أنا لا أبتذلها مطلقًا ولا أرضى بأي تجريح أو إهانة لقاء تلك اللذة ولكني أعقد الصفقة بشكل رقمي ومحدد.

أنا أريدك لأنك تريدني وكفى.

فهل توافق؟؟

إذن لنبدأ غزلاً إغريقيًا يليق بالأوديسا نفسها تعالى لنصنع تجمدًا للإثارة والذنب

تعالي نتحدى الجميع في سرية العادة السرية نفسها ونعيش لحظات قلما يجود بمثلها الزمان، وفي هذه التجارب كانت لي خبرة ضئيلة جدًا، فأنا عاجز عن إظهار إعجابي أو تطوير أي علاقة أريدها ويزيد الأمر ارتباكًا وسرية أن وضعي لا يسمح أصلاً بالتورط ولو من بعيد في أي علاقة، لذا أستعين دومًا بقوادي الخاص والذي يفهمني أكثر من نفسي، بل ويراعي ذوقي، هو جمال الغزاوي مخرج الكليبات الشهير والذي كان قد نفذ إعلانات حملة أبي الدعائية الأخيرة وبالرغم من تدني المستوى الفني للمواد التي يخرجها إلا أنه بارع في قراءة الشخصيات، وبدأ في إسداء خدماته الرفيعة المستوى على سبيل التودد وبتراكم الخدمات أصبح على دراية كاملة بذوقي ويأتي لبابي بأحدث الموديلات الذكورية التي تروقني، لا أنكر أبدًا أن هشام رائع ويتمتع بنفحة شعبية في شخصيته ورجولة تثير إعجابي لكن الأمر مرهون بوسيط لأنني غير قادر أبدًا على الطلب بنفسي، وأخيرًا لا أريد نصائح من أحد كفاني مللاً من مجتمع متخلف لا يفهم معني تقبل الآخر

، تشجيعه على العيش بطريقته الخاصة، نعم اخرسوا كلكم وارتعبوا في ، جودي ولو كان المجتمع لا يرضى بثقافتي الخاصة سأعاقبه بموقعي الجديد قدر المستطاع، لا يعنيني مستقبلي السياسي وأعرف أنه مرحلة مؤقتة لتنفيذ خطة أمي في الاستحواذ على المؤسسة الضخمة لحسابها ، طبعًا سأترك لها الدفة فهي تعشق القيادة لدرجة الهوس.

هذا أنا بلا زيادة ولا نقصان وأعترف أنني ارتبطت برغبة أمي ولكن شيئًا في خطيبتي جنا وفي أبوها وشيئًا من سيرتهم وسمعتهم لمس ملبي، وحقق لي التوازن النفسي بدون أي إرهاق في التورية أو التظاهر بغير الموجود فعلاً.

جنا متحررة تمامًا ولا تمارس الحب إلّا مع تعشقه فقط إذن هي مشبعة لا تحتاجني أنا بالذات (وهي مزية مهمة)، وأبوها شخصية أنثوية غاوية بكل تأكيد وهو من سبقني في خبرات المتعة الخشنة، ، سيقدر موقفي فلا مجال للمعايرة هنا بالتأكيد فكلنا في الهوا سوا.

ومن هذا المنطلق فقط قررت الموافقة على هذه العلاقة وتقبلت أمي العالمة بكل شيء الموضوع على أنه هداية مفاجئة بالنسبة لي، وأغدقت علي الامتيازات وأصبحت أقل اهتمامًا بشئوني الشخصية وأقل سؤالاً عن أصدقائي، وهذا أراحني لدرجة كبيرة.

أنا لست كما تسمعون بالضبط فأنا أملك العمق الكافي الذي يجعلني أؤمن بحرية الاختيار، سحقًا للناس وكلامهم وعاداتهم سحقًا لمدعي الرجولة فهم أكثر الناس في نظري انحرافًا، وهم يتناولون المنشطات ، يعيشون على وهم أنهم ما زالوا مرغوبين من بعضهم البعض.

لكم صدمت حين عرفت أن زوجات كثير من معارفي يتبادلن الخيانة ويرتعن في ظلام الشقق والفيلات الخاصة كم قابلت من صديق أعرف أن امرأته تركع أمام رجل آخر وأراه يتعالى علي ويوسوس للناس بشذوذي أنا، بقصوري أنا، بنقصي أنا، وهو غير عالم أن أفخاذ امرأته الناعمة يعتصرها رجل آخر.

ومع الوقت صارحت نفسي أمام جنا وصارحتني هي أيضًا، وعقدنا اتفاق صداقة للأبد، هي تفعل ما تريد، ولكن في طي السرية، وأنا أفعل ما أريد، ولنحافظ معًا على شكلنا أمام باقي الأوساخ من بني جلدتنا الجغرافية فنحن أسياد وهم عبيد لا يملكون سوى الكلام والتلميح، نحن نملك سيافًا وهم يملكون رقابًا والعلاقة واضحة... جدًا.

قلب الشيخ ياسين الحقيبة قائلاً لرضا:

إيه ده يا رضا؟ المبلغ قليل أوي كدة ليه؟

ليه بس يا شـيخ ياسـين المجموعة اتباعت بخمسـة مليون جنيه، نصيبك متين وخمسين ألف نسبتك.

لكن المجموعة تساوي أكتر من كدة دي كلها تماثيل دهب.

يا شـيخ ياسـين كدة أحسـن إحنا لو كنا حاولنا نصرفها بنفسنا كنا بلاش وأديك شـايف حصل إيه لسـيد بتاع حدايق القبة، اتاخدت الحاجة واتضرب، وكان هيروح فيها هو ورجالته.

بس بردو أنا بلعب دور مهم، والمفروض آخد على أد دوري.

مقلناش حاجة، لكن فيه أدوار أهم اللي بيكون وراها الفلوس.

قصدك الراجل الكبير.

وفيه اللي أكبر منه وراه، وهكذا، مانتا عارف اللي فيها.

وهشام؟؟

الله يسـهله، هـو معاه الحتة الطرية اللي خلته أخد نصيب سـلوى امجد مع نصيبه.

برد الشيخ بعناد وتجهم.

- بردو المبلغ قليل، أنا قلت هاخد اتنين مليون على الاقل.

- ياسيدي تتعوض.

دخلت صبية حاملة أكواب العصير لا يتجاوز عمرها الرابعة عشرة تتحلى بالجمال الريفي المصري والطفولة المزدانة بالخجل كأن العيون تشاهدها عارية.

ينظر لها الشيخ بحبور قائلاً:

- اتفضلي يا حاجة.

نظر له رضا، ثم نظر لها وانفرجت أساريره.

وقام ليسلم على الطفلة، فلم تسلم عليه وابتعدت في حياء مرتبك.

بينما الشيخ ينظر له باستغراب واعتراض.

- إيه يا عروسة مبتسلميش على رجالة؟ ده أنا زي أبوكي.

ثم مد يده إلى الحقيبة الخاصة بالشيخ، واستل منها رزمة واقترب منها قائلاً:

- ياللا خدي من عمك رضا يا عروسة.

انذعر الشيخ من الحركة، وقام من فوره قائلاً لرضا:

- ميصحش يا حاج رضا.

- يا سيدي هبقى أديهوملك متقلقش أنا أول مرة أشوف حد من ولادك.

نظرت البنت للشيخ نظرة مذعورة وخرجت من فورها تاركة رضا مادًّا يده بالمبلغ.

ضحك الشيخ، وأمسك بالمبلغ وأعاده للحقيبة الصغيرة، ورجع لجلوسه قائلاً لرضا:

- اقعد يا حاج رضا.

نظر له رضا، فضاحكه الرجل قائلاً له دي مش بنتي .. دي مراتي.

بهت رضا وامتقع لونه، فالبنت بالكاد تكون امراة وما زال عالقًا بملامحها وجسدها آثار الطفولة القريبة، والشيخ ياسين فعلاً يتمتع بصحة جيدة، ولكنه قارب على الخمس والخمسين، يعني بحسبة بسيطة البنت تكاد تكون حفيدته.

تغير لون الأسطى رضا، وامتقع جبينه متصورًا ابنته الصغيرة في أحضان الشيخ ياسين.

- هو ده بقى زواج القُصَّر اللي سمعنا عنه.

نظر له الشيخ قائلاً في مودة:

- حاشا لله يا حاج رضا أنا أخاف الله، ده جواز شرعي على سنة الله ورسوله.

- طب إزاى البنت شكلها صغير أوي وإزاي أهلها يوافقوا على كدة؟

- أهلها هما اللي جم وباسوا إيدي إني أقبلها كمان.

- كمان؟

- كمان.

انقلب وجه رضا وهو يتصور أنه يرسل بنته ذات العشرة لرجل لكي يفتك بها باسم الزواج، وغلَى الدم في عروقه وقام ، الاستئذان.

مسك فيه الشيخ ياسين حالفًا بالله أنه لن يخرج حتى يتناول العشاء لأن عنده موضوع مهم لابد من مناقشته.

....

أنا ياسين

أعرفكم بنفسي أنا اخوكم في الله الشيخ (ياسين عبد الله) من من إحدى قرى محافظة الدقهلية حيث الحياة الريفية المليئة بالعا والتقاليد المرهقة والتي تحمل الكثير من (كهن الفلاحين)، الأكبر بين إخوتي ورميت رميًا للعمل اليدوي من سن العاش وبالرغم من ذلك فأنا متعلم وحاصل على الثانوية العامة أثناء تأ للخدمة العسكرية الإجبارية، والحقيقة أنني أعشق السحر وك يدور حوله من دوائر السلطة والامتيازات، بدأ العشق عند إتقاني مواهب تخص الأبراج والعلاقات الفلكية والتي تمكنني من إحا التأثير المناسب على محدثي وعملت كمعالج روحاني في ال والكفور المجاورة، الحقيقة أيضًا أنني للأسف الشديد لا أملك ،

حر ذاتها، فكنت أعتبر نفسي من المتابعين الجيدين لهذا العالم، ب افتقاري للمسة الروحانية المطلوبة كان عملي محدودًا مكتوفًا ي الخطوات فقط لا غير، قابلت الحاجة (زينب) في إحدى اسبات، وهي من ذاع صيتها لقيامها بعمل التعازيم المناسبة لكل ب مطلوب وتدربت على يدها كمساعد ثان بعد زوجها (خميس) الي تزوجت ابنته الطفلة وتعلمت على يدها التأثير الحقيقي وبسط د الروحانيات والسحر على من يجالسني وإن أبقت لنفسها الفاعلية ملية للطلبات الكبيرة الحجم والغالية التكاليف، ما زلت أذكر كيف ان زوجها خميس يجمع آلاف الجنيهات بعد يوم عمل واحد ويذهب احًا لإيداعها في البنك بمدينة كفر الدوار القريبة، وحدث وألقت شرطة القبض عليها وتوارت أسطورتها خلف القضبان، وقام زوجها الاستيلاء على أموالها بتوكيل سابق منها، وعندما عرفت فوزية أو ينب) صرخت وألقت بتعاويذها عليه ليموت هو وزوجته ميتة بشعة، مقطعي الأوصال إثر دخول سيارة طليقها الغادر تحت المقطورة في الطريق الزراعي.

هي زوجتي الآن، بل زوجتني للطفلة أيضًا لأسباب ستعرفونها لاحقًا.

في عملي كنت أعشق الملامسة لجسد المرأة، نعم قد أقرأ آيات ن القرآن، وأنادي ببعض الأسماء السريانية، وأتلامس مع الشاكية دون أن تشعر ولو حدث وذهبت في غيبوبة كنت أتجرأ أكثر ولكن يس للدرجة التي تتخيلونها، وعندما أعود للبيت وحيدًا أسترجع كل

تلك الملامسات محمومًا كما يفعل المراهق وهو نائم تحت الأغط
إلى أن تزوجت بفوزية، واكتشف أنها تملك رجولة وخشونة أكثر م
بل إنني اعتبرتها رجلاً أمارس معه اللواط، حتى مع زوجتي الطفلة
أجد أي نشوة، ربما لقائي السري مع نفسي أمتع بكثير وبما لا يقا
نعم أنا مدمن للعادة السرية أمارسها بكل ارتياح، بل وأجد في نف
مشكلة التواصل الجيد وكانت كل بطلات هذا السباق تلك النـ
من الشاكيات الباكيات اللائي يطلبن خدمات السحر، كنت كمصف
الشعر من حقه أن يمسك رأس الزبونة ويملس على شعرها ولكن بد
أي علاقة حقيقية....

....

أتممت الصفقة، وانهالت عليّ الملايين، فقد كان نصيبي من ال
المتسلسل حوالي مليون ونصف مليون دولار أي ما يقل قليلاً م
عشرة ملايين ملطوش مصري يتيح لي استرخاءً كبيرًا وشعورًا طا
بالفوز والتفوق.

لكن هذا غريب، فالنقود تفقد هيبتها بمجرد امتلاكها وبهذه الغزار
بالعكس شعرت بأن هذه الثروة تحوّطني بسور عمّن حولي وأ
بي إلى انعزال أعمق.

فأنا لا أحب تلك النقود تمامًا، بل أفضل عليها نقودي التي حصل
من عملي الإبداعي القديم، لا أعرف لماذا ولكنه شيء يمت بطبي

ملاك نفسها فنقودي الأولى كانت تسمح بالسيارة الحديثة والشقة ة والحرية المشروطة بالسرية.

هذه النقود، فترفع كل الامتيازات القديمة وتعطيك امتيازات جديدة.

لابد من فيلا بحمام سباحة وسيارة مليونية.

سهرات باذخة وعنفوان واسترخاء ..... وملل.

لمّا لم أصارح نهلة زوجتي بثروتي الجديدة، فهي قانعة بأقل ل ولا ترى من الدنيا سوى مطبخ شقة المهندسين ونيش السفرة.

اتسعت الفوهة بيننا أكثر وأكثر، وصرت حتى لا أتقبل منها التدليك ماية كما كان في السابق، وهي نفسها بدأت نظراتها تتغير تجاهي املني بحذر وخوف أكبر من السابق، وأراحتني الديكتاتورية ابدة بما لا يقاس.

وصرت لا أسأل إلا نادرًا عن صغاري، وبدوا في عيني عوائق لاسل تربطني إلى قدم زوجتي، واكتفيت منها بتقرير لكل منهما وما على خير ما يرام.

وزادت عندي حدة الرغبة في الانعزال.. استقلت من عملي وقررت امنح نفسي فرصة وإجازة لكي أتدبر أو لا أتدبر إدارة مثل هذا المبلغ خم.

فأنا اليوم مليونير بمعنى الكلمة.

ونحو صلت بعريني الجديد مستمتعًا بلذة امتلاك الفعل بلا فعل.

فأنـا قادر علـى رفاهية عظيمـة ولكني لـن أفعلها، قادر على السفر وقادر على الشـراء وقادر علـى المغامرة، ولكني بالفعل لم أفعل شيئا حتى اسـتهلاكي نفسـه لم يتغير إلا باضافة فرشة الحشيش التي أحصل عليهـا مـن موزع مضمون فـي ميت عقبـة، ويأتي بها لبـاب البيت. نعم شـعور بالفوز بلا أي مكسـبات طعم أخرى وكأنني اللحم والنار ولكن بلا توابل، بلا ملح.

حتـى جنا باتـت فاترة منطفئة في آخر لقاء، بل كنت أشـعر أنها تقوم بتمثيل رديء جدًّا في فيلم إباحي.

فالآهات والاسـتجداء والانسـحاق كلها موجـودة وبنفس الترتيب ولكنهـا خاليـة أيضًا مـن الملح، فقـط ميوعة عامة كما لـو كانت الحياة تحمل زفارة الحليب أو زناخة السمك.

أشعر أنني أتحول لتمثال.

......

بتقول إيه يا شيخ ياسين؟

نظـر له رضا بتشـكك وهـو يراقب الفتـاة تضع الطعـام على مفرش الطعام الأرضي

- زي ما بقوللك كدة الكنز لسة فيه.

- لسة إزاي ؟؟ قصدك العمال سرقوه.

- لا.

- العمال ميعرفوش عنه حاجة.

أنا بس اللي عارف ومقولتش.

ليه؟

خاطر رباني قاللي متقولش على كله.

رباني؟؟ يضحك رضا.

ستمر الشيخ في جديته.

اللي سمعته ساعتها خلاني مقولش كل حاجة.

يعني لسة فيه آثار؟؟

تابوت خشب، وفيه الجثة كاملة ملفوفة كلها بالجواهر والأحجار ريمة والزيبق الأحمر، وأنا بس اللي عارف مكانها.

- يبقى أكيد مكانها مكان الحراس.

- لا يا حاج لازم تحفر بزاوية معينة، وإلا هتوه جوة الصخر، ومش وصل أبدًا

- طيب إيه ؟ تحب أكلم هشام تاني؟

- لا هشام إيديه شحيحة ومافيش من وراه الخير أنا هبلغ المَرَة.

- سلوى؟

- آه سلوى، إيديها سخية وفيها البركة.

ضحك رضا وهز رأسه بالموافقة المشوبة بعدم الارتياح، بينما شيخ يستحث زوجته الطفلة على إنهاء الإعداد للطعام.

المكان...

كافيه روز في القاهرة الجديدة وفي أقصى الأماكن خصوصية جلست جنا مع كمال باسترخاء تشد من أنفس الشيشة الفاخرة بنكهة الشامبانيا بينما يدخن كمال سيجارته بتأمل.

- مالك يا جينا ؟؟ (كان يحب منادتها باسم جينا بدلاً من جنا)

تنظر له البنت المعدنية بجمال مرهق وتمرر أصابعها في شعرها الأسود النادر.

- مافيش يابو كمال، زهقانة شوية.

ينظر لها كمال ويضحك بفتور قائلاً:

- ومين سمعك أنا كمان هنفجر من الزهق، ومش طايق حتى الشغل.

- أنا مش عارفة وانت إيه اللي يخليك تشتغل ما تعمل أي حاجة وخلاص هو حد يقدر يراجع وراكم.

- لا يا كوكو مش دي المشكلة، أنا بحب الشغل عشان بكون وسط الناس باتفاعل معاهم وأجدد حيويتي.

- حيويتك؟؟ قصدتك تتعرف على الرجالة يا كمولتي.

ينظر لها كمال بعيونه القاسية، ويتمعن قائلاً في هدوء مدافعًا عن نفسه:

- لا خالص مش عشان كدة.

أرمال عشان إيه؟؟

ـشـان بحس بإني طبيعى جدًّا وسـطهم، وبحب أوي أعمل زيهم
ـم منهم.

ـارت له جنا بابتسامة شفوقة، واحتضنت يداه قائلة برومانسية:

ـلب ما تيجي أقيسـلك الحيويـة دي، على فكرة إنت بتثيرني أوي

ـحب يده مرتبكًا.

بـوووه يا جنا قلتلك بلوك علـى الموضوع ده، لأني ممكن أفصل
ـس منك.

ـضحك جنا بقوة قائلة:

خلاص بقى يا توتي متزعليش يا بيضة انتي.

ـعل عليها كمال، وندّت منه حركة اعتراض أنثوية.

مبحبش حد يكلمني كدة.

ـأملت الهانم المجموعة الذهبية بإمعان.

ورفعت رأسها النبيل للرجل قائلة بهدوء:

مش بطالين يا عزمي لكن إنت عارف أنا يهمني الزيبق الأحمر.

حضرتك يا افندم تؤمري.

- علـى العمـوم حلويـن، سـيبهم خـلاص، وهتلاقـي تحويـل في حسابك إنت وسعد بعد نص ساعة.

بـدا على وجـه الرجل ارتياح عميق، وانسـحب بظهره تـاركًا المرأة الرهيبـة والتـي لم تلتفت له أصـلاً، بل واصلت التحديـق والتقليب في مجموعة التماثيل الصغيرة.

إنهـا المـرأة القويـة فـي إحـدى أكبـر مؤسسـات الدولـة والطـرف الحديدي وقت اللزوم فلا مجال لمناقشـة (الهانم) ولا رأي بعد رأيها، فهي من يمنع ويمنح، وهي المهووسـة بالآثار والتحف القديمة، وأكبر سماسـرة العالـم في الاتجـار بهـا ولديها شـبكة كونية، وتحكـم نادي المهتميـن بالآثـار وتنافس بقوة التغذية والتبادل السـري جـدًاا في هذا النادي الدولي.

وقـد وصلت لهـذه المكانة من حجـم القيمة التي أهدتهـا أو باعتها بالملايين الخضراء. كان مقر النادي مدينة باريس النورانية.

حيـث تقديـس النفـس الإنسـانية لنفسـها وحيـث تقديس الأشـياء النادرة.

وكانت هذه المجموعة بالذات سـوف ترسـل بكل عناية إلى اللورد (ديفيد سمعان)في قصره الريفي في باريس.

وخرج رؤوف ليرفع الموبايل متواصلاً مع سعد الدين حلاوة.

- الهانم مش مبسوطة أوي يا حلاوة كانت عايزة زيبق

على الطرف الآخر يرد سعد الدين بقلق:

ر الله يا افندم ده اللي وجدناه، وكان هناك ناس من رجالتنا..:
الهانم مش هتاخدهم؟؟ .. تساءل وتفصد جبينه بالعرق انفعالاً
ا فهو لا يجرؤ على السخط والرجل الكبير معه على الهاتف.
ظة صمت راقب فيها عزمي تصرفاته بعناية ثم قال:
لا هتاخدهم بس عايزة اللي باقولك عليه وحسابك هيوصلك
ساعة.
ت من سعد الدين آهة ارتياح غير خافية على عزمي وانتظر أن
عزمي المكالمة ولكنه استمر قائلاً:
أخبار الولاد إيه يا سعد ؟
نبك سعد الدين قليلاً قبل أن يجيب:
زي الفل يافندم . كمال وجنا لايقين على بعض أوي سيادتك.
. رؤوف عزمي بخطورة وسلطوية ذات رائحة نفاذة
أنا مش عايز الهانم تزعل منك ولا من بنتك يا عزيزي سعد.
دف سعد بخشوع.
طبعًا وإحنا نقدر؟ إحنا كلنا خدامينها.

جلسـت أراقب العزيزة أمي وهي تلـف أوراق الكرنب حول خلطة الأرز وفاحـت رائحـة الخلطة ممنيـة كل من يأكلها في المسـتقبل بلذة عارمة.

كانـت أمي تجلـس أرضًا وقد مدت إحدى سـاقيها، وثنت الأخرى وانكبـت تمـارس لف أصابـع الكرنب في تـؤدة وإمعـان، الوجه لحيم متجهـم ومـزدان ببدانـة محببـة والجسـد هو الآخـر يملك مـن البدانة الشعبية ما يشي بعفاف المرأة وجودتها كسيدة وأم.

جلست بجانبها أرضًا وقبل أن أمد يدي لأساعدها نظرت لي قائلة:

- غسلتي إيديك يا نهلة؟

- لا يا ماما؟

- طب متقومي يابت تغسلي إيديك.

مددت يدي عنوة إلى أوراق الكرنب المفرودة وأخذت في حشوها بينما ندت من أمي آهة اعتراض.

- مش هاغسـل إيـدي أنا نضيفة يـا ماما، انتي متعرفيـش حاجة عن الوسخين.

نظرت لي أمي بتمعن، ثم استأنفت رص الأصابع في القدر بلا تعليق.

- عاملة إيه مع هشام يابنتي؟

- أهو ..... عايشة.

استمرت أمي العزيزة في لف الأصابع قائلة:

- هشام راجل تتمناه أحلى واحدة في الدنيا.

نظرت لها وقلت في صدق:

- فعلاً أحلى وأجمل وأغنى واحدة كمان.

- يبقى تحمدي ربنا.

صرخت فجأة فيها غير مبالية.

- حمداه يا ماما.

وانطلقت في بكاء مرير، بينما أمي تنذعر وتجفف يدها بمنشفة قريبة.

- مالك يابت إنتى مش كنتي عنده إمبارح ...لوحدكم؟

انطلقت مني آهة عميقة مصحوبة ببكاء مر، ولم أردّ بينما أمي تقترب
ي وتحتضني ضامة إياي إلى صدرها العامر ورائحتها المتخمة
حشي الكرنب.

.....

في غرفة نوم سلوى العياط.

الفراش الدائري يحمل جسد سلوى المكتنز تظهر بعض الانبجاعات
نتوءات في الجسد اللحيم، وإن كانت لا تؤثر على جو الإثارة العام
س ثوبًا من قطعة واحدة أبيض اللون مثقوب بانتظام النسيج نفسه

فبدا لحم سلوى الأبيض الشاهق بامتداد عري الثوب، كانت تستلقي على الفراش بتهالك وتراقب انعكاس نفسها على مرآة مسقوفة فوق الفراش تمامًا وبنفس الحجم أنها الآن في مرحلة ما بعد الحرب بينها وبين مدرب التنمية البشرية والطاقة أمجد مراد ولكن أين أمجد؟؟

أين أمجد؟

لنتجول في الغرفة الباهظة فنرى حوائط أرجوانية وقطع ديكور شاذة بأجساد عارية ولوحات معتقة بالشامبانيا الفرنسة وتمثل أوضاعًا جنسية حميمة تكاد تشم رائحة عرق أبطالها، والغريب أنك كنت تشعر أنها فيلم بطيء وليس لوحة متجمدة المنظر، وتحت إحدى هذه اللوحات والتي تمثل يلثم فيه رجل قدم امراة بنهم عاتٍ، يجلس أمجد لابسًا كل ملابسه بما فيها حذاؤه نفسه، وإن بان عليه بعض الشعث حين أن شعره غير مرتب، وهندامه المكون من بدلة سوداء شديدة الأناقة بها دبوس مغروس في ياقة الجاكت يشير لاسمه هو وقميصه يخرج غير منتظم ورباط عنقه مفكوك وسحاب بنطاله المفتوح كان يجلس أرضًا، وقد انهمك في تسطير بودرة بيضاء في خطين على سطح الحذاء المصقول لسلوى نفسها، فالرجل مولع باستعباد الأنثى له، وخاصة السيدات فو سن أمه، كان يمارس الحب على أساس الاستعطاف الشديد بتقـ حذاء العشيقة ولعقه وتدليك أرجلهن وتقبيلها ثم بعد أن ترضى عنه الأنثى وتسمح له بالاقتراب العميق، يقوم كالحشرة اللادغة ليقرص عشيقته بذنبه السام، وكأنه مجرم انفرد بضحية في زقاق، ثم تنحسر

موجاته جزرًا ليتحول مرة أخرى ل... لأمجد مدرب التنمية البشرية اللامع نجم الفضائيات هكذا دون أن يخلع أي شيء من ملابسه.

كانت سلوى تعشقه وتجاريه؛ لأنها تحب تفاصيله خصوصًا وجهه البيزنطي والذي يخبرك بأنه راهب فاسق، ولمعة عيونهن وجسده الرشيق وكانت ترى أن شذوذه مجرد عادات شخصية فريدة فهي تعيش اللحظة معه بجانب تمثيلي ممتع، وأدركت سلوى أنها كلما جارته في عاداته، كلما انفردت به أكثر، فهي تعرف أن له علاقات متعددة مع سيدات أخريات في مثل عمرها وأكبر، وهي تعرف أن أمجد عانى كثيرًا من تسلط أمه وقسوتها فهو ما زال يعيش في رعب لحظة دخول والدته عليه وهو يمارس الاستمناء وهو لم يتجاوز الثانية عشرة بعد، مازال يتذكر نظرتها الكارهة واحتقارها النهائي، ما زلت تنساب دموعه كلما استرجع مشهد سحلها له وهو بعد متصب ولم تدع له الفرصة حتى لترتيب هندامه.

تكونت شخصية أمجد شديدة التعقيد حتى تسرطنت جنسيًّا، وأفقدت أمجد صوابًا دائمًا تجاه المرأة، وبرغم من أن أمه ما زالت على قيد الحياة إلا أنه هجرها بلا عودة، واستقل بمجرد بلوغه سن الميراث للأب المفقود، وبالرغم من مرور اثني عشر عامًا أو أكثر، فإنه لم ير أمه ولا حتى مصادفة، وكأن القدر حسم تلك العلاقة السرمدية وحكم عليها بالإعدام.

ملحد أنا، وعن اقتناع عميق بعبثية الدين والآلهة والثواب والعقاب، ولـو كانت الديانات صحيحة لما تعاقبـت وراء بعضها تتنافس بضراوة على أن الرب علامة مسجلة لها وحدها حق الانتفاع بها.

وأؤمن تمامًا بأن الإنسان جاء ليعيش فترة، ثم يتهالك ويتحلل إلى لا شـيء . يوجد داخلي احتقار لمذلة الإنسان لربه، وكأنه هذا الرب رجل سـكير عربيـد لا بـد أن تداهنه وتظهر انسـحاقك وإلا بطش بك سـكره وعنفوانه، أرى الدين كعلاقة سادية توصل جذور التسلط داخل النفس البشرية المريضة، لا أنكر طريقتي المعقدة في اصطياد النساء الواقفات علـى عتبة الشـيخوخة بتردد، كي ألثـم حذاءهن وأقبل سـيقانهن، فهذا مـا يثيرني ويجلعني مشـبعًا باللذة الحارقة للجنس ثـم أعود إلى دوري الاجتماعي والثقافي والإعلامي أيضًا كمتحدث لبق في شـئون النجاح وأسـراره، عملي جيد له واجهة مضيئة، وعلاقتي بسلوى كافية إلى حد مـا وهي تذكرنـي دومًا بأنها مـن صنعني وقدمنـي للجماهير، لا أحمل ضغينـة مباشـرة لأحد وكنت أتمنـى أن أعيش في سـلام، لكن مجتمعًا كمجتمعنا لن يتركك تمارس حرية من حقك أصلاً، لسـاني سليط نوعًا ونابـع من عصبيتي الداخلية فبالرغم مـن إلحادي الذي نزعني من كافة الالتزامـات، إلا أنني أشـعر بأنني مكبل ومغلول لأشـياء مجهولة، وإن عدم الراحة أصبح شـيئًا ملازمًا لتصرفاتـي، أرى المجتمع يزداد عفونة وأعـرف ذلك من الطلاب في محاضراتـي وندواتي، أراها في الوجوه، طمع ونفاق وشذوذ، واستجداء لحياة بلا قيمة أصلاً.

اختفى أول سطر داخل فتحة أنفه المستقيم، وانتظر قليلاً ريثما تذوب البودرة في سوائل أنفه لتنطلق مباشرة عبر الشعيرات الدموية إلى المخ اللامع مباشرة.

راقبت سلوى وجهه المثير، وهو مغمض بينما تختلج جفونه معلنة أن نصف الحمولة وصلت للسائل العنكبوتي وأن المخ حاليًا يرتشف السائل المخدر ببطء وتلذذ.

عاود الحركة وانتظر أن يتمم حمولته لبرهة بينما مخه يتلمظ من فرط النشوة الداخلية وتفتحت القنوات الموصلة للاستمتاع مع قنوات التركيز ليفتح هشام عيونه مرة أخرى، ها قد تضخم الاسترخاء، ومهد طريقًا رطبًا للمتعة، وقد توقف الوقت، وبدا بطيئًا محملاً باللذة العارمة ويصله صوت سلوى تتحدث في الهاتف المحمول بعصبية لا تتناسب مع رومانتيكية الكيف والغيوم القطيفة التي يصنعها استنشاق الهيروين.

- انت فاكر نفسك شيخ بجد يا بتاع العيال انت؟؟ لازم تبقى هنا بعد نصف ساعة.

ثم تغلق الهاتف بعصبية وتلقيه على الفراش وتقوم بقوامها المكتنز تتحرك كلبؤة في قفص الأسر.

ينظر لها أمجد، ويقترب منها زاحفًا وماسكًا ساقيها وهو يبتسم باستجداء أتوماتيكي.

تنظر له سلوى بملل وترقب ليبدأ أمجد في طقوسه مرة أخرى في موجة استعطاف شبقه آتية على قضبان لامعة.

تنفعل سلوى وترطن بالفرنسية:

Assez de cela، après que la douleur de la saturation

يرد أمجد قائلاً بالعربية وهو منهمك في تقبيل قدميها بعد أن أجلسها على طرف السرير الدائري..

- اديني بس دقيقتين أنا خلاص على آخرى.

تنظر له سلوى بشفقة، وتتركه ينهي ما بدأه، بينما عقلها يقلب ما قاله لها الشيخ ياسين.

كانت سلوى بالرغم من حبها للحميمية إلا أنها كانت ذات قوة شخصية وتقود أي عملية بكل حزم وتدقيق، فالربح عالٍ والعلاقات تتغذى على الربح.

تنظر لأمجد المحموم تحت حذائها بشرود بينما تقلب كلامًا آخر في جوف جمجمتها.

هشام نجح في القفز على ابنتها، ثم قفز على أبيها أيضًا، وامتطى الاثنين وخرج بما لا يقل عن عشرة ملايين جنيهًا.

ماذا تفعل الآن؟؟ الآن هشام تجاوز دور أمجد عشيقها، ثم تجاوز دورها هي أيضًا وتخطى جنا ابنتها ليصل رأسًا لسعد الدين طليقها.

واشتعل عقلها بمشاعر الخسارة الفادحة والخطوط المتعرجة لوضعها المالي.

فخزينتها أوشكت على الاستقالة اعتراضًا على أسلوبها الباذخ في الحياة العادية أو غير العادية، فهي تنفق بلا أي تفكير وتعتني بنفسها لدرجة التعقيم واشتهرت بأنها المستلكهة الأولى لكل كريمات الشد والانتفاخ والتجاعيد ومحاربة التجاعيد الدقيقة والغير دقيقة كما تقوم بشد لحمها بشكل دوري حتى تحتفظ ببقايا نضارة اهترأت في أحضان الرجال، فهي تحب الجنس كإجراء وقائي دائم من جرائيم الترهل والكبر في السن، والغريب أنها وقعت في حب أمجد الذي لا ينظر أصلاً إلى كل هذا الشد والحقن ولكنها يعشقها؛ لأنها في عيونه التايب (tybe) المرغوب لديه فهو يراها اجتازت عتبة الشباب بعقدين أو أكثر ويرتاح لملمس جلدها المخملي الرخو ويراها أمًّا من الأمهات التي يجب أن .....هن.

إنه المخنث الكلب زوجي السابق.

لقد فعلها وتجاوزني أنا وأمجد في أحرج اللحظات.

أبرم الصفقة وباع وقسم بعيدًا عن أظافري.

رفعت سلوى هاتفها المحمول السري.

وأجرت اتصالاً بطليقها.

وسرت النار في الهشيم بينهما.

نعتته بالخنوثة، وذكرته بماضٍ مغلف بالفضائح، ونعتها بالشبقة، وبأنها ثقبًا لا يمتلئ.

ألقت الهاتف على الفراش، بينما أمجد يدخل حاملاً كأسين متدليين بين أصابعه وزجاجة شيفاز أسفل باطه، وقد تدلى طرف لفافة التبغ من شفتيه.

- مالك ؟؟

- سعد الوسخ عمل صفقة تقيلة من ورانا.

- إيه؟

- واللي يجننك إنه استعان بصاحب جنا (هشام) ومعاه رضا والشيخ ياسين، انقض عليها أمجد زاعقًا.

- وإنتي طبعًا نايمة على ودانك، وبنتك الزبالة دخلته في الموضوع عشان بيكيفها، متيش عارفة الظروف اللي داخلين عليها؟ السيولة خلاص على آخرها.

نظرت له سلوى بتحدٍّ وقسوة.

- خاللي شمام غيرك يتكلم، إنت عارف إنت بتصرف كام على الزفت الهيروين؟

- كام يعني؟؟ إنتي باصة للألفين جنيه اللي باجيب بيهم كل كام يوم.

نظرت له صامتة بينما تطايرت نظرات حمراء اللون من عيون أمجد الذئبية.

-إنتي بتعايريني يا معفنة، أنا اللي عمري ما سألتك عن نسبتي، لا وفاكرة نفسك بتكلمي أحمد ذكي في فيلم المدمن، الهيروين يا ماما بقي منتشر زيه زي الحشيش على نواصي الشوارع.

عبرت سلوى كل هذا الهراء، وعادت للموضوع الأصلي.

- هنعمل إيه دلوقتي؟؟ ياسين بيقول إن الموضوع لسه فيه.

نظر لها أمجد منتبهًا.

- إزاي؟

أنا قلتله ييجي حالاً عشان نتكلم، ياريت تقوم تاخد دش وتفوق نفسك عشان تصحصح، ونشوف هنعمل إيه مع الشيخ.

- طب ما أقوم أتوضى أحسن؟؟

غادرته متوجهة لخارج الغرفة، وبرطمت بلكنه فرنسة ملغومة.

مارست الانهيار في حضن أمي متجشئة العطن وفاتحة للجرح المتعرج.

الغريب أن أمي تلقت خبر علاقة هشام بتلك الغادة بصمت، وتقبل غير خاف علي

ونظرت لي متجهمة قائلة:

- ومين بيحسب مراته يابنتي؟ لازم يا حبيبتي تعرفي إن الرجالة بيفكروا بطريقة تانية.

والست اللي اختارت تكون زوجة وأم لازم تعرف إن جوزها متجوزها عشان تخلف العيال ويراضيها وخلاص وخصوصًا لما تبقى واحدة مدهولة زيك ومدلوقة عليه.

نظرت لها بتمعن بينما واصلت حديثها بعد أن دفعتني عن حضنها بخشونة مصطنعة.

- إوعي كدة خلينا أخلص المحشي.

أنا أعرف أمي وأعرف أنها لا تظهر مشاعرها لأبنائها، بل تتصنع الغضب حتى تغلق أي موضوع حساس.

ولكني كنت عنيدة، واستعنت بغيرتي الجريحة في الانقضاض على أمي بالأسئلة.

- يعني أسيبه ينام مع واحدة تانية، وأحمد ربنا إني مراته؟

نظرت أمي لي بعناد قائلة:

- آه سيبيه.

جززت على أسناني بغلّ منعه أي لفظ آخر من الخروج، بينما أمي تواصل لف أصابع محشي الكرنب قائلة:

- يا بت افهمي اللي زي جوزك وقت ما هتقليله: (بِم هيقولك على راسك وتتم) ومحدش هيعرف يعمل معاه حاجة مشوفتيش معاملته لأمه وجوز أمه وإخواته؟

نظرت لها بصمت، وهي تواصل:

- سيبيه، بكرة يتهد ويزهق من وِرك دي ومن بِز دي، وهيجليك إنتي.

- ياماما إنتي بتتكلمي كإني مش بني آدمة ولا ليا إحساس.

لوحت أمي بيدها الملوثة بخلطة المحشي بغضب، وأوشكت أن تردح بالبلدي.

- وانتي عايزة إيه يا بت؟؟ فاكرة نفسك هتمثلي فيلم سكس معاه؟ اخص على تربيتك الوسخة، لا هو انتي فاكرة إن اللي زينا اتخلقوا للبهدلة دي.

نظرت لها مبهوتة بينما واصلت أمي غضبها.

- انتي بنتي ونفسي إنك تتهني وتشبعي لكن كله بالأصول، انتي فاكرة نفسك واحدة صايدها من شارع جامعة الدول، ده انتي مراته،

ومتجوزك على نن عينه، اصبرى ويكرة تركبي وتدلدلي رجلك على كل قحبة يعرفها، بس كل الجواز في أوله كده.

اندحرت أمام منطق أمي الشعبي الصميم، ولذت بالصمت لأن أمي تترجم كل كلامى لجزئية واحدة تجعلني أخجل من نفسي خصوصًا. وأنا من شاهدت هذا العرض الجهنمي من زوجي المجنون، وبكل الطرق حاولت أن اضع نفسي مكانها لكن بدني اقشعرّ وغرقت في الخجل الشخصي.

فأكملت أمي منهية الحديث.

ومع مرور الوقت تزايد عندي كبرياء عجيب قوامه أنني عفيفة ومحترمة، وأنام في حضن رجلي (أبو أبنائي) بشرع الله ورضا المجتمع.

وكفاني منه لمسات وواجب متقطع.

ولم يتردد في ذهني غير كلمة واحدة قالتها أمي (احمدي ربنا).

وواصلت الحمد والتودد لله والعناية بابني الرائع، وابنتي الجميلة.

استقبلت سلوى الشيخ ياسين بفتور وعدم ترحيب لائق.

نظر لها الشيخ مبتسمًا.

- لا حول ولا قوة إلا بالله؟؟ إيه المقابلة اللي مش ولابد دي؟

نظرت سلوى ولم ترد في حين دخل أمجد ماسكًا كأسًا مترعة.

نظر له الشيخ ياسين متوددًا.

- إيه يا أستاذنا الفاضل المدام شكلها غضبان علينا ليه؟

- من عمايلك يا مولانا.

- أنا معملتش حاجة أنا عبد المأمور، تعالى يا شيخ، روحت عزم يا شيخ عزمت حدد يا شيخ حددت، وأنا مالي أعرف مين اللي ورا الموضوع، وكمان كان رضا معايا.

تميزت سلوى غيظًا.

- انت فاكر محن الشيوخ ده هيدخل عليا؟

نظر لها الشيخ، وهز رأسه متمتمًا بدعاء خافت، ثم قال بفجور مفاجئ.

- وميدخلش ليه يا مدام؟ وبدل ما حضرتك عمالة تبكتي فيا متشوفي بنتك هيا اللي عملت كل حاجة.

صمتت سلوى وأدركت أنها تصب غضبها فقط منذ أن عرفت بالصفقة وتركت لنفسها العنان في التعبير عن هذا الغضب.

وكعادتها أشعلت سيجارة رفيعة ونفثت غيومًا كثيفة قبل أن تهدأ وتبدأ من جديد

- هات اللي عندك.

نظر لها الشيخ معجبًا برباطة جأشها المتوقعة وبدأ في الشرح المستفيض.

وأن الغرفة الأساسية لم تفتح بعد.

بها مومياء وتابوت من خشب الورد المطعم بالذهب ولفائف الجثة محشوة بقطع من الجواهر وقنينات الزئبق الأحمر.

- بس؟؟

- اه بس .... احتمال يكون فيه زلعة فيها المصارين واحتمال لأ (يقصد طبعًا الأوعية الكانوبية التي يحتفظ فيها المحنطون بأحشاء الميت).

- وانت عارف فين الغرفة بالظبط؟

ينظر لها الشيخ بخبث.

- مش بالظبط أوي لازم أعمل التعازيم هناك.

قام أمجد متجهًا للخارج، ثم عاد وفي يده رزمة بعشرة آلاف جنيه، ووضعها أمام الشيخ.

وقال:

- خلاص يا شيخ ابتدي اعمل تعازيمك.

نظر له الشيخ بابتسامة استهانة قاسية، وأرجع النقود إلى حيث أمجد، ثم لسلوى مكملاً:

- شوفي يا ست سلوى أنا جاي أبيعلك معلومة تعملي بيها شغل وتديني نسبتى وأنا عارف الظروف اليومين دول، وقلت أعمل بأصلي وشوفي هعتملي إيه وبلغيني.

.

وهكذا اكتملت دائرة التعارف مرة أخرى فسلوى تكلمت مرة أخرى بلهجة تبادل المصالح مع طليقها سعد الدين، والذي استمع لها بإمعان نافضًا كل الخلافات بينهما، وأخبر الأسطى رضا صديقه هشام بما قاله الشيخ ياسين، فبلغ هشام سعد الدين بحكم عملهم السابق المتوج بالمكسب الغزير، وتم الاتفاق بين الجميع بكل ترحاب ولكن بقت غصة في حلق كل من سلوى وعشيقها نظرًا للخسارة السابقة.

وعلى الشيخ ياسين أن يسافر فورًا إلى محل التنقيب القديم ليكشف عن مكان غرفة الدفن للعشيقة الفرعونية بالاتفاق مع المقدس بخيت ورجاله وبعض من رجال الأمن المحسوبين على السيدة الخطيرة.

وكانت الأحداث المتلاحقة هي السيد بلا منازع.

عودة لمكان نحت الصخور السابق.

الشيخ ياسين يقوم بتلاوة العزيمة للكشف عن زاوية التوغل داخل الصخور، والمقدس بخيت يشرف بكل حزم على إعداد العدة من أنفار وأدوات وينصب عدة خيام، ويتفقد المياه والمأكولات.

الشيخ ياسين يتوقع أن يستمر الحفر ما لا يقل عن الشهر للوصول إلى غرفة الدفن الرئيسية، وهذا ما يعني أن الإقامة لابد أن تكون كاملة، وقدر المقدس بخيت أن تكاليف النحت والحفر ستزيد عن النصف مليون جنيه بما يشمل أجور الأنفار والتأمين السري للبعثة، وهو ما دفعه هشام شخصيًا عن طيب خاطر كما أنه هو من دفع للشيخ ياسين أجره الأولي من العملية، وكان هاتف هشام لا يهدأ في المكالمات بينه وبين سعد الدين ورضا والشيخ ياسين وسلوى لمتابعه العملية المهولة، وطوال أكثر من خمس وأربعين يومًا حدث أشياء سنرويها لكم حالاً.

((السلعوة))

كان رجال المقدس بخيت يعرفون ما يجب عمله في مثل هذه العمليات، كانوا ينامون نهارًا ويعملون ليلاً، ويستخدمون مهارتهم في نحت الصخور وإخراج المكسور منها بعيدًا عن مكان النحت والحفر.

ياسين قال إن الغرفة تنحدر لأسفل بزاوية 30 درجة، ثم ينحت نفق معتدل المنسوب بطول ستة أمتار قبل أن تجد البوابة الصخرية الأساسية والتي تسد باب غرفة الدفن الوحيدة وعلامة الباب الصخري، وجود نحت لإله الشمس رع مع ثعبان الكوبرا.

كان العمال يشتغلون ليلاً فقط، ابتدأ من الساعة التاسعة لفجر اليوم التالي ثم يسقطون في بئر النعاس العميق طيلة النهار.

المقدس بخيت يعاملهم بالحسنى أحيانًا، وبالشدة الصارمة أحيانًا أخرى فهو مثال للقائد المحنك الذي يعرف كيف يقود مساعديه وعماله.

لكن..........

لماذا يرى في وجوه العمال ذعر وتطير وانزعاج؟

كانـت العملية الأولى سلسـة إلى حـد بعيد، أما العمليـة فكانت بلا ريب قاسـية وبها شبهة تعاسـة وصمت، المقدس بخيت يعرف أن هذه علامـات إيجابيـة ويتولى تلاوة صلواته الخاصـة؛ لأنه يعرف أن النبش في مقابر الفراعنة محاط دومًا بالشر والحراسة الشيطانية إلى أن حدثت أولـى المنغصـات عند الانتهاء من الحفر المائل، ففـي أثناء نوم العمال نهـارًا، وبالتحديـد سـاعة الظهيرة القائظة خـرج العامل سـعيد ليقضي حاجته ماسكًا بزجاجة ماء بلاستيكية.

اختار صخرة ذات نتوء، ورفع جلبابه وجلس القرفصاء ليتغوط.

الصمت هو السـيد بلا منازع، وصوت الريح السـاخنة تندفع بانتظام الصمت نفسه.

وبينما النفر سـعيد في وسـط قضاء حاجته إذ يسمع نبشًا سريعًا على الصخـور وصوت مسـعور يخـور بالقرب منـه، وقبل أن يقـوم معتدلاً تفاجأ بأنياب تنغرس في مؤخرته بلا رحمة.

صرخ سـعيد بألم وذعر، ولكنـه كان بعيدًا عن المخيم، وحاول دفع صاحب الأنياب عنه ليفاجأ بكائن أجرب لامع العينين لا هو بكلب ولا هو بذئب، بل مزيج مشوه ووجه أجرب يسيل من فمه مخاط.

صغيـر الحجم عظيم الشراسـة يقضم من مؤخرته وسـاقه بسـرعة واندفع الدم من جسـد العامـل ليثير ذعره أكثر ويحـاول دفع المخلوق بيديـه ليقضـم المخلـوق ثلاثة أصابع مـن كفه اليمنى، ولم يجد سـعيد إلا الركـض وهـذا الكائن ملتصق بـه ويواصل تمزيق ما تصـل له أنيابه

مخالبـه، وقبل أن يصل سـعيد لحـدود المخيم رآه الحـارس النهاري جـرى عليه محاولاً إنقـاذه، وقد رفع بندقيته القصيـرة تجاه المخلوق الذي توتر بمجرد أن رأى الحارس محمد فترك سعيدًا وجرى في دوائر حتـى يتجنب رصـاص الحـارس، ثم اختفـى، فهرول الحـارس حيث سعيد ليجده ممزق الساقين ومقطوع الأصابع ومغطى بالكامل بالدم.

انحنـي عليـه يتفحصـه بينما سـعيد عاجز عـن النطق إذ هـو يتنفس بسرعة فقط.

وقبل أن يقول الحارس شيئًا دخل الكادر ذات المخلوق الهارب من الرصاص لينهش وجه الحارس، ويقتلع عينه اليسرى، وأنفه، وجزءًا كبيرًا من شفتيه ليخر الحارس بجوار سعيد وهو يلوح بيده مذهولاً متشنجًا.

إنها السلعوة الرهيبة والذي يعتقد الكثير من أبناء الصعيد أنه مخلوق جهنمي اسـتخدمه المصريـون القدماء في حراسـة معابدهم ومقابرهم على حد سواء.

لدرجـة أن الكثيـر مـن المؤرخيـن اعتبـروا طقوس دخـول المعابد هـي لتجنب غضـب حراس المعبـد، ومنهم ذلك الحيـوان القبيح فائق الشراسـة والـذي هـو خليـط بين الذئـب وابـن آوى، بينما حـار علماء الحيوان في تصنيفها بشـكل مؤكد إلا انهم اتفقـوا أنها تنحدر من عائلة الكلبيات العريقة وقد قدسه المصريون القدماء بخوف عظيم متمثلاً في أنوبيس إله المقابر وحارس العالم الآخر.

تركتهما السلعوة ينزفان الدم بسخاء ويعتريهما الذهول، وكل واحد فيهما يزى لحمه الممزق بأم رأسه.

وتوجهت ببطء حيث النيام من عمال الحفر.

تحركت بقوة مسعورة ولهاث غاضب، وقد بان آثار الدماء على أنيابها المسمومة

واقترب الكائن الوحشي من الخيمة الأساسية والتي ينام فيها ما لا يقل عن عشرة عمال من صعيد مصر.

أخذت تحفر الأرض الرملية إلى أن صنعت فجوة تسمح بانزلاق جسدها المسحوب وقوائمها الطويلة إلى أن دلفت بالكامل للخيمة.

الجو العام هو شخير عالٍ يصدر من أنوف الجميع حيث الرقاد الممزوج بالعرق والشقا الليلي، والكل في أوضاع مختلفة إلى أن وصلت لعامل مكتنز الجسم يغط في ثباته العميق.

تشممته باسترخاء، وقد بان جزء من صدره الممتلئ، ثم أجهزت بمنتهى الغدر عليه لتقضم قطعة كبيرة من لحم صدره فتح العمل المسكين عيونه وهو غير واعٍ وقبل أن يصرخ كانت قضمت قطعة من جسده حيث الحنجرة لينفجر الدم غزيرًا والعامل يهتز بعنف ويضرب زميله النائم الذي انتقل على جنبه الآخر، وهو لا يدري أن الهول على بعد خطوة، وأنه هو التالي حيث قطعت السلعوة جزءًا لا بأس به من خده وأذنه ليصرخ العامل بذهول، ويقوم مفزوعًا كل من في الخيمة ليروا بحيرة الدم الغارق فيها زميلاهم.

وطبعًا الهرج والمرج والركض داخل الخيمة وخارجها كان سيد الموقف قبل أن يهرب هذا الكائن المجرم بعد أن قتل ثلاثة عمال، , أصيب الأخير إصابة بالغة أودت بحياته بعد أيام من الحمى والهذيان.

وطبعًا توقفت عملية الحفر، وأصر العمال على الرحيل من الموقع او لا حزم المقدس بخيت لهدم العمال ذلك النفق الذي حفروه.

لولا أن العمال كانو يتسبون بصلة قربي ومعرفه قوية لبعضهم ،العامل سعيد له أخ وابن عم معه في نفس المكان كذلك الحارس كان ،صحبة صهره والباقى كذلك.

وفي اجتماع سريع للمقدس بخيت كان كل شيء في طي كتمان هذه العائلات فالناس في الصعيد لا تتحرك للثأر أو إحداث الجلبة إلا ي حالات القتل المتعمد فقط، أما أن يمزق حيوان مسعور أربعة منهم ،هي بمثابة حوادث السير أو الموت القدري وبسرعة كبيرة تم تحويل ،بلغ خمسين ألف جنيه لكل أسرة، فقدت عائلها في عمليات الحفر ،ما تم صرف مبلغ عشرة آلاف لكل عامل ليلنم شمل باقي العمال، , فد جلبوا سبعة آخرين ليحلوا محل من رحلوا بأنياب السلعوة القاتلة , نم تزويد الحراسة من رجل واحد إلى أربعة أشداء مسلحين يتوعدون ،لك الحيوان بأسوأ مصير لو وجدوه.

ولكن مازال الجو خانقًا ملوثًا بدم الضحايا في الماضي القريب.

وبالرغم من ذلك، استمر الحفر كما حدد الشيخ ياسين وبدأ الرجال في النحت بشكل أفقي لكي يصلو للغرفة وكنزها الثمين.

......

أتذكرون سلمى؟

تلك الجارة المطلقة والتي ساعدت نهلة في التسلل لشقة زوجها.

كانت تقوم بالتنظيف ورفع السجاجيد بمساعدة امرأة تأتا له مرة في العام.

وفيما تقوم سلمى بالتنظيف النادر لشقتها إذ تجد مفتاحًا منفردًا ملقى أسفل الأريكة.

مفتاح منفرد؟؟

من أين جاء؟؟

أمسكت به متأملة وسرحت قليلاً.

أنفقت على بعثة الحفر بسخاء ربما لأنني أجد أن هذه النقود ..صولة عما أنا فيه أو ربما بحثًا عن مزيد ومزيد من الإثارة في حياتي الصامتة نوع معقد من الميسر أنفق فيه بسخاء مازوخي وكأنني أتمنى الخسارة الجزئية.

وحياتي التي أشعرها تتغير لمجهول لا أعرفه أو لدرب آخر ربما.

كل ما أدركه أنني أتغير وأنني حاليًّا مجرد هلام لم يتشكل بعد ولم تجمد تفاصيله.

كان اجتماعي مع الشيخ ياسين ورضا وسلوى وأمجد.

اجتماع السيد بالأتباع، ولم تغب عني نظرة المداهنة في عيون سلوى ذات الرموش الصناعية وتابعها أمجد، بل والشيخ ياسين صاحب العفاريت.

كنت أسعى لتوريطهم وإذلالهم بكل الطرق، فقط لأثبت لهم أنني من يلعب اللعبة بقواعده الناجحة، ولا سبيل للمكسب إلا من خلالي أنا.

ربما الأسطى رضا الذي كنت أختصه بحسن المعاملة لما له من سابق الجميل.

وفي ليلة من ليالي أغسطس الحارة تلقيت هاتفًا من رئيس العمال المقدس بخيت

إنهم تقريبًا وصلوا لباب الغرفة التي يتوارى خلفه تابوت العشيقة الملكية.

انتصب فكري قائمًا على الشهوة الجديدة.

فأنا مقبل على مغامرة حقيقية، بل أنا من يقود تلك المغامرة ويدفع تلكفتها العالية

سعد الدين حلاوة احتل جيبي الأيمن بعدما بيضت وجهه في عملية الأوشابتي الذهبية.

وليكن ما يكون.

جنا سافرت؟؟

تلقى هشام هذا الخبر بنوع عجيب من الشرود.

أين ذهبت ولماذا لم تخبره؟ ألم تتوكد سلطتي الذاتية عليها بما يكفي، أم أن لغة المصالح والسلطة تلعب بجاذبية أعلى من تلاصقنا المتبادل السوائل.

تنامى إلى علمه إنها من يصطحب المجموعة الأثرية إلى الخارج.

وهي مهمة تليق بالفعل بها فهي الحسناء الصاروخية ابنة واحد من أهم رموز النظام، بل والزوجة المستقبلية لابن الهانم.

بعث برسالة بلا استجابة.

لابد أن هذه الكلبة تفعل شيئًا أهم بكثير من سطوتي عليها.

وسرحت مع أفكاري مغتاظًا.

وقررت كما قفزت لأبيها الناعم أن أقفز لما بعد ذلك.

كبريائي يحتم عليّ إكمال الحلقة الجهنمية ويهيئ لي التيسير الفاعلية.

فـي صمت مهيب يلف المـكان أمسـكت أصابع مسـيو (جاكوب ادمونـد) عالم المصريات الفرنسـي بتمثال من المجموعـة متأملاً بينما تجلس جنا والسيد سمعان في قبالته.

العالم الفرنسـي انفصل تمامًا عن الواقع ماسـكًا بعدسة مكبرة وهو يتأمل الكتابات والطلاسـم ثم يأخذ واحـدًا آخر ويعود لفحصه العميق بتركيز كبير.

شـعرت جنا بالملـل ولكنها كانت فـي مهمة رسـمية ومبعوثة فائقة الخطـورة بذلـك الكنـز الثميـن ومن خـلال شـعورها بتلـك الخطورة استمدت الفتاة قوة وتمركز حول نفسها.

الـسيد (دفيد سمعان) كهل في السـبعين تقريبًا، وإن كان يبدو أصح بدنًـا وأقـوى تركيـزًا بلونـه الخمري وعيونـه الزرقـاء وأنفه المسـتقيم وجسـده الأقرب إلى الرياضي هو رئيس النادي السـري، ويمارس كل عمليـات البيع والتبادل بين الأعضاء بنفسـه ويمر عليه مختلف التحف والأثريات، ولكنه كان يجل ويحترم الآثار الفرعونية بدرجة كبيرة ربما لأن جـذوره مصريـة، وينحدر من كبـرى عائلات اليهـود في مصر، بل ولم يغادر مصر إلا في منتصف السـتينات غير هارب كما فعل الرمادي

ظيم من بني جلدته، بل تركها ليكمل دراسة الطب في الولايات
تحدة واستقر للأبد في باريس، يمارس نشاطه بكل استمتاع وسطوة.

رفع العالم الفرنسي ناظريه إلى سمعان.

- مجموعة نفيسة بلا شك وتحمل قدرًا كبيرًا من اللعنات والغضب
ى موت عشيقة الملك ومحبوبته، ولكن الكتابات تحتاج لفحص
يق؛ لأن بها شيئًا مختلفًا لا أعرف ما هو.

نظر له سمعان بتركيز كبير بينما تصنعت جنا الاهتمام.

عاود عالم المصريات استطراده قائلاً:

- المجموعة ليست لخدم الأوشابتي المكلفين بخدمة الجثة لكنهم
ب ما يكون لجيش صغير يقوم بالحماية الكاملة للعشيقة المغدورة
كن أيضًا يوجد بها الكثير من تعاويذ السحر الأسود.

قاطعه ديفيد سمعان:

- انت تعني أن هؤلاء الأوشباتي ليسوا خدمًا، بل هم جنود
اسة؟؟

يرد عليه إدموند:

- بالطبع سيدي، انظر للتمثال لتجد أنه أبعد ما يكون عن الخادم، بل
جندي في ثوب خادم كما أن تعويذة (النسر)هي القاسم المشترك
م جميعًا.

- تعويذة النسر؟

- نعم سيدي ديفيد فهي التعويذة المسئولة عن الحماية والانقضاض على لصوص المقابر والمعتدين على قدس المدفن.

نظر له ديفيد بعيونة الزرقاء الزجاجية مطلقًا زفيرًا من غليونه قائلاً بخبرة اليهود وحنكتهم المتوارية.

- ولكن هذه المجموعة وجدت منفردة في غرفة صخرية فأين الذي كانت تحرسه؟ ثم من هو الملك؟

-إنه الفرعون الرب سنوسرت الثالث أعظم فراعنة الأسرة الوسطى والموضوع يمس حقيقة تاريخية جديدة، أما الذي كانت تحرسه فهو من المؤكد مومياء بالجوار فالكهنه الذين قاموا بالدفن راعوا مشاعر الغيرة للرب العاشق المكلوم.

نظر له سمعان بقوة ألزمته الصمت بينما دار برأسه للجميلة المصرية الجالسة.

- الواقع يا مدموازيل أنك جئت بشيء رائع وأنني أشكرك وأطالبك ببقاء مؤقت سعيد.

ابتسمت جنا وردت عليه بفرنسية سليمة.

- أشكرك سيد ديفيد، ولكني مرتبطة بإكمال مهمتي بالعودة لمصر

نظر لها الرجل نظرة متفحصة طويلة نسبيًا ثم قال:

- ستظل مصر منبع الجمال والإثارة.

نظرت له جنا غير مدركة لكلامه، ثم ابتسمت رغمًا عنها لما في العبارة من غزل واضح.

فأكمل ديفيد:

- الهانم حظها رائع أن تقتني تحفة نادرة مثلك لابنها المدلل كمال.

نظرت له جنا مرتبكة وابتسمت مرة أخرى فأكمل:

- كمال شاب جميل ومتناسق وله ذوق خاص جدًّا.

أظلم وجهها لجزء من الثانية، ثم تداركت الموقف قائلة:

- إني أحب كمال بكل تفاصيله، وذوقه الخاص هو أكثر ما يعجبني فيه.

اتسعت ابتسامة ديفيد قائلاً:

- انتي أيضًا ذكية لبقة علاوة بأنك جميلة.

نظرت له جنا بكبرياء مباغت.

- هذا يرجع لأصلي العريق، فأنا ابنة سياسي كبير في مصر.

تعالت ضحكة مرحة من ديفيد وقال لها بخبث:

- سياسي معارض؟

- لا طبعًا فهو من أخلص رجال النظام.

فضحك عاليًا بأناقة ثم أردف بخبث.

- إذن انتي فعلاً من أصل عريق.

نظرت له جنا من جديد، ولمحت لمعان عيونه الزرقاء القاسية وشكله المعقم وطريقته التي لا تخلو من تعاريج المعاني توارى شيئًا قويًا يملكه الرجل أو مازال يملكه.

- هذه المجموعة لو اكتملت ستكون درة التاج في مجموعتنا العالمية.

هكذا اندفع جاكوب بالكلام مرة أخرى.

فابتسم ديفيد بوقار فأكمل جاكوب اندفاعه.

- إنها تحكي أسطورة حية وموثقة عن قصة حب وغدر وملك وعلاقة سرية هذا إلى الكم الهائل من الطلاسم واللعنات المصاحبة للقصة من الواضح أن الملك مات كمدًا عليها.

رمقه ديفيد بشرود فسألته جنا مباغتة.

- سيد ديفيد أنا أرى أنك تولي اهتمامًا كبيرًا للآثار المصرية بالذات هل يرجع ذلك لأصلك المصري؟

بشرود أكبر تكلم ديفيد:

- أنا أعشق مصر يا جميلتي .. عشق عميق نابع من أجمل أيام العمر - فقد غادرت مصر في سن السابعة عشرة .. مودعًا العشق واللذة - فلم أكن بريئًا تمامًا وقتذاك، بل كنت نحلة عسل تمضغ الرحيق من كل الزهور - بعد مصر سافرت كثيرًا وجربت كثيرًا لكن طعم اللذة الحقيقية لم أعرفها إلا في بلدي مصر.

نظرت له جنا مبتسمة، وقد أدركت أن الرجل في حالة شبق دائم للمرأة المصرية.

(إوعى تكون بتاع خدامات يا منيل) هكذا تداعى المعنى في رأسها

فتابع ديفيد بنفس الشرود:

- لقد فَضت بكارتي على يد مصرية، وأنا عمري لا يتجاوز الثالثة عشر، ثم بدأت مغامراتي الحارقة في شوارع مصر وحواريها وأزقتها وأسطح منازلها، أنهل من تلك الإثارة العجيبة الممزوجة بالعرق

والزحام والموالد والعيون والأجساد، مصر بلد الخصوبة والتهاب الهرمونات، ولا تنخدعي بالتدين العام في بلدك فهو موجود لحماية المجتمع المصري من أن يصبح نزلاً كبيرًا للدعارة واللذة.

تعجبت جنا من أمر الرجل، فهو يتكلم كما لو كان مثار جنسيًا.

- وكما يأخذ العاشق من العشيقة تذكارًا حميمًا آخذ أنا من معشوقتي الأزلية أغلى وأهم التذكارات.

- كنت أظن أنك تبيع وتشتري.

نظر لها ديفيد.

- إلا مع الآثار المصرية فنحن نتداولها بيننا، ونفخر بها أمام الآخرين لأننا لا نبيع تاريخنا، بل نجمعه.

- انتم مين؟

نظر لها ديفيد بابتسامة عريضة، وتحرّى الصمت قليلاً ثم قال بعمق لا يخلو من فخر.

- اسألي الهانم.

- ولكنكم تدفعون بسخاء، هل أنتم حمقى وعشاق لهذه الدرجة؟

نظر لها ديفيد مستعيدًا لهجة قديمة لم يستخدمها منذ عقود.

- الغالي تمنه فيه يالدلعدي - ثم إنها نقودنا نبعثرها باليد ونجمعها بالجاروف.

ثم أتبع جملته بغمزة استهتار وغواية.

الدقاق الكهربي يمارس عملية شق الصخور في النفق الأفقي المؤدي للمقبرة من الواضح أن بناة القبر قاموا بنحته بشكل منتظم وأسفر هذا عن مكعبات صخرية، ومن الواضح أنهم أعادوا نحت صخور بنفس المقاييس، ثم أدخلوها تباعًا بعد إتمام مراسم الدفن. حيث سُدّ النفق بذات نفس الصخر المنحوت سلفًا وبالتالي التأم الجرح الصخري وأصبح القبر بالفعل في قلب الصخور .. قالها المقدس بخيت عندما تهاوى جدار صخريًا منتظمًا أمامه كما لو كان مقطوعًا بالقادوم وهذه القطعة المنهارة حددت بالفعل حجم النفق المؤدي للمقبرة.

رائحة عرق الرجال أصبحت حامضية كاوية والهواء قليل وعملية النحت على أشدها فعلاً كان هناك رجلان شديدين يمارسان النحت العنيف في الصخر بينما يتناوب سبع رجال في رفع المكسور وإخراجه للعراء وهي عملية مؤلمة شاقة ولكن القلوب مطمئنة؛ لأنهم يتعاملون مع صلادة الصخر ومن ثم لا خوف تقريبًا من الانهيارات الرملية أو الصخور المفككة تعلم الرجال أن ينحتوا في زوايا النفق ومن ثم يفصلوا جزءًا منتظمًا أو شبه منتظم من الصخر .. لقد بات اللقاء وشيكًا جدًّا!!!

(في بيت الشيخ ياسين)

انتفض الشيخ ياسين وهوى بصفعة قاسية على خد زوجته الطفلة
سيماء) والمستلقية أمامه في الفراش، وإذ بها تنهار باكية وتحاول
يام من تحته ململمة ساقيها، فدفعها الشيخ بقنوط وقد احمر منه
جه، وقام هو قبلها رافعًا سرواله الداخلي .. ونظر لها شذرًا بينما
جته الطفلة والتي لم تتعد الرابعة عشرة عامًا منخرطة في بكاء شبه
ولي وهي حائرة منه أشد الحيرة .. فعلى مدار الليالي الطوال لم
ستطع الشيخ ياسين أن يخترق حصنها الصغير، فبمجرد ما أن يبدأ
سين في الاندفاع بعد طول تركيز يعتري البنت ذعرٌ عاتٍ، وتستحيل
اقاها إلى عمودين من الخرسانة وبكل الطرق لم تستجب البنت ولم
بي نداءه المحموم، وبالطبع كان لابد من إتمام العملية بيولوجيا
نسبة لياسين، فكان - وآسفاه عليك يا ياسين - يتممها بنفسه كما لو
ن مراهقًا يتأمل مجلة جنسية في دورة المياه المدرسية، حتى يهدأ، مع
، زوجته القديمة موجودة معه في نفس البيت لا يفصلها عنه إلا جدار
نرفة المجاورة ... ولكن في هذه الليلة بالذات انهارت البنت صارخة
ر تلك الصفعة والرعب المتلازم معها في اللقاء مع هذا الرجل..

الرعب هي ما تشعر به وتعرف جيدًا بأن هذا الزوج الأكرش العظيم الصحة لابد أن يلوي شقها لنصفين ولا حيلة لها، إلا أنها تتجمد بشكل هيستيري حتى لا يصل ياسين أبدًا إليها ..

يخرج ياسين إلى صحن شقته الفسيحة بملابسه الداخلية ويأخذ زجاجة مياه ومن المبرد ويخرج إلى هواء البلكونة وهو يزفر بالاحتباس، يتحرك شبح آخر في نهاية الشقة ويقترب من ياسين . إنها زوجته الأولى والتي تعيش منعزلة بغرفة في آخر الشقة.

كانت أقرب للتكوين الرجولي قصيرة مدملجة بلا رقبة تقريبًا غامقة السمرة بشعر ذهبي مصبوغ وحاجبان رفيعان تلبس جلباب منزلي فاخر من اللون الأزرق اللامع فبدت وكأنها مزهرية قبيحة، نظرت له نظرة متسائلة، كان التشفي واضحًا فاضحًا في عيونها العسلية المستديرة وهي تقول:

- بردو البت معاكساك؟؟

ينظر لها ياسين طويلاً قبل أن يجيب.

- قولي محجرة، قولي مسدودة.

تنظر له السيدة قائلة بفحش مفاجئ:

- ماهو لو كنت راجل بجد كان زمانك سالك طريقك.

ينظر لها ياسين بحدة ومقت ولكنه لا يرد.

يوجد شيء بينهما يجعل هذه المرأة الأقرب للأقزام لها سلطة أقوى
ـ.لطة الشيخ ياسين نفسه، فهي تتكلم باسترخاء وفحش في نفس
ـ وتتجرأ وتتطاول بلا حواجز.

- يالـلا قـوم فـز وانت قاعد زي اللـي طبيخها اتدلق يا حسـرة قلبي
على جوزك يا فوزية.

ينظر لها ياسين بانكسار قائلاً:

- مافيش داعي للكلام ده يا فوزية.

تنظر له فوزية شذرًا قائلة بحزم:

- انت لازم تدخل عليها الليلة وأشوف عرضها بعيني.

البنت لسة صغيرة أوي صبرك علينا.

- بقولك قوم وأنا داخلة معاك.

بهت ياسين من كلامها.

- انتي اتجننتي يا حاجة؟

- اخـرس ويالـلا قوم هو أنا كل ليلة هاسـتنى لحد ما تبوس وتعض
فيها وتنام جنبها زي الشـوال انت لازم تفتح وتملى أنا مش جاياهالك
عشان تتبناها.

ينظر لها ياسين منهزمًا.

- طيب خلاص انسدي يا مرة.

نظرت له شارعة قلوعها.

- سد انت يا بو الرجالة على رأى المثل .. زي زرع الرهريط لا تسد خرء ولا تعلّلي حيط.

انسحب ياسين أمامها مطيعًا بحنق، فاستوقفته قائلة:

- استني انت أنا هدخلها لوحدي.

نظر الرجل في عيونها بدهشة وتوجس قائلاً:

لوحدك؟؟

(الحاجة فوزية)

لـم تكن فتـاوى ياسـين ولا خدماته الروحيـة الخاصة نابعـة من أو الأصالة عن نفسه وعلمه.

لكنهـا زوجتـه (فوزية) راعية الجن والعفاريت والسـاحرة الشـهيرة التي تصـدرت صورهـا وفيديوهاتها الصحف والإنترنت قبل سـنوات مليلـة وبأنهـا تـداوي وتعالـج وتفـك السـحر فـي قريتهـا القريبـة مـن الإسـكندرية والتي اشتهرت وقتها باسـم الحاجة (زينب) والتي وصل بها الحال إلـى إنها تعالـج الناس بشـكل جماعي في إحدى سـاحات القريـة وذهـب إليها الكثيـر والكثير مـن أصحاب العلـل وجمعت من وراء ذلـك الكثيـر، إلى أن تم القبض عليها بتهمة الدجل والشـعوذة إثر معركـة قامت عندها وأسـفرت عن عـدد من القتلى بسـبب انتقام زوج عاجز من أهل مطلقته عندها، ودخلت السجن لفترة وخرجت لتتوارى وراء الشيخ ياسـين والحقيقة إنها كانت تمارس السـحر الأسـود وهي من حددت مكان الحفر سـلفًا وأخبرت به ياسـين، أو لعلها تباشـر معه تحديـد المكان، المهـم إنها تلعب دورًا لا يسـتهان به، ولكنها تخشـى أيما خشية موضوع الظهور في العلن للناس وخصوصًا أن عليها ثأر من

عدة عائلات تضررت بشدة مما كانت تفعله من سحر ضدهم ولصالح أعداء تلك العائلات.

كانـت الحاجـة فوزية (زينـب) تمـارس تعازيمها بطريقتهـا وتطلق خدماتها من خلال ياسـين الذي كان يعتبر بمثابة خادم ومساعد وتلميذ لهـا، وفي نفـس الوقت كانت هذه المـرأة عاقرًا تحمل ضمـورًا عظيمًا فـي رحمها، مما عطـل رغبتها الصادقـة في امتلاك الابـن وبالتالي هي من رشـح هذه الطفلة والتي اتضح أنها ابنة زوجها السابق مدير أعمالها السـابق، والذي توفي وهي في السجن بعد أن طلقها وجمد كل أموالها في صورة رصيد ضخم في البنوك باسـم إبنته الوحيدة، فشـرعت فوزية في الاسـتحواذ علـى البنت وتزويجهـا لزوجها حتى تظفـر بطفل يرث البنـت بعـد أن تتخلص منها بشـكل أو بآخر خطـة جهنمية لا تخرج إلا من عقل شـيطاني كعقلها لذا كانت تستعجل ياسين في الولوج لأحشاء البنت ورمي بذوره في أرضها ليصل الابن والوريث والعوض عن غدر زوجها السابق.

وللأسـف كان ياسـين على كل هذه الفتوة والفحولة في مظهره إلا إنـه أمام تلك الطفلة كان يشـعر فعلاً بعجز وحاجز نفسـي لا يعرف من أيـن أتاه، ولكنـه مجبر على تنفيذ أمر تلك العنكبوتية المتسـلطة، والتي لا يعـرف قلبهـا رحمة ولكنها فـي الوقت ذاته من أسسـه وعلمه ولمعه وقدمه للإعلام والمجتمع كشـيخ وقور بادي الأناقـة والجهوزية لفعل الأفاعيل باسـم آيات القرآن، فهي تعلمت من اعتقالها السابق أن الجهر بالسـحر مؤذٍ، لكن الجهر بالقرآن وما له من خصائص علاجية يستطيع

.. بعطس مساحة ثقة لا يستهان بها، حتى لو كان باطنه سحرًا أسودَ
..جسًا مؤكدًا لا يقبل الشك.

تمطعت بملل شاعرًا بخواء عجيب أنا في العموم مشبع لا أعاني أي
.رمان ولكني بالفعل أفكر بتركيز كبير في تلك اللعينة التي لأول مرة
.شعرني بمعني الافتقاد.

ومن تكون غير تلك الكلبة جنا .. هي من تفهمني، هي من تعجن
حممي في وعائها الفضائي الأسود.. فعلاً أصبحت لا أفكر إلا فيها
وأتحرى أخبارها أمسكت بهاتفي المحمول أتفقد رسالتي لها، ولكن
من الواضح أنها لم تفتحها أصلاً مددت إصبعي ضاغطًا زر الجرس
لأسمع وقع خطوات خادمي الجديد (شندي) والذي أهداه لي
المقدس بخيت ليقوم بخدمتي وتنفيذ كل ما أريده بصمت وخضوع
كامل، وشندي شاب في الثالثة والعشرين يحمل ملامح بيزنطية
معجونة بجذوره الصعيدية فتراه وكأنك ترى تمثال الجندي في المعابد
الفرعونية بسماره المتجانس وعيونه المكحولة وجسده النحيل والوشم
المطبوع على زنده بصورة السيدة العذراء.

طرق شندي باب غرفة نوم هشام ووقف أمامه صامتًا منتظرًا الأوامر
فطلب منه هشام إعداد جلسة الحشيش، ولكن بطريقته المفضلة بعد

أن سمع أن مطربة عملاقة كانت تستخدم ذات الطريقة قبل الصعو، لخشبة المسرح.

- يالا يا شندي عايز أتكيّف.

فانسحب شندي للخارج صامتًا ليقوم هشام بالدخول للحمام ليأخذ حمامًا منعشًا بينما يقوم شندي بغلق النوافذ جيدًا ويأتي بوعاء فخاري حاوي للجمرات الحمراء ونارجيلة مخدومة وعربة عليها كئوس وزجاجات الويسكي والشيفاز والتكيلا وبعض الثلج والذي منه لزوم سهرة عذرية للمهندس هشام.

الحقيقة أن هشام بات يجد في الحشيش سلواه فهو يقوم باستنشاق الدخان المنبعث من حرق الحشيش في الفحم المشتعل والذي يجعل هواء الغرفة معبأ بدخان الحشيش.

وبالفعل خرج هشام من الحمام ليرى الدخان الأزرق يبدأ في الانبعاث المتلوي فوق أعلى الوعاء يستنشق دفعته الأولى، ثم يستلقي على أريكة في مقابل الفراش ويلقي بفمه ببعض المقرمشات ويتبعه برشفة من زجاجة التكيلا ثم بدأ الاسترخاء يغزو ملامحه وأعضاءه، وهو يحب تلك اللحظة التي تأخذه من تفاصيل الواقع إلى روحانية الخيال وجمال الاسترخاء المغلف بعبق الحشيش، ولسعة الكحول المطهر لأي مشاعر ترابية عالقة.

((بعيد عنك حياتي عذاب متبعدنيش بعيد عنك .. ماليش غير الدموع أحباب معاها بعيش بعيد عنك)).

المحشيش الذي يجعل (أم كلثوم) تغني لك أنت وحدك، وتذكر
.. الصحف كانت تهاجم أم كلثوم باعتبار أن اغانيها طويلة وتجبر
،ور على تعاطي الحشيش قبل الذهاب لمحفلة حتى يستطيعون
تلك الوجبة الثقيلة التي تقدمها تلك السيدة الرائعة للجمهور، بل
تقرير تلك الصحيفة بأنها قالت أن أغاني أم كلثوم تجبر المستمع
تدخين الحشيش حتى يصل إلى المعاني الأصيلة التي كتبت من
الأغنية.

الغريب أنه يصدق هذا فأغاني الست متجانسة تمامًا مع هذه
موس الزرقاء

والأغرب أنه يؤثر الوحدة في هذه الجلسات بطريقة أدهشته من
..ه.

يؤثر الوحدة على أي مخالطة إذ إنه منسجم تمامًا تمامًا مع ذاته.

((غلبني الشوق.. وغلبني غلبني وليل البعد.. دوبني دوبني)).

جرس الباب يدق ليخرجه من أفكاره، وكان لم يغير جلسته منذ
رج من الحمام مكتفيًا بلف البشكير حول وسطه فقط.

يفتح شندي الباب، ثم يتأخر قليلاً، ثم يدخل عليه غرفته ليقول له
ان سيدة تسأل عليه

ينظر له هشام متسائلاً من عساه يأتي في هذا الوقت من الظهيرة؟

بتقول اسمها مدام أميرة.

أميرة؟؟

أميرة؟

نعـم إنهـا تلـك الصحفيـة المخضرمـة ذات الخمسـين، واحـد، عشـيقاته التي نسـيها مع الزمن والتعدد، ولكن ما الذي أتى بها إلى هنا، هل تتصور الحمقاء بأني أريدها مجددًا تبًّا للنساء عندما يردن شيئًا.

- خليها تتفضل.

نظر له شـندي باستغراب لمدة ثانيتين إذ إنه عارٍ لا يستره سوى إزار الحمام القطني، ثم تدارك نفسـه سـريعًا، فهو هنا لطاعة الأوامر وتنفيذ رغبات سيده بلا جدال هكذا شدد عليه المقدس بخيت.

بعد برهة كانت مدام أميرة تقف أمامه بوقارها وجمالها الغابر تتشمم الهواء وتنظر له بعيون لامعة، وقد زادها حالته العارية شـبقًا فوق شبق لتندفع إلى أحضانه مقبلة كل ما تطال شفتاها من جذعه العاري.

مالك يا هشـام؟.. لماذا تتقبل قبلاتها بهذا البرود والاشمئزاز البعيد هـا هـي رفيقة قديمة حضـرت لخدمتك كمـا كنت تريد، لكن شـيئًا لم يتحرك فيه، بل تشاغل عنها بالأغنية مدندنًا اياها بصوت خافت.

((وعايزنا نرجع زي زمان... قول للزمان ارجع يا زمان))

تلقت السيدة تلك الإشارة الباردة المصحوبة بكلام الأغنية فتوقفت عن القبل ونظرت مباشرة في عيونه.

لينظـر لهـا برفـض نهائـي ويبعدها عن جسـده بطريقة هـي قمة في الازدراء المتواري وقام واقفًا أمامها نصف عارٍ فقامت واقفة أمامه تنظر له بعتاب واستجداء.

.. بمناه إلى وجنتها مداعبًا ثم مسك يدها وقربها من صدره ودعك
. ا على موضع قلبه ثم نظر نظرة عميقة إلى عينها ثم هز رأسه يمينًا
ازا معبرًا أنه لا مجال لك هنا.

الـمعت عيونها بدموع متحجرة وارتبكت أمام بردوه وقسوته
او لت احتضانه في تجربة أخيرة لتشعره بوجودها، لكنه أوقفها في
مف المسافة ثم مسك راحتها وجرها بخفة لباب الغرفة خارجًا،
اجه إلى غرفة صغيرة في نهاية الشقة حيث يقبع خادمه شندي، دفع
اب غرفة شندي بقدمه بهدوء فهب الأخير واقفًا ينظر لسيده شبه
اماري وهو يمسك براحة السيدة، دفعها هشام لداخل الغرفة بحزم
..ظر إلى خادمه المذهول قائلاً بغموض ونهائية.

- دي عشانك يا شندي.

وتركهما عائدًا لغرفته الغائمة باللون الأزرق.

((الشوووووق آه من الشوق آه وعمايله))

اللعينة جنا اشتاق لها كثيرًا

(تقرير من مسيو إدموند عالم المصريات لرئيس نادي الآثار الباريسي)

لم يكونوا خدمًا أو حتى حراسًا لحماية الجثة، ولكنهم كانوا بمثابة جيش صغير ضد ما قد يخرج من شرور من مومياء العشيقة، هذا الأوشابتي كان صمام الأمان ضد شر هذه الجثة وما يسكن وراءها ولعل رجل الملك التالي وهو (أمنمحات الثالث) هم من قاموا بوضع هذه التماثيل إثر هزة عنيفة انتابت البلاد وتأججت بالسخط وتربع فيها الكهنة على سُدّة الحكم قبل أن يمسك أمنمحات الثالث -ابن أبيه القوي- ميزان الحكم وصولجان السلطة قبيل الانهيار الكامل للبلد على يد الكهنة وأتباعهم.

لقد حكت التماثيل كل شيء بالهيروغليفية ووضحت أن الشرور الساكنة بمومياء العشيقة قوية وقادرة على رمي البلد في أتون من النار.

ولعل الموضوع رمزي أو طقسي أكثر منه واقعي ولكنه بالفعل مُحمل بالرهبة.

قبيل جلوس الفرعون العظيم أمنمحات الثالث على العرش بعد موت الفرعون الرب سنوسرت الثالث اجتاحت البلاد موجة عارمة من

. سى وكثرت الجرائم وتخلخل النظام وتولى الحكم مؤقتًا مجلس
جار الكهنة والذين يدينون بالولاء للملكة سيجر مر تمهيدًا لوضع
. اهي على العرش بدلا من ولى العهد الشرعى وقائد الجيوش
مالية والذى كان مشغولاً بالتحصين الشمالي ضد قبائل الشمال
. . بيرة على أطراف المملكة المصرية، أما الكهنة فقد تواطئوا مع
. الكة الغيورة والذين ادعوا للناس أن الرب رع غير راض عن أفعالهم
. ال التجارة والصناعة تتأثر بسبب قهر الدولة المصرية لبعض القبائل
ابضة على الحدود كذلك لابد من توسعة أفقية لصناديق النذور حتى
. سى آمون عنكم ويذهب شر القحط والجفاف كما أن الرب الجديد
وسرت المتعبد رحل غربًا وفي قلبه نقمة للبلاد وانتشر في البلاد
ملیات السلب والنهب والحرائق وقطع الطريق على القوافل، وتكاثر
امرافون والدجالون والذين يكملون خط الكهنة في الوقت الذي كان
. . أمنمحات الثالث مشغول بلم شتات القطر على الحدود الشمالية
حصوصًا وأن الشعب قد تسرب له بعضٌ من قصة العشيقة خونو وبأن
الفرعون الرب رحل غربًا ناقمًا على البلد وأن الكهنة يحاولون تهدئة
. وحه المقدسة، بحق أنوبيس حارس الموت لقد كانت أيامًا سوداء
على شعب مصر، ووريث شرعي مشغول بصد هجمات الأعداء وملكة
حاقدة تريد أن يجلس ابنها الأملس على عرش مصر، وكنهة يؤيدونها
طمعًا في قضم جزء لين من السلطة لأهم بلد موجود على الإطلاق في
.الك الوقت....

الدقاق الهيدروليكي يواصل النبش العميق في الصخر لقد تم إزاحة مئـات الأطنان لحفـر هذا النفق، وها هي ذي النهاية تقترب ومع تهاوي آخر مربع رأسي ظهرت البوابة موسومة بالحروف والطلاسم.

(ها انت يا لينة العظام ترقدين قبل أوانك ..سُحقًا للغادرين)

ضغطت جرس الباب وانتظرت طويلاً قبل أن يفتح زياد ابني الباب.

نظر إليّ بعينين متأملة قبل أن يندفع في حضني صارخًا بابا.

رفعته ودلفت للشقة التي انقطعت عنها قرابة الشهرين.

البيـت فـي حالة تنظيف مـن التي تجعلـك لا تطيق النظر في شـيء ووجدت التعسـة زوجتي تحمـل ابنتي رغد على صدرهـا، وتقف أمام الموقد لتعد طعامًا أو ما شابه، منكوشة مبعثرة، كانت ارتبكت وفرحت وحاولت ضبطت مشاعرها بكل الطرق الفاشلة ثم اندفعت في حضني وهـي ما زلـت حاملة لابنتنا رغد التـي كانت تنظر إلى بعيونها العسـلية مرحبة.

نظـرت في عين زوجتي صامتًا بينما هي فـي حالة من الارتباك يزيد الأمر سـوءًا أخـذت منها الطفلـة وتظاهرت بمداعبتهـا بينما وقفت هيا تتأملني بمزيج من الافتقاد والفحص.

·الك دبلان كدة ليه؟

مل .. العادي.

جنا للردهة فرمقتها زوجتي بإحراج شديد ثم تفحصت نفسها

· · إنها هي أيضًا مشعثة.

معلش البيت مكركب النهاردة طب مش تتصل تقول إنك

ب.

مارت لها مبتسمًا ومجاملاً كالعادة.

مش مهم أنا نازل على طول.

مابت الابتسامة عن وجهها وحل محلها إحباط متوارٍ.

أنا قلت أطمن عليكم قبل ما أسافر.

· تسافر؟

اه شغل كدة في أسوان هغيب فيه أسبوع.

- أسوان ؟ في الحر ده؟

تجاهلت الإسهاب وسألتها برسمية إن كانت تريد شيئًا.

فأنا لا أريد مشاعر ونظراتها تسبب عبئًا نفسيًا لا أستسيغه.

هزت رأسها بالنفي قائلة إنها تريد سلامتي.

قبلت ابني وابنتي بحرارة مستشعرًا ذنبًا جديدًا يضاف لقائمتي رغمًا

مي.

ووقفت أمامها أشـرت لها بالتحيـة من بعيد واتجهت للباب ولك
لأجد حماتي والخادمة عائدتين يحملان أغراض المنزل.

سلمت عليها بتحفظي المعتاد فردت بتودد ونظرت لي قائلة:

- تروح وترجع بالسلامة يا ابني متقلقش العيال في عينيا.

شـكرتها بنفـس التحفظ وشـكرتها في سـري إنها نفـذت وصية
أطلبها وإن كانت ضرورية.

وغادرتهم مستريحًا بعض الشيء.

وقفـت الحاجة فوزية في المطبخ أخرجـت علبة بيرة 8 ٪ وصب
فـي طبق وأحضـرت ملعقة وبعـض الخيار المخلـل ووضعت كل ه
في صفحة الطعام، وحملتها متوجهة لغرفة الزوجة الطفلة راسـمة عل
وجهها ابتسـامة شـنيعة لتجدها جالسـة في الفراش دامعة العينين تنه
بانسحاق من رمى في آتون القدر وهو بعد غض لين.

نظـرت البنت للحاجة فوزيـة بخوف وقلق ولكن الأخيـرة طمأنته
بنفس الابتسـامة الشنيعة وجلست بجانبها على الفراش واضعة الصين
علـى حجرها كانت البنت تخاف نظراتها وتشـاغلت عن عيونها بالنظ
لـلأرض فهي تعرفها وتعرف مدى قوتها وسـيطرتها الشـيطانية، علاو
على أنها زوجة أبيها سابقًا.

رفعـت فوزية معلقـة ممتلئة بالبيـرة وقربتها من شـفة البنت وقرب
وجهها أكثر للبنت قائلة بصوت خافت:

اشربي يا حبيبتي ده هيروقك.

،ظـرت لهـا البنت متأملة حسـنة كبيرة على خد المـرأة الأيمن وبان ،،هها كأنه يأخذ تأثيرًا ما.

ياللا.

،التها فوزية بحزم هذه المرة.

لتقرب الملعقة من شفتيها وترشفه بحذر لتجد طعمه لاذعًا فدفعت ''،رأة المعلقة لداخل فمها لتتجرعه البنت ممتعضة، تعود فوزية بسرعة ،لمقـة أخـرى قبـل أن تعترض البنـت، ثم بثالثـة ورابعة ومـع التكرار ان الاسترخاء على وجه البنت وارتخى جسـدها الصغيـر تحت تأثير الكحـول لتأخذها فوزيـة بحنان إلى حضنها، و.... و.... تبدأ فوزية في ،ذب البنـت إلى أحضانها ثم تشـرع في تقبيلها بحنـان قبلات خاطفة ،، وجنة البنت ثم تقترب من شـفتيها لتطبع قبـل محمومة طويلة وهي ،حسس جسدها وصدرها وفخذيها، والبنت مستسلمة لها بأمر الشعير الممزوج بالكحـول فتقـوم فوزيـة لتجذب البنـت إلى وسـط الفراش ،نعتليها بخشونة في مشهد افتراس مذهل....

لن ينسى ياسين ذلك المشهد للأبد

لقد سمع فوزية تناديه

فدلـف الغرفة ليجد... ليجـد....... وكانت فوزية تخور... البنت ،،....

نظرت له فوزية آمرة بالصعود للفراش بعد خلع ملابسه.

عيناه مسمرتان على المشهد واجتاحته مشاعر متضاربة.

وشعر بغليان وهو ينزع عن جسده ملابسه.

وصعد.

عازمًا على ارتكاب ... جريمة.

تعمدت قبل السفر أن أذهب لسعد الدين حلاوة لأتشمم أي اخ
عن جنا.

وبالفعل ذهبت للقصر بعد مكالمة سريعة له، أنا أعرف أنه يفضا
ويجدني كارتًا رابحًا كما أنه معجب شبه ولهان وأنا أجيد التعامل ،
مثل هذه المواقف، بلا أي تحيز لنفسي لأنني المفروض أنني متحه
وأدرب نفسي لأكون شخصية عالمية لذا لا بأس من بعض ال
مممم نعم التفهم.

بمجرد دخولي للقصر وجدت سعد الدين يجالس من ؟؟

- إنه كمال الخطيب الرسمى لجنا صديقتي.

وياله من موقف..

... قام سعد للمصافحة الملساء التي يتميز بها، ثم اتجه
بالمصافحة ل....كمال

الذي قام برشاقة وصافحني بعمق وتركيز غير خاف.

م رجع بنفس الهدوء لوضعه الأول على مقعده الجلدي.

.ة شـيء غريب يدور حول هذا الكمال فهو لا مترفع بحكم أسرته
.واضع بحكم ثقافته، بل هو أقرب لدمية عالية الصنع منه إلى إنسان
نظارات قوية لكنها ليسـت للتأثير على الآخرين، بل لإخراسـهم
اللزوم ولأول مـرة أعرف أن الشـواذ مختفلون في شـخصياتهم
ال يبدو أقرب لفيلم نفسـي مـن إعداد هيتشـوك أو كينج، ملامحه
ـدة تتكلم بصوت خافت ونظرتـه متحرجة تبحث عن مفاوضات
أما سـعد الدين حلاوة فهـو أقرب لدجال يمارس سـحرًا منخفض
.ة فهو يسـعى للتأثير لحظيًّا حتى تتجاوب مع انحلاله دون تحفظ،
رت بنوع من الغربة وأنا في حضرة هؤلاء، بل شـعرت بخطر دفين
س في مشاعري.

طلبت كأسًـا وتصنعـت المـرح، واندمجت فـي الحديـث المتنوع
لسـة وطبعًا لاحظـت عيون كمال ترمقني بتركيـز متقطع.. كان هذا
مال يحمل برودة قارصة في ملامحه بينما عيناه حانيتان كصدر أمك
ه فـي الوضع العام شـخص مهذب يحمـل بالفعل جينات السـلطة
ربية الدولية ومع الوقت أدركت أن ثمة قفشـات ضاحكة بين كمال
متحفظ الصموت وسعد المفتوح على مصراعيه.

- هي فين جنا؟؟

انطلقت مني العبارة رغمًا رغمًا رغمًا عني، مع أني حبسـتها أكثر من
عشرين مرة.

مـن الواضح أنني أثقلت فـي العيار بدون قصد، وتتابعت كؤو
تتنافس في التكاثف على نوازعي ولواعج نفسـي فأنا أشـتاق لها بـ
وبالرغـم مـن وجودة مـع مالكيهـا الأصليـن إلا أنني شـعرت بما
تشاطرهم فيها.

نظر لي كمال نظرة لم أعرف معناها حينئذ بينما رد سعد بتلقائية

-جاية بكرة يا سيدي من باريس.

نعم(كانت في سفر تلك الغانية)

لسوف أهرسها بقدمي.

لسوف أمزق جلدها وأحشوه بالفلفل.

لسوف أضربها حتى نهاية الاستجداء.

حتى الاستسلام.

حتى الإغماء.

سأ....

اجتاحتني مشـاعري الخاصة في اسـتدرار واسـتحلاب معشـو
الفضائيـة وبت كأنني ممسـوس بها ملبوس بلحمها وشـعرها وعيـ
اعترتني تلك الصور وأنا جالس معهم.

لدرجة أنني ومع حالة السـكر شـعرت بإثارة ما، وأصبحت ملا
لا تسترني تمامًا، بل انتصب تفكيري قائمًا للعيان، وأي عيان؟

إنهما كمال وسعد الدين حلاوة، انتبهت كليًّا لموقفي غير العادي

، شعرت بأنني فقدت لحظيًّا التحكم في انفعالي وتفكيري فيها،

انفضت واقفًا في توتر معلنًا رغبي في الذهاب لأمر ما، لأشاهد كمال

ينظر لي بتركيز وتفحص لكل جزء في جسدي.

ودعته في أدب وتوتر وخرج معي سعد الدين لتوصيلي للباب.

إيه كمال عجبك؟؟؟

نظرت له مصعوقًا وأنا شبه مترنح.

- عجبني إزاي يعني؟

نظر لي سعد مشجعًا بكل حب، وقال:

- مالكش دعوة أنا هظبطلك المؤشر.

نظرت له مذهولاً.

- سعد باشا إنت بتقول إيه، أنا بس سرحت في حاجة تانية خالص.

نظر لي بفحش ثم نظر بطرف خفي لكمال قائلاً:

- بقولك مالكش دعوة، وعلى رأي المثل الشقة فاضية والحاجة راضية.

تلجمت، وأنا أنظر له، ونظرت لكمال فوجدته يبتسم في ...... خجل.

...... بتقول إيه يا دادي كمال وهشام؟؟ نو واي مستحيل.

- وليه بقى يا روحي كل واحد حر في اختياره.

- اختيار إيه بس يا بابا مش ممكن.

فغمز سعد بانتصار.

- لو شوفتيه مش هتقولي الكلام ده، دا كان قاعد واقف وواقف قاعد ومش عارف يلم نفسه.

ثم أتبعها بضحكته الشهيرة، وهز محببه لديه من رأسه.

رمقته جنا شاردة وحاولت أن تستشف شيئًا فوجدته يتكلم ببساطة.

- دادي هو كمال يعرف إن هشام صاحبي؟؟

نظر لها حلاوة بابتسامته قارحة ومد شفيته مطلقًا كلمة واحدة:

- تؤ (بمعني لا).

رمقته بحدة، ثم لم تتمالك نفسها من الضحك قائلة:

- طب وأنا يا دادي؟ أسيب خطيبي وصاحبي يلبعو مع بعض وأقف أتفرج؟

نظر لها سعد بحزم وزم شفتيه قائلاً في صرامة مفاجئة:

- قصدك إيه يا قليلة الأدب؟

نظرت له جنا طويلاً ثم .....انفجرا ضاحكين بعبث.

.....

(أنا جنا)

أحببت باريس بشدة وانبهرت أكثر بعبق الإثارة الكامن في ثناياها - يوجد شيء في ديفيد يلمس شعيراتي بغواية .. هو ليس سيئًا ولا يبدو كهلاً شائخا، بل هو أقرب لمدرب كرة قدم مشهور - كما أن الفتوة تشوب تصرفاته ولكن لا تخلو أبدًا من لياقة.. لكن باريس بالفعل خطفتني وجعلتني أبدو شاردة فيما يحاول ديفيد دفعي إليه .. فقد كان الكهل يروادني عن نفسي .. .. كانت المدينة تبدو فعلاً كغانية تلبس الدانتيل وترفع ساقيها في رقصة الكان كان .. الشذوذ طابع عام للبلد فلا هي مؤنثة كالهند ولا ذكورية كمصر، بل هي أقرب لشاب رقيع يمضغ اللادن ويتصنع العهر أسفل عمود النور، أو هي كغلامة تقع في حب رفيقتها في الملجأ.. في العموم البلد لها جو عريق من التسكع المعجون بالقابلية لفعل أى شيء.. وتدريجيًا ومع عطور باريس ونبيذها وغوايتها وجدت نفسي أستجيب لديفيد اليهودي المصري والذي يزيد عمره عن عمر أبي بعشرين عام.. ولكن هل يقدر على لعب دور السيد المطاع كما يفعلها هشام بكل تلقائية؟ ثم هل هو مختون كالرجال في مصر أم أنه ممزق كالغالب الأعم من الأجانب؟... أذكر مرة اني قرأت

أن الختـان عادة يهودية أصلاً .... ههههه يا لي من عاهرة مجنونة .. أر
أن أختلي بنفسـي بسـرعة .. أريد تفنيد ما وصلت له نفسـي من جم
..لكـن في وقت لاحق أما الآن فلدي شـيء أنشـغل به مـع هذا الدي
ممممـم لم لا أمـارس أنا دور هشـام وليكن ديفيد هو عبـدي المطيع
أريـد أن أجرب مع هذا الرجل بالذات.. من الواضح أنني أمارس عن
احتقارى لأبي في إهانة هذا الجد أيضًا ولم لا ؟، كما أنني لاحظت
بت أكثر اسـتهتارًا بمشـاعر الآخرين وأصبح لساني سليطًا قاسيًا يص
مـا يريده بكل إباحيـة بلا أي تحفظ حتى أفكاري أصبحت أكثر تح
من قيود الأنوثة، وأصبحت فقط أفعل ما أريده بكل تسلط على نفـ

وابتعت سـوطًا وملابس جلدية سوداء كما إنني قمت بوشم ذرا
وأفخاذي وصدري بخطوط سيريالية الحقيقة أنني في باريس بت ك
مادونا في أكثر استعراضاتها عريًا.

وحانت لحظة لقائي مع العاشق اليهودي وهههه كانت لحظات لا تنـ

(ديفيد يجلس على أريكة فخمة جدًّا، وأمامه زجاجة نبيد معتق و
الريف الفرنسي الغني وقارب من قطع فاكهة مجهولة التصنيف. تص
في الأجواء داليدا بأغنية أنا مريضة والتي هوت بها على عرش الغناء
أوربا في السـبعينات، داليدا ربة الحزن العاتي والفرح المجنون، دا
ربـة الكاريزمـا والانتحار .. لقد مرت سـاعة علييّولـم تحضر المص
الرائعة لعلها تراجعت عن لقائي.. إنها بنت عائلة وليست ممن يسـاو
على أنفسهن بالمال، بل هي أقرب لمهووسة شبقة لا تشبع ثم ارتبا
بكمال ابن أحد الكبار في مصر تدور حولها الدوائر فهي تعرف وتر-

. ارس تحررًا جديدًا جدًا لم يألفه على حياته الطويلة وخبرته، إذ
م لبنت في مثل جمالها تقبل الارتباط بشاب مثلي لن يقربها، أهي
سالح المستقبلية ؟ أم أن البنت يشوبها هي أيضًا الشذوذ؟ وأي نوع
الشذوذ تمتلكه؟ سنرى.

دق الجرس وانفتح الباب تلقائيًا لتدخل عزيزتنا جنا لابسة فستانًا
ود ملفوفًا بعناية حول جسدها، ساجية الشعر وسواده يكمل اللوحة
احرة ويلفها بالجاذبية، ساحرة مصرية أخرى في العشرين من
رها، لثم راحتها ومسهما بشفتيه بتركيز وبطء تركت له جنا يدها
انت تنظر له في تعالٍ ممزوج بالاحتقار الغير مباشر، بل إن نظرة
رهة تبدت في عيونها لوهلة والغريب أنها لم تكن تداريها، بل تعلنها
سوح للرجل . كأنها تطلب خضوعًا وخنوعًا لا ترحيبًا.

نم تركته وجلست واضعة ساقًا على ساق بكل تكبر، بينما تنظر له بشموخ.

أطال النظر لها يحلل عناصرها، مممم لابد أنها تمثل دورًا يستهويها
لدة، من خبرته السابقة يعرف أن المومس مثلاً تحب أن تؤدي دور
اقصة، بل إن كل مومس راقصة وليس كل راقصة مومس فما الدور
ذي تلعبينه أيتها الساحرة القديمة.

لكنها بقيت كزهرة نادرة ربما تريد أن تعطي لنفسها بعض الأعوام
ضافية حتى لا تتبدى لك كطفلة يا واد يا ديفيد.

تناولت كأسين متتاليين، ثم قامت، وقد تدلت من شفتيها لفافة تبغ
رفيعة واقتربك منه ليمد يده مشعلاً لها السيجارة أخذت نفسًا عميقًا

ونفثت في وجهه الدخان بسخاء فأغمض عينيه ليستنشق عبق دخا
وثم انفتحت مقلتاه على اتساعهما بعد تلقي صفعة كادت أن تصم
محجريه... من قوتها.

....

بالرغم من أنني قمت بتصوير عشرات الحلقات إلا أنني أتوتر قبل ا
تصوير وأشعر ببارانويا مؤلمة، ولذلك كنت أحرص على شد السطر
قبل البث المباشر بنصف ساعة واليوم لقائي مع تلك الأعلامية الأر
(رحاب سعيد) فالواقع أنها أيضًا تثيرني أكثر حتى من سلوى، ربما لأنه
من نفس الجيل تقريبًا مع لمسة الترميم الواضحة في المذيعة ونا
الإثارة المصحوبة بكلامها واتكائها على حروف كلامها كضغطك ع
أعصابك المتوترة بالضبط كما أنها تتمايل كدخان السيجار الكوبي
فراغ من الهواء، فكان تمايلها خفيضًا بطيئًا ولكنه موجود.

كنت في مكان التصوير قبل البث المباشر بساعتين وانعزلت ا
غرفتي أسطر خطين أطول من المعتاد حتى أصمد لآخر الحلقة ا
الضيف الأساسي، ولي باع طويل معها أنا والشيخ ياسين، وسو
أتكلم عن البرمجة اللغوية العصبية وعلاقتها بالطاقة الداخلية للإنس
وكيف يحفز نفسه على الانسجام مع المجتمع والظروف والحف
أنه كلام الإعداد وليس كلامي أنا ولذلك وجب على حشو الفراغا
بالكثير من تفاصيل هذا الهراء وأن المخدرات تساعدني أبدو مستر
راضيًا أمام الجمهور.

وقبل البث المباشر بحوالي نصف ساعة استنشقت الخطين بكل شغف

ماذا يحدث كل الأرض تعلو تحت قدمي أم أنني أهوي من حالق.

كل ما أعرفه أنني ترنحت ووقعت أرضًا بلا أي توازن ولكن يوجد من وعيي متيقظًا يخبرني بأنني في الأستوديو، وأنني لابد أن أتماسك ولكن المخدر يأبي الانصياع لأوامري، ويعلن أن يريد سنة من النوم وبالفعل أغمضت عيني لدقائق على أرض الغرفة، قبل أن أفتحها شاعرًا ببرودة تسري في أطرافي وكهرباء خفيفة منعشة، لأقوم واقفًا وذهبت للحمام أغسل وجههي لأستفيق وأستعيد روعي، وأكملت هندامي وتأكدت من جاذبيتي ووسامتي لتعلن المذيعة بالترحيب بخبير التنمية البشرية أمجد مراد ضيف الحلقة.

تبدأ المذيعة في ممارسة التنويم المغناطيسي للمتابعين متحدثة عن نفسها وشرفها وأخلاقها وهدف البرنامج، ثم تستدرك الجمهور بمجهوداتها الخيرية ومساهماتها في تخفيف الآلام عن المكروبين، ثم بالثناء على السلطة التي كفلت الحريات ووسعت من نظم العمل الاجتماعي وحرية المرأة ثم بالتنويه عن موضوع الحلقة الشائق من مهم للتطور الذاتي عن طريق علم مهم كالتنمية البشرية و .. و.. وضعت نفسي مكان المشاهد وتصورت فعلاً أن المذيعة تمارس التنويم بكل تركيز، ثم أخيرًا التفتت لي مرحبة.

ثم بدأ الهراء المحشو بالخلطة الإعلامية.

الحلقة لم تصل لنهاية جزئها الأول وإن كان الإيقاع بدا مُملاً بالنسبة لي ولكنني أقوم بدور الضيف المتخصص على أكمل وجه إلى أن قام أحد المتصلين بسؤالي عن الصلاة وما هو دورها في برنامج الإنماء الذي أقدمه للناس؟

انتظرت مضيفتي إجابة مني.

نظرت لها بوجه ثانٍ، وكأنني لست أنا، بل أنا الحقيقي.

- ممكن أوي تنجحي من غير صلاة.

الذهول بادٍ عليها قبل أن ترد.

- بتقول إيه يا أستاذ أمجد؟

- بقولـك إن مافيـش حاجـة أصـلاً اسـمها ربنـا دي كلهـا أسـا
وخرافات.

حاولـت المذيعـة قطـع البرنامـج، ولكنهـا تلقـت إشـارة بموا
البـث، لابـد أن ريـق إدارة القنـاه يجـري في جشـع من شـأن التراف
(المشاهدات).

فتضررت المذيعة قليلاً، ثم تابعت بتوتر وعصبية.

- تقدر تقول وجهة نظرك وإحنا هنسمعك.

نظرت لها بوقاحة قائلاً:

- انتم مين؟؟ يؤسفني أن أوضحلك يا سيدتي إننا شوية صرا
عايشين في بلاعة.

وقبل أن تقاطعني تابعت بعصبية:

- دين إيه وصلوات وتسـليمات وخضوع وخشـوع لمادة سـلط
فاسـدة زيهـا زي أي سـلطة تانية .. الدين صناعة سـلطوية أخـرى..
سيدتي الفاضلة إحنا عايشين في منطقة موبوءة من العالم.

وانهالـت الاتصـالات الغاضبة كالمطر علـى البرنامج قبل أن أنتهي ‏ن نصف الحلقة الأول.

سنعود بعد الفاصل.

هكذا تمتمت الإعلامية بنفس طريقتها في الترنح اللفظي، ثم التفتت إليَّ صائحة متسعة العينين.

- إنت هتودي نفسك في داهية.

نظرت لها باستهتار من خلع آخر قطعة ملابس، ووقف عاريًا قائلاً:

- ده رأيي.

- انت انتهيت خلاص مش ممكن هتلاقي جمهور تاني.

- بالعكس ده أنا هبقى نجم الشارع.

ضحكـت المذيعة، لمعـت عيونها بجزل، وجشـع لامتصاص أكبر قدر من المشاهدين.

- ربنا يستر ومتبقاش أسفلت الشارع.

نظرت لها مستخفًا.

- ربنا؟؟

عدنا معكـم ومع ضيفنا المثير للجدل (أمجد مـراد) والذي اعترف في الفاصل الأول بأنه لا يؤمن (أسـتغفر الله العظيم) بربنا ولا بالصلاة ولا بدين.

نظرت إليها ساخرًا من هذه الازدواجية الشنيعة على صوتي محتدًا:

- اعتـراف؟؟ الاعتراف ده يكون بجريمة، لكن أنا باعلن عن حرية، عن دنيا جديدة لازم ندخلها.

- وهو يعني الدين هيمنعك تدخلها.

- طبعًا أي دين في الدنيا كان وراه دم وكبت وتجارة أقرب ما تكون للنصب البدائي.

- نصب بدائي؟

- طبعًـا أي عقـل واعٍ هيعـرف إن الطقـوس دي موجـودة علـى مر الزمان بس اتطورت شـوية مـع اختراع الكتابة وتسـجيل التاريخ وبدلاً من الرقص حول النار يكون الحج، وبدلاً من تقديم القرابين بقى اسمها زكاة أو عشـور وبدل من أرواح الأجداد بقت شـياطين وملائكة .. دي حاجة شديدة الوضوح.

هقولـك على حاجـة مهمة جدًا إنتي عارفة لـو بتعرضي فيلم إباحي ممكن يكون مفيد أكتر من إنك تعرضي مواد كلها هراء ديني.

امتقع وجه المذيعة المصبوغ واختلجت رموشها الصناعية توترًا.

- إزاى بتقول كدة؟

- أقولك أنا على الأقل الفيلم الإباحي هيديكي طاقة وحيوية ورغبة تحسسـك إنك لسـة عايشـة، لكن الديـن هيحولك لتمثال من الشـعور بالذنب المزمن.

- اطلع برة.

هكـذا صاحـت المذيعـة بعصبية وتشـنج، لقد شـعرت أنهـا تنزلق معـه لفـخ رهيب فـلا مجـال للعب فـي المعتقـدات أبدًا فـي الإعلام،

ى لـو عرضت حـالات إلحاد فلابد مـن توضيح أنها حالـة فردية لا
ـر والغـرض الأساسـي هـو المشـاهدات والجـدل لا اللعـب على
طر الأوتار، وأشـدها اهتزازًا، وهـو الدين، في مجتمع مثل المجتمع
صري المحقون أصلاً.

نظرت لها باستفزاز أكبر، وأنا اقول لها:

- مش قادرة تستحملي صراحتي هه؟

- بقولك اطلع برة.

- أنا طالع .. ثم نظرت لها بسخرية.

- وانتي طالعة بالتلاتة هههههه.

وغادرت الأستوديو وأنا عالم بأنني سأصبح حديث المدينة لأيام.

واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بسببي بين قلة مريدين وسواد
لم يتمني لى الحرق حيًا.

ماذا بنفسي فعلت ؟؟

لقد سئمت نفسـي وكرهتها بجنون وأريد إقصـاءً فوريًا من كل هذا
ل الذي أعيشه.

...

أخيرًا أسيوط.

الجو لافح في هذا التوقيت من العام.

البلد شبه مسترخية تحت المظلة والشوارع إلى حد ما خاوية.

تجمعنا في مطار أسيوط أنا وسلوى ورضا والشيخ ياسين وأمجد.

تعترينا مشـاعر متناقضة ويصاحبنا شخصان لا يتكلمان أبدًا إلا فيما نذر.

هما مندوبا الكبار في هذه المهمة وواجبهما توصيل الأمانة للقصر.

يحمـلان رتبة عسـكرية أو شـرطية ويظهر هذا جليًّا في شـدة القامة والصدغ المربع والوجه الحليق.

في الخارج وجدنا سيارتين دفع رباعي في الانتظار.

لتقلنا عبر مدقات في الطريق الصحراوي الغربي للمحافظة.

فعـلاً الصحـراء تملك شـخصية مسـتقى بالقحول العـام والجفاف والنقـاء وكأنها الموت بعد موت كل الأموات أو كأنها أطلال سـحقت لتصبح كتلاً صخرية ورمالاً.

وصلنا مكان الحفر حوالي الساعه الخامسة.

استقبلنا المقدس بخيت بالترحاب.

العمال يواصلون التفريغ الأخير لكسر الأحجار.

- كله تمام يا باشمهندس.

هكذا قالها بخيت.

- وصلتوا للباب؟

- أيوة لكن ما فتحنهاش حسب توصيتك.

- نظـرت له بامتنان فالرجل يمارس عمله بإتقان وصمت، ولا يعنيه إلا أجره وأجر عماله.

نظرت للعمال طويلاً، ثم رجعت سألت المقدس بخيت.

- إزاي بتضمن الناس دي يا بخيت هما كلهم قرايبك؟

لا يـا باشـمهندس دول مـن بـلاد كتير فـي الصعيد من أسـوان لحد المنيا.

نظرت له صامتًا فأكمل.

- حفارين الآثار دول من بلاد كتير على طول خط الصعيد وعارفين بعضهم وطول عمرهم شغالين الشغلانة دي.

نظرت له متعجبًا.

- طول عمرهم؟ طب ولو مالاقوش حاجة بعد الحفر؟

- وهما مالهم هما ليهم عرقهم وبس والأرض مليانة طمع.

نظرت له بتعجب أكبر.

فأردف:

- إحنا جدودنا فراعنة، وكانوا بيعملوا للموت ألف حساب وبيدفنوا مع الميت كل حاجته وخصوصًا لو كان الميت غني أو وزير أو ملك أو أخوه أو أخته أو أمه أو ابن عمه أو أو أو كل مقبرة فيها خير على أد مقام صاحبها، وفيه ناس بتدفع عمرها وكل ما تملك عشـان الحفر ده وعلى الأساس ده إحنا عايشين.

تعجبت من كلامه، وإن شابه شيءٌ من الغرابة. فعلاً الفراعنة قدسوا الموت وأجلّوه من أعماقهم والدليل أننا نملك أكبر قبر في العالم وهو

الهرم نفسه. أظن أن فلسفة البعث والخلود في العالم الآخر كان لها التأثير الأكبر في اهتمام الفراعنة المطلق بقبورهم.

وكأنها بيوتهم النهائية في عالم الخلود.

كما أن الطمع ووسائل النصب والاحتيال توسع من دائرة راغبي الثراء المهول من وراء تلك التجارة لذلك يعيش بخيت على هذه المشاريع السرية ويعتبر من أشهر سماسرة الحفر والأنفار في الوجه القبلي.

رجعت سألت بخيت مرة أخرى عن موضوع السلعوة.

فقال لي وهو ينفث دخانه بعيدًا:

- ده قدر ومكتوب يا بيه.

ثم صمت وكان هذا الموضوع أغلق للأبد، فسألته بحذر عن لعنة الفراعنة.

- سمعنا عنها كتير ولو كانت بتجوز ما كانت خلت صبي ولا عجوز.

مرة أخرى يخرسني هذا الرجل بحكمته النهائية في تعاطي الأشياء من حوله.

رجعت بناظري للعمال وسألته:

- منين عمالك المرة دي يا بخيت؟

جماعة منهم من المنيا، وجماعة تانية من دراو بعد الأقصر ومن إسنا.

وأنت يا مقدس بخيت أصلك منين؟

أنا أصلاً من بني مزار بالمنيا.

اتكأت سلوى على وسادة بدوية وهي داخل الخيمة ونظرت لأمجد طويل وهي تقول له:

- إيه اللي انت هببته ده على الهوا؟

رمقها غاضبًا وهو يقول:

- مش عايز أتكلم في الموضوع ده يا سلوى.

- أصلاً انت معندكش رد، الناس كلها نازلة فيك شتايم في كل حتة يا أمجد، وممكن يحصلك حاجة وانت في أي حتة.

- أنا أصلاً مش طايق البلد دي، وبفكر أسافر خلاص زهقت من التخلف والرجعية اللي هنا.

رمقته بغضب ممزوج بالعتاب.

- عمومًا انت مش مخير دلوقتي انت فعلاً لازم تسافر لأنك ممكن تتقتل في أي لحظة.

- وكمان أنا اتفقت مع الشيخ ياسين إنه يطلع يقول إنك ممسوس أو معمولك عمل هو اللي خلاك تهرتل كدا على الهوا.

نظر لها طويلاً وسرح خياله، وهو يتصور أن الناس تنظر له كممسوس أو ملبوس بالجن.

- يا سلام على الخطة الوسخة انتي عايزة تنقذيني عن طريق التخلف والخرافة.

- عندك حل تاني؟ انت ممكن تتقتل في أي مكان يا أمجد لازم الناس يكون عندها مبرر قوي عشان تسامحك ومافيش أقوى من السحر.

- السحر؟

- اه طبعًا سحر الإعلام ونفوذه يا حبيبي، لما الشيخ ياسين يطلع يقول إنك كشف عليك وإنك ممسوس من جن مجوسي ولا كافر هيكون الموضوع مقنع جدًا، ياسين دلوقتي صوته مسموع عننا كلنا.

- طبعًا لازم السحر والدجل يسود مجتمع وسخ زي ده.

- لو عاوز تسافر سافر بس المشكلة في أن الدين في كل مكان وممكن بردو يغتالوك برة.

سرحت بأفكاري وتأكدت من قوة منطقها، وسعة أفقها من الممكن اغتيالي في أي مكان؛ لأن الدين فعلاً في كل مكان.

- المهم نخلص البيعة دي لأني عايز حقي بالكامل منها مش زي كل مرة.

نظرت له سلوى بغضب حقيقي.

- باعتبارك قمت بدور البطولة يعني؟ يا بابا إحنا هنا مجرد ضيوف؛ لأن هشام ماسك كل حاجة في إيده ومن الآخر اللي هيرميهولنا هناخده وإحنا زي الكلاب.

وقبل أن يعلق دخل عليهما رضا وياسين وقد بان عليهم التعرق من حرارة الجو خارج الخيمة.

- أستغفر الله العظيم يا أخي الجو صهد إحنا في جهنم ولا إيه؟

كان هذا ياسين عندما رد عليه رضا ضاحكًا.

- أصلك أيضاني من بحري متستحملش بتاع الصعيد السخن ده.

انفجر الجميع بالضحك ما عدا أمجد الذي شرد بنفسه مفكرًا في أسوأ موقف عاشه

لقد رمى بنفسه في آتون ينصهر، وأعلن إلحاده واحتقاره للأديان وعلى مرأى ومسمع الملايين بعد أن كان نجم الفضائيات المرتقب، والآن هو تحت رحمة الخرافة الممزوجة بالدين، يتعلق بحبال الدين كي ينجو بحياته.

هل هو تأثير الهيروين فعلاً؟ أم أنها رغبة ماسوشية عميقة في إنزال العقاب بنفسه؟ ولماذا يرغب بإيذاء نفسه؟ هل يحب نفسه حقًا؟

إنه لا ينسى ارتعاشة صوت والدته التي اتصلت بالبرنامج لتعلن تبرءها الكامل منه، وأنها تتخلى عنه، وتعتبره ميتًا منذ زمن بعيد، وأنها بريئة من تصرفاته ولا علاقة لها بما يعتقده.

هكذا انهار الجدار النفسي كاشفًا عن جبانة من الجثث المتعفنة.

فهذه جثة الدين تحللت، وهذه جثة الأخلاق ممزقة الأشلاء، وهذه جثة المنطق أيضًا آخذة بالاهتراء، الغريب أنه يشعر بتحرر عميق، تحرر مفضٍ قطعًا.... للفناء.

الغروب يطبع على الجبل طيفًا أحمرَ.

حان الآن موعد الولوج لغرفة الدفن حيث ترقد العشيقة المغدورة.

سلوى ورضا والشيخ ياسين يقفون على حافة النفق المائل، بينما ينزل كلٌ من هشام وبخيت واثنان من العمال وأحد المفوضين الغامضين إضافة لأمجد الذي أصر على النزول، ربما بدافع الغيرة من هشام، أو لأنه يود مشاركة فعلية لا تقتصر على الحضور والمشاهدة.

انحدروا مع ميل النفق إلى أن وصلوا للنفق المستقيم.

الرهبة ثم الرهبة تملأ النفق المضاء بالكشافات.

النفق لا يزيد ارتفاعه عن المتر والنصف والاتساع أيضًا لا يتعدى المتر ونيفًا من السنتيمترات، العمال والمقدس بخيت يتقدمون أولاً لكسر الجدار النهائي والمتمثل في باب من الحجر الرملي.

ثمة نقوش متآكلة تمثل ثعبانًا يلتف حول ما يشبه بقرص الشمس، وبعض الكتابات الهيروغليفية المعقدة، كان هشام يقوم بالتصوير من هاتفه المحمول، بينما أمجد يمسك كشافًا محمولاً، وكذا بخيت يمسك واحدًا، وبمنتهى الحذر قام العاملان بدق الجدار الصخري بالفأس اليدوي بمنتهى التأني، والقلوب تكاد تنخلع من فرط الرهبة وصوت المقدس بخيت يوجه العمال بحزم ومع الضربات المنتظمة

المأس تصدع الجدار محدثًا شقًا طوليًا في الباب الصخرى وإن لم
«مضِ للداخل بعد وتوالت الضربات.

في خارج النفق جلس ياسين يقرأ ما يحفظ من آيات التودد لعمار المكان من الجن كما تعلم من الحاجة فوزية في حين تجمدت سلوى من الإثارة والتوجس والرهبة، رضا يتحرك كالبندول بين فوهة الحفرة وباب الخروج والرجل الغامض الآخر يرسل تقارير مباشرة للكبار.

إلى أن سُمع صوت جمد الدم في عروق الجميع...

بمجرد ما انهار الشق كاشفًا التجويف خلفة تجمد الزمن لحظات ثم شعر الجميع بلفح من هواء بارد مع صوت همهمة مؤلمة منخفضة التردد تشبه صوت خوار المحرك العملاق أثناء راحته أو صوت هزيم الرعد البعيد في السماء.

كان الصوت مصاحبًا لاندفاع هذا التيار البارد من قلب الغرفة التي لم تفتح منذ آلاف السنين، واندفع مع كل هذا غبار أبيض ظهر في ضوء الكشافات.

تجمد الجميع رغمًا عنهم فصوت الدمدمة يدوي في آذانهم مختلطًا بصمت النفق، وفي مكانهم تسمروا وكأنهم ينتظرون انتهاء تلك الموجة الباردة والتي اتجهت خارجة من النفق حيث البقية مع شعور عام بالغثيان وقلة التركيز حتى إن تحركهم بدا كفيلم بطيء الحركة مموج الصورة.

الجميع منحني الظهر داخل النفق وهذا زاد من شعورهم بالإرهاق والدوار.

بينما الآخرون تجمدوا فزعًا من ذلك الصوت، وتلك الموجة الباردة عطنة الرائحة، والتي خرجت للآخرين مغلفة لمشاعرهم، إلى أن صاحت سلوى عبر النفق صارخة

- أمجد أمجد.

كان صوت سلوى هو الذي أعادهم من ذهولهم المؤقت، وأعاد إليهم الرشد بعد تلك الهبة الروحانية خصوصًا، وان الشيخ ياسين بان عليه التوتر، بل والتعرق الزائد وزاغت عيناه، وفقد تركيزه أكثر من المعتاد، ليجيبها أمجد من عمق السرداب أنه بخير.

أزاح العمال البقية الباقية من الجدار ليوسعا للولوج داخل ذلك الرحم الصخري حيث ما يترقبونه من شهور.

دخل المقدس بخيت أولاً ثم أحد العمال وأفسح الطريق لدخول هشام وأمجد والرجل الآخر.

ومن خلال الغبار المتناثر في الهواء والعطن الجاف المغلف لكل شيء وفي وسط الغرفة بالضبط كان يقبع الهدف الثمين.

كان الطنين يداعب آذانهم، وهم يرمقون ذلك التابوت الخشبي إلى اقترب منه المقدس بخيت مبتسمًا ومد يده ليزيح الغطاء.

..

انصعق الرجل إذ هوى كف جنا الرقيق على مركز كرامته في الخد الأيسر من وجهه.

وتهاوى من يده كأس الشراب قبل أن يأخذ رد فعل إذ اندفعت جنا لتعيره قبلة مفاجئة.

وهي تفك ملابسه بشراسة، وهي تعجن شفتيه بثغرها، وهو يساعدها في فك نفسه ومندمجًا في تقبيلها إلى أن أصبح شبه عارٍ لا يستره إلا سرواله الداخلي.

ثم ابتعدت عنه إلى الوراء مترين، وأخذت ترمقه بنفس التعالي والعداوة، ثم مدت لوراء ظهرها مخرجة سوطًا أسودَ أنيقًا، ثم مدت يدها لسحاب الفستان ليتفجر لونها الخمري ملفوفًا بقطعتين من جلد، ليتجلى مستوى جمالها المبهر ممزوجًا بشراسة وقسوة، وأخذت تقطع الهواء بعدة ضربات من سوطها الأشبه بعيونها، تراجع ديفيد بعنف للوراء مبتعدًا عن مجال السوط اللاسع ورمقها بفزع ورغبة معقدة، اقتربت منه تدريجيًا، وهي تبتسم وترفع ساعدها لتعطيه نصيبه من الجلد.

صرخ فيها ديفيد أن توقفي وقد أدرك أن السادية تفح من رغبتها، ولكن صراخه جاء متأخرًا إذ هوت عليه البنت بأولى الضربات، ونالت من كتفه ثم الثانية والثالثة وهو يجري منها صارخًا في أنحاء المكان قبل أن يدخل بسرعة لباب جانبي ويغلقه خلفه.

جرت جنا للباب ودفعته بقدمها قبل أو يغلقه تمامًا، واقتربت منه تواصل الجلد والتعذيب قبل أن يستجيب لها ديفيد، وكأنه منوم مغناطيسيًا ويهوي للأرض راكعًا مستجديًا أن ترحمه فترفع جنا ساقها اليمنى ولتضعها على صدره وهي تملس على جسده بأطراف سوطها، متعالية كجبل شاهقة كبرج إيفيل راسخة كالهرم.

ويعلن القدر عن بدء علاقة جديدة بين عبد وسيدته.

واصلت حياتي بالدفع الذاتي إذ إن واجبي الأول منصب في العناية بأطفالي.

انغلقت على نفسي مكتفية بما أصابني من أحداث وأصبح عالمي مرتكزًا على البيت وواجباتي تجاه فلذات أكبادي، وانصبّ جدولي على الحياة نفسها بكل تفاصيلها اليومية إلى أن دق جرس الباب في العاشرة صباحًا.

كنت مستيقظة لتوي من النوم منكوشة منتفخة العينين وجالسة في المطبخ أشرب الشاي الممزوج بالحليب.

فتحت الباب عبر السلسلة الآمنة لأجد رجلاً في العقد الخامس أو السادس من العمر.

أنيقًا لدرجة ملفتة لا تتناسب أبدًا وساعات الصباح، يلبس بدلة سوداء أنيقة، ويضع البابيون على ياقة قميصه، ويمسك بعصا فضية باهظة.

كان أشبه بساحر منه إلى رجل عادي، ولا ينقصه سوى القبعة العالية التي يخرج منها الأرنب لجمهوره، يجر حقيبة سوداء أنيقة وتبدى كأنه قادم من سفر بعيد.

رمقته بتساؤل أن من انت؟

- أنا عز الدين ثروت، هل المهندس هشام موجود؟

- هو مش موجود.

بدا عليه الحزن لبرهة ثم أردف:

- طب ممكن أدخل أرتاح شوية.

- باقول لحضرتك هو مش موجود إزاى تدخل؟

نظر لها الرجل بتمعن، ثم قال:

- انتي الشغالة؟

صعقت من سؤاله، وأحست بإهانة كبرى، وتجاهلت سؤاله باستفزاز أكبر.

- باقول لحضرتك هشام مش موجود.

- اوعي تقولي إنك مراته؟

في الوقت اللي ظهرت فيه ابنتي رغد والتصقت بفخذي، وهي ترمقه بفضول عبر شق الباب.

- أيوة أنا زوجة المهندس هشام.

هش وجه الرجل وبانت تضاريسه أكثر نعومة، ثم برقت عيناه بدموع متوارية، والتزم الصمت، فقلت وأنا أحرك الباب لأغلقه في وجهه:

-لو تحب سيب الكارت بتاعك و..

وقبل أن أغلق الباب مد عصاه الفضية مانعًا غلق الباب، واقترب أكثر وهو ينظر لرغد.

- استني من فضلك.

- ارتبكت وأوشكت على الصراخ من خوفي من الرجل، لكن شيئًا ما فيه يجلعني أقل خشونة وعدائية.

ربما سنة أو أناقته أو شيئًا لا أعرفه.

ليتكلم أخيرًا ويلقي بقنبلة.

- أنا والد المهندس هشام... حماكي.

كانت غرفة الدفن أقرب لقبو منها لغرفة.

لا يوجد شيء على الإطلاق اللهم إلا وعاءان فخاريان في الجانب الأيسر ونقوش وطلاسم سوداء تملأ الجدارن بالتأكيد تحكي حكاية الفرعون المكلوم في قلبه والعشيقة الملساء صغيرة السن والتي تمزقت؛ لأنها فقط أحبت.

كان التابوت رابضًا في المنتصف على قطعة مستطيلة من الجرانيت.

خشبيًا شبه مفكك مزركشًا بالنقوش السوداء أيضًا الطابع العام له طابع يحمل شجنًا وتهافتًا للحزن والبكاء.

أزاح المقدس بخيت الغطاء الخشبي ببطء حتى لا يتكسر تحت وطأة الاحتكاك.

وفـي الداخل وجدنا مومياء تلفها شـرائط الكتان، وفي مكان الوجه .مع قناع لهيفاء مكحولة العينين تنظر بقسوة للفناء ويحمل القناع ككل .عورًا عامًا بالغضب.

مازال الطنين يمضغ الآذان، ويحمل ميوعة الخمر في أمعائنا ولكن لقاءنا مع التابوت جعل تلك المشاعر البدنية أقرب ما تكون للتهميش.

قمت بالتصوير مستعينًا بكشافات الإضاءة وتجولت بأنحاء الغرفة.

يا لها من عزلة نهائية في قلب الحجر الصوان.

وتعـاون المقـدس بخيت والرجال في حمل التابـوت بعد أن أوثقاه بالحبال اللينة ليخرجاه من تجويفه بعد آلاف السنين.

في شـرفة الشـقة في المهندسـين، جلس عـز الدين بقامتـه الفار،
الطول، وشـكله المهندم بعد أن خلع سـترته، وفك ياقـة قميصه متأملا
الشارع اقتربت منه حاملة فنجانًا من القهوة السادة كما طلب.

تجرع كأس الماء البارد قبل أن يبدأ برشف جرعاته من الكافيين.

جلست قبالته أتأمله.

بالفعل يحمل الرجل ملامح من زوجي، بل إن زوجي هو من يحمل
من ملامحه الوسيمة.

فلـو اسـتبعدنا تجاعيـده المنتشـرة حـول عينـه وفمه وأبدلنا شـعر،
الفضي بشـعر أسـود لكن هو هشـام نفسـه، وإن كان الرجل أكثر طولاً
منه زوجي ويملك عيونًا زرقاء، وبشرة أقرب للبياض، نعم عيونًا زرقاء
كالتي يملكها زياد ابني.

بل لقد كان يشبه ابني زياد كثيرًا.

طلـب مني أن أقـرب منه ابنتي رغد التي كانت ترهبـه كثيرًا وحملها
علـى قدميه محـاولاً احتضانها، وكانـت تقاوم إلى أن سـكنت بحجر،
فعلاً، وباتت تلعب في عصاه بخفة الأطفال.

وجمالهـم، لم يعرف الرجل بعد أن لـه حفيدًا أكبر من رغد، والذي
كان يغط في نومه ولم يستيقظ بعد.

هشام فين؟

- مسافر في شغل.

نظر الرجل لي بعمق وباغتني بسؤاله

- وعامل إيه معاكي؟؟؟

أخيرًا خرج التابوت إلى العراء، وكلل مجهود كل عمال التنقيب بالنجاح وتم تحميله على سيارة دفع رباعي بعد تغليفه بالبطاطين، والورق المقوى والبكر اللاصق، فقد كانت تعليمات الهانم مشددة، ألا يفتح التابوت إلا في حضورها، ومن ثم كان الرجلان معنا لتنفيذ وتأمين تلك المهمة.

قمت أنا بدفع مبالغ مؤقتة للمقدس بخيت وعماله حتى تتوازن العملية بالكاش القادم من الهانم نفسها.

وقابلتنا على الطريق سيارة لنقل العفش فقاما الرجلان بنقل التابوت إليها لتذهب السيارة ومعها الرجلان، ولنعود أدراجنا إلى القاهرة لإتمام صفقة بيع التابوت والعشيقة، لقد بدا الأمر أسهل من تمريرك لسكين حاد في قالب من الزبد.

...

أخذنا مقاعدنا في الطائرة المتوجهة للقاهرة من مطار أسيوط، وكل منا تعتريه مشاعر متضاربة، وكان التابوت قد سبقنا لقصر الهانم في مصر الجديدة تحت حراسة مشددة.

الجو خانق في تلك الليلة من ليالي أغسطس البغيض واللزوجة تم
المشـاعر، وثمة أشياء تلوح في الأفق لكنني غير قادر على تجميعها
الوقت الحالي.

أشتاق فعلاً لجلستي مع نفسي ودخاني الأزرق في عريني.

أريد بشدة الخلوة مع ... نفسي.

...

عالـم الآثار المعروف (راجى حليـم) في ضيافة الهانم، ويقوم بفا
غلاف الجثة بنفسه بينما الهانم ترنو للمشهد بوقار وتركيز كبيرين.

لم يكن راجي مجرد عالم فقط، بل هو يترأس مجلس مهم في ورا
الثقافة.

تعالى من بين شفتيه صفير متواصل بينما التابوت يتكشف بتفاصيا
العجيبة أمام ناظريه.

- مصـر الوسـطى، وبالتحديـد العصـر الذهبـي للملك سنوسـر
الثالث الفرعون الرب.

الأسرة الثانية عشر، واضح أن التابوت يخص محظية مهمة جدًا عنده و

قاطعته الهانم بنفاد صبر.

- المهم شوف كبسولات الزئبق الأحمر والأحجار الكريمة.

- صبرك يا هانم الموضوع أهم من كدة لأن النقوش اللي على التابوت
واللي موجودة في الصور على الجدران بتحكي حاجة مهمة جدًاا!.

نظرت له الهانم ولم تعلق.

- ده فيه حقيقة تاريخية تخص التابوت ده بالذات.

تابعته الهانم بملل قائلة:

- إيه هيا؟

- سنوسرت مكانش فرعون عادي، وكان محاط بجيوش من الكهنة ، السحرة والكتابة بتقول إنه بيلعن مصر وشعبها وجيشها وحكامها ، بلاطها واضح جدًا أن الفرعون كان غاضبًا، وصب لعنته على كل شيء بما فيها البلد نفسها.

تابعته الهانم بنصف تركيز، ثم أشارت له بإكمال المهمة.وفحص المومياء عن كثب.

أكمل العالم الأثري عمله، ورفع غطاء التابوت عازمًا على فك افائفها الكتانية بعد أن رفع القناع الغاضب من موضعه على الوجه ومع القص الهين لشرائط الكتان اتضح وجه العشيقة الحقيقي.

والذي أجبر راجي والهانم على العودة للوراء خطوة.

وفيما يتأملون الوجه برهبة ساد ظلام عميق في القصر.

لا ليس القصر وحده، بل منطقة مصر الجديدة بالكامل.

لا ليس المنطقة فحسب.

ولكن القاهرة كلها عمها الظلام الأسود المفاجئ.

عـدت للمنـزل في سـاعة متأخرة نوعًـا، ورتبت كل أمـوري لأزور زوجتي وأولادي في اليوم التالي.

وبالفعل كنت أمام بيت أولادي صباحًا.

أولجت المفتاح في الباب ودخلت.

البيت هادئ يوحي بأنه لا يوجد أحد فيه.

الشرفة مفتوحة وثمة موسيقى كلاسيكية تنبعث.

هـذا ليـس ذوق نهلـة فـي الموسـيقى إذ إنهـا تميـل لأغانـي النكد والانسحاق متمثلة في أغاني مصطفى كامل وبهاء سلطان وغيرهما من النواحين، وترددها دومًا خافتة الصوت.

أمشي بخطوات وئيدة للشرفة.

لأصدم بوجود كهل وسيم يجلس في الشرفة لابسًا الروب ويحتسي القهوة.

انتبه لوجوده فأدار وجهه.

والتقت العينيان.

يا كل شياطين الجحيم.

من أنت؟؟؟

أخيرًا عاد المقدس بخيت لبلدته التابعة لمركز بني مزار بمحافظة
. ـيا هانئًا بعدما ودع عماله الذين تفرقوا في محافظات الصعيد
مختلفة.

دخل بيته المكون من طابقين حديثين نوعًا ما، واستقبلته زوجته
انه بسرور جاهز لما يأتي به المقدس من خيرات من هذه السفريات
الطويلة.

من نقود وهدايا لكل العائلة المكونة من الأب والأم وثلاث بنات
وولد صغير.

وفي صباح أسود تلقت القرية، بل والمحافظة ومصر كلها خبرًا
بشعًا.

عشر ضحايا من أسرة المقدس بخيت قتلوا بشناعة.

الجميع ذبح من عنقه، وبقرت بطونهم، وتم إزالة وتشويه أعضائهم
التناسلية.

بل إن العيون اقتلعت من محاجرها، ووجد بجانب كل جثة
حمامة... مقطوعة الرأس.

وانقلبت وزارة الداخلية بحثًا وتنقيبًا عن الجاني لكي تهدئ من روع
الرأي العام المذعور من تلك الجرائم، وأسفرت التحقيقات على أن
هذا القتل طقسي يمت للسحر والجن والقبور الفرعونية بصلة وثيقة،

وأن البلـد أصابها لعنـة الرصد من حراس المقابـر الفرعونية من الجا
فـي حيـن أثبتت التحريات عن قيـام مخبول كان يعيش فـي القرية بها
المذبحـة، ولم يتقبـل الرأي العام هـذا الاتهام الذي يـراد به غلق ملف
يوضح ضعف تحريات الأمن العام الصحيحة.

وهكذا ودع المقدس بخيت حياته بدون أحشاء واشترك معه زوجته
وأبناءه وأحفاده.

غريب فعلاً ما يحدث، غريب لدرجة الصدمة.

اشتعلت النيران من جديد في منزل العامل سيد محمود في بلدته
. مروسة في أعماق الصعيد، وكان أول اشتعال منذ أيام قليلة، وتم
.. ماد النيران التي لا يعرف أحد مصدرها، ولكن هذه المرة النيران لا
. رح، وأتت على أهل البيت جميعًا مخلفة التفحم والذعر لأهل القرية،
ا م يقتصر الأمر على ذلك، بل امتد حزام من النيران المجهولة المصدر
م في قرى كثيرة من الصعيد، واحتار الأهالي فيها وقالوا أشياء كثيرة عن
ا-ن والرصد وحراس المقابر، ولكن الأمن لم يُعِر الموضوع الاهتمام
ا نافي مما اضطر أهالي بعض هذه القرى إلى الاستعانة بطاردي الأرواح
ا العلاج الروحاني لتخليص هذه القرى من السحر بعد أن التهمت النيران
الكثير من الأشخاص وذويهم، بل وصل الأمر إلى مطاردة النيران لهم
.ما يرتحلون وكأن عليهم ثأر جهنمي لابد أن يدفعوه من حياتهم.

من هؤلاء المحترقين كان سيد علي ومحمود أبو شحاتة ومكين
طرس وغالي ياسين وكلهم من طاقم الحفر التابع للمقدس بخيت.

وأصبح خبر أن تلتهم النيران قرية في الصعيد شيئًا ليس بالجديد في الإعلام.

وتأكدت في تلك الأيام السلطة الروحانية وأصبح المجتمع يتكلم
من الجن والأشباح والروحانيات بكل استفاضة، واحتلت تلك المواد
ساحة كبيرة من الإعلام المصري وقتذاك بالطبع، فإن الشيخ ياسين
كان الضيف شبه المستديم في معظم تلك البرامج.

مرة أخرى مع المذيعة اللامعة رجاب سعيد وضيفها اليوم هو شيخ ياسين، الحلقة تدور حول الحرائق التي تعم مدن وقرى الصعيد والشم ويوضح جليًا أن سببه سحر الرصد بسبب عبث الأهالي المحليم بقبور الفراعنة المشددة الحراسة من الجن، ومن ثم استعرض ياسم بطولته في إنقاذ بلاد وقرى بأكملها من خطر الحريق غير المعرو السبب، وتطرف الشيخ وأسهب في الحديث عن الروحانيات إلى أ جاء الكلام عن السحر والأعمال.

- عندك مَثل واضح جدًا للأعمال السوداء يا أستاذة.

نظرت له المذيعة، وقد تأهبت لضربة إعلامية كبرى معدة سابقًا.

- زي إيه يا شيخ ياسين ؟

- الأستاذ أمجد مراد معموله سحر أسود، وملبوس من جن كافر، والعياذ بالله هو اللي خلاه يعلن كفره أمام الناس.

تجاوبت معه المذيعة عازفة سيمفونية متواطئة.

- تقصد إن اللي كان يتكلم مش الأستاذ أمجد؟

- اللي بيتكلم كان الجن الكافر اللي عليه بسبب السحر الأسود اللي عاملينه الحاقدين على نجاحه، أنا كشفت عليه وحاليًا باعالجه.

ظهر الفضول والجشع على عيون المذيعة الأروبة وهي تقول:

- ممكن يا شيخ ياسين تمارس العلاج هنا على الهوا وأدام كل المشاهدين؟؟

تم شـق اللفائف الكتانية واستخراج الحلى الذهبية، وقنينات الزئبق ، بعـض الأحجار الكريمة التي كانت تنتشـر عبر لفائـف الكتان، ولكن ، جه المومياء كان يسبب إزعاجًا رهيبًا للهانم وعالم الآثار.

لقد تجمد وجـه المومياء على صرخة مريعة توضح أنه فارق الحياة ،أقصى درجات الألم، وأنها مزقت إربًا قبل أن تسـلم الروح، فعل غادر عبر القرون ليتحدث عن نفسه في القرن الواحد والعشرين.

كان هذا التجمد صارخًا تكاد تسمع صرخته بمجرد النظر له.

ولكـن الهانـم كانـت عملية جـدًّا، وخابـرت صديقها العتيـد ديفيد سـمعان لتخبره بالحصول على المومياء التي تخص مجموعته، فطرب الرجل أيما طرب وطالبها بإحضارها بعد الرجوع لباريس إذ إنه كان في الولايات المتحدة لحضور مؤتمر سري.

وبالفعل تم تأجيل شحن المومياء لباريس لحين عودة رئيس النادي شخصيًّا.

وظل الأمر مرهونًا حوالي أربعة شـهور جـرت فيه الأحداث بما لـم يتوقعه أحد.

حكيت لحماي كل شيء يخص حبي العميق لولده، وأنه هجرني لأنه يعرف واحدة أخرى، وإنه متورط بشكل أو بآخر في موضوع التجارة في الآثار، وإننا الآن لا نراه إلا لمامًا، واستقبل الأب كل هذه التفاصيل بتركيز وإنصات جيد.

ونصحني حماي العزيز والذي بدأت بالفعل أحبه، وأعتبره صمام أمان ضد غدر هشام بي وعصفه بشخصيتي، بل إنني بالغت في الاحتفاء به وهو لا يتكلم كثيرًا وبالطبع لم يغادرنا، بل أعلن أنه سيعيش معنا خصوصًا بعد لقائه العاتي بينه وبين ابني زياد الذي تعلق به كثيرًا، واعتبره مكملاً قويًا كان ينقصه في علاقته بأبيه الغائب.

أخيرًا وجدت كبيرًا لزوجي العاتي الشخصية ولكم أتحرق شوقًا لرؤيته بين يدي أبيه

يعنفه ويقسو عليه، وينتقده بجرأة الآباء، وصراحتهم، وانتابتني قشعريرة وأنا أتصور هشامًا يقف بخجل أمام أبيه.

ولعله خير

لأول مرة يعتريني ذهولٌ بهذا الشكل إثر رؤيتي لأبي.

نعم هو بالفعل أبي الذي طالما حلمت به.

توقفت مشدوهًا وكأنني أشاهد معجزة.

اقترب الرجل مني ببطء وتركيز، ولم يسرف أبدًا في انفعاله ولا أنا، شيء يجعلنا ندخل كادرًا من الحركة البطيئة.

كنا كحيوانين مفترسين يتشممان قوة كل منا الآخر.

بل كنت أراه كأنني انظر لمرآة سحرية تعرضني أنا في مرحلة متقدمة العمر والمبدأ والتوحد والأنانية القاسية على الذات.

كان أبي يملك نظرة أعرفها جيدًا وكنت أحبها في عيونه.

نظرة من يفهمك ويقتحم أعماقك، ثم يبتسم في شر مماثل للذي أعماقك أو أكبر.

نظرته كانت امتنان وحبور لمن يعرف أكثر ليسيطر تلك السيطرة عمة الماجنة، كم سمعت من أمي عن مجونه وأنانيته وشهوته مرطة.

لا أنسى أبدًا نظرته لي في شرفة المنيل حين وجدني أنظر خلسة مرأة تسكن أمامنا، ولا يحلو لها ترتيب المنزل ومسح البلاط إلا

والنوافـذ مفتوحـة وكانـت تلبـس من خفيـف الثيـاب ما يجعـل نر
جسدها هي أيضًا مفتوحة.

وجدته يضع يده علـى كتفي وضاغطًا إياها كي أواصل المراقبة
أنزعج من وجوده، وهامسًا في أذني بمزيج من السخرية والعقاب.

- بتعمل إيه يا ملعون؟

كانت صورته المطبوعة في ذهني بتلك الابتسـامة المحايدة، و
الحسن أسفلها يشجعني على فعل أي شيء للتجربة.

مددت يدي أصافحه بتلقي يدي مصافحًا بوقار وتعالٍ.

ثم ضغط على يدي رافعًا يده إلى مستوى شفتاي أنا.

وكأن الأحمق ينتظر مني تقبيل يده.

- انتو أكيد مجانين.

صاح أمجد ممتقع الوجه في ياسين وسلوى.

- مش ممكن أعمل كده أصلاً في الحقيقة لما أعملها أدام الملايين.

- اسمع بقى وبطل طفولة، انت لازم تعمل كدة إنقاذًا لحياتك.

عاوزني أطلع مع الدجال ده وأمثل إني ملبوس؟

- انت فعلاً ملبوس يا أستاذ أمجد.

نطقها ياسين بتؤدة وكياسة.

- نعم يا بتاع انت؟ أنا ملبوس؟

- طبعًا هو فيه حد سليم يجاهر بالكفر والإلحاد كدة عيني عينك
دام الكاميرات، وفي بلد زي مصر، إنت أكيد ملبوس بجن كافر، أو
ابد للنار وخصوصًا إنك عصبي جدًّا اليومين دول.

- أنا أصلاً قرفان من البلد ومنكم ومن كل شيء.

- ماهو ده السحر اللي مخليك بتخرف وتشتري عداوة ناس
عندهاش مشكلة إنهم يقطعوا حتة حتة في جسمك، يا بابا ده اسمه دين
مني حياة ناس قايمة نايمة عليها، ولما انت شجاع أوي كده متتكلم عن
تعريص اللي في كل خُرء في البلد.

- أمجد انت فعلاً مش طبيعي ومحتاج علاج روحاني كل المو
إنه هيكون أدام المشاهدين، دي شهادة براءتك أدام الجميع.

كانت هذه سلوى.

- حبيبي أنا مش عايزة أشوف جثتك مقطعة أو مطعونة في الجر
أنا بحبك ونفسي أطمن على سلامتك.

كانت هذه أيضًا من سلوى..

وضع الشيخ ياسين يده على كتفي مؤمنًا على كلامها وسألني:

- قلت إيه ؟ تحب أتصل برحاب أبلغها موافقتك؟

-نظرت له متسائلاً، فقال بسرعة:

- لازم تعلن عن حلقة علاج مدرب التنمية البشرية اللي ه
توبته بعد ما نخلصه من الجن اللي لابسه، دي حلقة العمر ليا و
يا أمجد.

ولمحت في عينه شبق رهيب للمجد على حسابي أنا.

لاحت مني ابتسـامة دبلوماسـية مع رفع راحتي اليسـرى لأربت بها على يمناه متحاشيًا لثم يده كما كان يريد.

كـم يتمتع الآبـاء بالغـرور والثقة أمـام أبنائهم حتى ولـو قصروا في حقوقهـم الأوليـة في التربية والنشـأة، لقد تصور الرجل أنني سـأرمي بنفسي في أحضانه باكيًا.

لعلي كنت أفعلها أيام تسلط زوج أمي المشلول لكن الآن هيهات.

نظرت ليده الأنيقة بتمعن، ثم رفعت ناظري له قائلاً ببرود، وأن أبعد يده عن مجال شفتاي:

- أهلاً وحمدالله على السلامة.

تسربت زوجتي نهلة للشرفة حاملة صفحة بها أدوات القهوة لأبي.

فنظر لها أبي في امتنان، وتناول منها ما تحمله وعاود الجلوس بهدوء.

فجلست قبالته والفضول يأكلني ولكنني حافظت على برود مقصود.

وقبل أن أبدأ الحديث اندفع ابني زياد لأحضانه بمرح قائلاً:

- جدو جدو تعالى نتفرج على سبونج بوب.

فنظـر له أبـي بحنان بالـغ، وأقنعه بـأن يذهب؛ لأنه يريد أن يشـرب القهوة أولاً.

كان التجانس بينهما كبيرًا لدرجة أشعرتني بالغيرة الشديدة على ابني، والذي أمسكته عنوة وهو يخرج من الشرفة، وقبلته رغمًا عنه وهو يجاملني ويمزج رفضه الخجول بالابتعاد بسرعة ليتابع بشغف رسومه المتحركة.

تركنا زيادًا وعدت أنا وأبي وحدنا في شرفة البيت.

الجو ينذر بانتهاء يوم قاسٍ من الحرارة، ونسيم العصارى يداعب أوراق نباتات الزينة، وينتشر في الجو طيفٌ بنفسجيّ آية في الأناقة.

كنت في حالة تامة من اليقظة إذ إنني لا أتعاطى أي مخدر قبل أن أرى أولادي حتى لا تعتريني لحظات من التأثر أو التأرجح بين عاطفة الأبوة وبيني أنا الذي أحبه.

كان أبي على قدر لا بأس به أبدًا من الجاذبية وبنظرة قارحة انبعثت من داخلي شعرت فيها أن الرجل سبق مارس المئات من أفلام الجنس غير المصورة كما أنه تعتري ملامحه ليونة العاهر واستقباله لأى شيء ببساطة.

هل أنا صورة منه ولا أدرى؟

هل ما فعلته يتوارى خجلاً أمام ما فعله ذلك الماجن العتيد؟

شرع هو في صب فنجانين من القهوة لي وله، وناولني إياه مبتسمًا.

- عرفت إنك بتحب القهوة المانو يا هشام.

وانت بتحبها إيه؟

نظر لي مليًّا ولاح شبح ابتسامته تحت شاربه الأنيق قائلاً:

- أنا بحبها سادة.

لم أراقب الآخرين، ولكني راقبت نفسي جيدًا.

فها أنا أقابل أبي الذي أدمنته أحلام يقظتي.

لـم يكف غروري عن ضرب مؤخرتي باعتباري الآن مليونيرًا أملك
ـموال الســائلة تحت قدمي، شـيءٌ ما يلـوث اسـترخائي المصطنع،
ألني عن أمـي وزوجها المشـلول، وعرف مني تفاصيـل قديمة كنت
ـسب أنني طويتها في تلافيف مشاعري المتشابكة، وعرف مني أنني
تابعهـا، ولا أزورهـا ولم يبد تعجبًا كبيرًا، بـل حثني على المزيد من
ـاصيل، وبحكم الوراثة أو الانبعاث الفيسـيولوجي بدا يعرف الكثير
ـن تفاصيـل حياتي الأخـرى، تفاصيل مبهمـة لا يمكـن وصفها بدقة
كنه انطباع عام، وكأنني صورته المستحدثة في الحياة.

أهي الملعونة التعسـة زوجتي من أخبره أم أن الرجل عتيد في قراءة
ـته الوحيدة؟

حقيقة لا أعرف.

بـدا ترحيبي فاترًا بوجوده مع زوجتـي وأولادي في بيت واحد، ولو
ـ هو صاحـب الدار الأصلـي لأبديت رغبة في اسـتئصاله مـن بيتي،
كن شيئًا ما يرغمني على القبول.

ربما أيضًا شيء مريح في أن يكون أبنائي حاضرين في كنف جدهم.

استوضحت منه جدولاً أو برنامجًا مخصصًا له ولكنه تحفظ كعادته فهو مثلي يحب أن تبدو أهدافه ومخططاته غامضة لمن حوله.

كما لاحظت أن زوجتي هانئة بوجوده ومتدثرة باطمئنان في كنفه.

لم أذكر له أن لي معبدي الخاص، وبررت له غيابي عن بيت الزوجية بعمل مبهم أقوم به في السفر.

تقبل الأمر مني بفتور، وبدون أسئلة، وإن بدا أنه يعرف كل شيء.

عـدت لعالمي محتارًا فيه، وبدا أنه يحتل مسـاحة كبرى في تفكيري على غير المتوقع.

ولكن ليكن ما يكون، فأنا لم أعد أنا منذ فترة ليست أبدًا بالقصيرة.

وتركتهم كما تركت أمي إخوتى منها متمنيًا لهم في سـري تكافلاً لا نهائيًا فيما بينهم

(أنا سافرت كتير وشفت من الدنيا اللي يخليني أرجع مصر)

(الحمـد لله إني اطمنت عليك، ورجعت لاقيتك مكون أسـرة، ولو انت مش عاجبك حالك سـيبهوملي وأنا أرعاهـم، ده دوري كأب ليك وجد ليهم).

- شندي يا شندي

لم أسمع خطواته المسرعة كالعادة في طلبي.

لعله خارجًا يبتاع شيئًا من لوازم البيت.

كيف لم يستأذنني؟؟

خرجت من غرفتي واتجهت لغرفته.

غيـر موجـود فقط بعض ملابسـي القديمة والتي أعطيتـه إياها ملقاة
، فراشه.

من الواضح أنه اقتنى منها شيئًا لخروجه.

يا له من ماكر ريفي يريد التأنق.

بحثت في قائمة الأرقام حتى وجدت رقمه.

اتصلت به مرارًا ولا إجابة.

أيـن ذهـب هـذا الكلـب؟ إنني أريد جلسـة زرقـاء لأفكـر جليًا في
ضوع أبي الذي انبثق من عدم.

رجعت لغرفتي متعجبًا.

أين ذهب شندي؟؟

فـى الوقـت الذي يـدق فيه شـندي جـرس الباب لشـقة فاخـرة في
كسي.

فتحت له مدام أميرة الصحفية الشبقة ورحبت به وأخذته للداخل.

كانت تلبس قميصًا سـاخنًا فوقه روب شـفاف أسود، بينما هو يلبس
صًا واسـعًا بعض الشـيء عليه ربما كان قميص هشـام نفسـه ووجد
ادم أن تأنقه لا يكتمل إلا بقطعة من ملابسه كذلك الحذاء الرياضي
ا من ملبوسـات هشام والذي استغنى عنه لشندي بعد رحلة أسيوط

الأخيرة، فبدا شندي بقامته النحيلة أشبه بمحصل الكهرباء منه إلى رجل على موعد ملتهب مع سيدة.

كان شندي ذلك القبطي البسيط، وارد المقدس بخيت الجنوبي مشدوهًا بالمرأة الخمسينية، وتعاظم إحساسه بنفسه عندما عرضت عليه أن يذهب لها في عرينها.

وشعر بمغامرة حارقة وهو يستقل تاكسيًا ليقله إلى مصر الجديدة حيث تقبع المدام.

الظروف مهيأة والزوج وابنه في غياب مضمون، وكانت تريد إلحاق الغيظ بهشام نفسه بأن تستولي على جزء من ممتلكاته حتى ولو كان خادمه.

هاتفه النقال يواصل الرنين برقم هشام بيك وهو لا يستطيع الرد، شيءٌ ما يمنعه، وكأنه غير قادر على الرد على سيده وصاحب مأواه، لعله غير قادر على الكذب عليه.

سيقول أنه لم يسمع الهاتف، سيقول أنه كان في زيارة لأحد أقاربه في عزبة النخل.

ولكن الآن هو في مغامرته الأولى مع سيدة في سن أمه، ولكنه مبهور بها ولم يكن يتصور أن النساء تعطي كل هذه الدفقات من اللذة.

الآن في غرفة جانبية من الشقة الواسعة تنقض المرأى على الخادم البسيط بينما لا يحرك ساكنًا، كان خائفًا بعض الشيء، تعتريه الرهبة من المكان ومنها هي أيضًا.

لـم يسـتجب غريزيًـا لهـا فزادت مـن مداعبتـه، ونزلـت جاثية على
بتيها تعبث هنا وهناك بينما شندي مشدوهًا ينظر للا شيء.

أصابعها المغموسة في الطلاء تفك سرواله وهي في وضع الركوع،
تبدأ في ... شندي يستجيب ببطء وغرائزه تتغلب على خشيته.

هاتفه النقال يرن باستمرار مما يزيد الأمر تعقيدًا بالنسبة له.

يمد يديه الاثنتين، ويمسك برأس المرأة الجاثية على ركبتيها أمامه.

تنظر له من أسفل وتبتسم مشجعة.

كفاه يطبقان على رأسـها بضغط متزايد وأصابعه تقبض بجشع على
رها المصبوغ.

تتألم أميرة من ضغطه، فترفع رأسها لتطلب منه أن يخفف من ضغط
تيه على رأسها.

تنظـر لـه .. شـندي متجمـد وكفـاه مطبقان علـى رأسـها، وأصابعه
وسة في شعرها.

شعرت بألم متزايد وتشنج غير عادي في أصابعه.

(أذان العصر يعلن عن وجوده وصوت المؤذن يصل لها)

انتابتها هزة، وحاوت التوقف ريثما ينتهي الأذان، وكأن الله يمارس
رًا روتينيًا ولا يجب أن يراها في هذا الوضع.

حاولـت أن تخلـص رأسـها من أصابعـه المنقبضة على شـعرها لـم
طع.

حاولت النهوض مرة أخرى.

لم تقدر على عصبه النافر.

ثم سمعت خوارًا يصدر من الشاب ممزوجًا بكلام مبهم.

حاولت أن تصرخ فضمها بسرعة إلى وسطه أكثر.

قبل أن يبعدها عنه بعنف ثم .... ثم، ثم يلوي عنقها لما وراء ظهرها.

صوت طرقعة عظام الرقبة أعلى كثيرًا من صرخة ماتت قبل أن تولد.

وهمدت حركتها تمامًا وتهاوت على الأرض..... كجثة تلبس الشيفون الأسود.

هرب شندي لا يلوي على شيء من مسكن القتيلة، ووصل إلى شقة هشام.

قابله هشام بغلظة، لكن شندي لم يلقِ ردًّا.

بل جمع ملابسه، وكأنه منوم مغناطيسيًّا.

وخرج من عنده بلا عودة.

(من صفحة أخبار الحوادث)

العثور على صحفية مقتولة في شقتها بميدان روكسي... القتيلة كانت حسنة السمعة وبلا أعداء.. اشتباه في تصفية جسدية بسبب توجهات سياسية... القتيلة تم ليّ عنقها بعنف في ومنزلها، ومازال

حث عن القاتل مستمرًا ... أرقام المحمول الأخيرة التي طلبتها لا
ل على أي شيء .. ضد مجهول.

وداعًا أميرة.

...

صُدمت بالخبر، ولم أربط وقتها بين شندي وبينها إلا عندما وجدت
نفه المحمول ملقًى أسفل فراشه مفصول الطاقة.

أعدت تشغيله لأتفحص المكالمات.

رقمي متكرر في القائمة إلا أنني وجدت رقمًا آخر.

رقم شككت فيه.

نقلت الرقم لهاتفي وطلبت.

فظهرت على شاشته اسم...

الصحفية أميرة .. روكسي.

إذن هو شندي من قتلها، يا له من بائس! ويا لها من نهاية!

ولكن لماذا قتلها؟؟

الخريف بكل ما يشوبه من لون رمادي أثقل روحي بأطنان من الوحدة والاكتئاب، وأصبحت أعرف يقينًا أنني أعاني مرضًا نفسيًّا، ولا أنكر أن موت (أميرة) زلزلني داخليًّا، وأحسست بأنني مسئول بشكل أو بآخر عن موتها.

تقوقعت بعريني أضاجع الملل والرغبة في لا شيء، وراحت رغباتي في سبات عميق أقرب للغيبوبة وتعجبت من نفسي جدًّا، إذ إنني خابي النيران بارد، لا أفكر في أي شيء.

نهاري نوم عميق، وليلي أزرق معبق ببخار الحشيش والخمر، هكذا بلا أي شيء آخر، وكان شندي يقوم بخدمتي بصمت، ولكنه الآن في المجهول لا أعرف عنه شيئًا، ولا أظن أنني سأعرف، ربما انتحر أو قتل أو أنه سيختبئ خائفًا أبد الدهر، وتلقيت طنًّا آخر من الأموال إثر وصول التابوت للهانم، وتضاعف رصيدي كما تضاعف اكتئابي الذي لا أعرف له سببًا واضحًا.

زاد وزني عشرة كيلو جرامات أو أكثر، وتدلى لغدي أسفل وجهي إذ إنني أنكبّ على الطعام بكل وحشية بعد أخذ جرعتي الهائلة من الحشيش والكحول وأصبح الخمول واللارغبة في عمل شيء هو الطابع العام لشخصيتي، وكرهت النظر في المرآة حتى لا تهالني

التغيرات الجغرافية التي طرأت على جسـدي ووجهي بعد أن استقلت
من عملي الاستشـاري في الشركة، وكان نومي بلا أحلام ولا كوابيس،
بل هو أقرب لـدورة فلكية رتيبـة وبين الفينة والأخرى كان (شـمس)،
وهـو سمسـار قـواد، يمدني بطعام جنسـي قوامه نسـاء ماركـة (ممكن
ولعلي) حيث كان يصطادهم من شـارع جامعـة الدول العربية القريب
من عرينـي، بل وهو مـن يتفاهم معهـم وينقدهم جنيهـات مقابل تلك
الخدمة الجنسـية، بل إنني تخليت عن عاداتي القديمة ولم أعد ماسـكًا
الكرباج والملبس الجلدي المثير، بل كان تلك النسـوة ينقضضن عليه
وأنا مسترخيًا، وشيئًا فشـيئًا يتحولن لرضيعات جائعات يمتصصن مني
سـوائل لا أحسب أنها باتت موجودة أصلاً، ولكنه البروتوكول الصارم
في معاملة العاهرات لزبائنهن كل هذا يحدث في صمت والأيام تتوالى
محملة بعبق الروتين القاسـي للحرية والمـال والخواء الذي حل محل
روحي ذاتها.

إلى أن جاءني اتصال من ... كمال.

يطلب فيها مقابلتي .. يا لها من ورطة وإنني فعلاً لن أستطيع مقابلته.

لسـت فـي الفورمة أبدًا، ولا أقبل أن أقابل متيمًـا بي مع وزني الزائد ولغدي المتدلي.

أكيد سيزهد، وسيهزأ بينه وبين نفسه من عدم انتظامي.

وسينكل بي أضعاف ما كنت أنوي أن أفعله به.

وتحريت كل الأعذار، وباتت مطاردته لي عبئًا لا أستطيع التخلص منه.

شخص شاذ ذو مكانة رفيعة يلاحقني أنا.

وأنا لا أستطيع حتى مقابلته حتى لا يراني ناقصًا للجاذبية المعتادة حتى لا يتحقق من نقصان أعلى كثيرًا من نقصانه هو.

إن كبريائي يتحطم على صخرة ساخرة شديدة الأحافير.

...

أخيرًا سافر التابوت محمولاً في أحشاء طائرة خاصة للعاصمة الفرنسية.

طردًا دبلوماسيًا أنيقًا يحمل داخله عشيقة الرب المبقورة.

أخيرًا، رحلت العشيقة عن تراب مصر محمولة بعناية فائقة لمثواها الأخير لتستقر على طاولة ذهبية في النادي الدولي للآثار.

وصل التابوت ليقبع في براثن العاشق اليهودي لتبدأ الأحداث الحقيقية أكثر ذهولاً مما يتوقع الكثيرون.

انداحت دموع غزيرة من عيون كمال وهو في أحضان صديقه العتيد (جمال الغزاوي)، مخرج الكليبات المشهور ..لا ليس كما تتوقعون، فالعلاقة كانت قائمة على صداقة عتيدة ليس إلا، المخرج المشهور كان يمثل العمدة أو الكبير لمجتمع المثليين في القاهرة، وكانت الصداقة

ن كمال وجمال قائمة على سرية الرغبات فيما بينهما؛ لأن المخرج
كان يقوم بدور المصدر الأكثر أمنًا لكمال من الذكور الفواحين بعبق
الستسرون، وكان يعرف جيدًا ذوق صديقه ويرشح له العشاق لليلة
واحدة، أو لأمد غير طويل لكمال حتى يضمن احتياج كمال الدائم له،
وكان (كمال) يستسلم له ولسيطرته على سوق النخاسة من الذكور
المماليك والذين يتوافدون إليه طمعًا في الوقوف أخيرًا أمام الكاميرا
موديل أو ممثل ناشئ، وهو حلم للكثيرين من الشباب، وفي هذه
الليلة بالذات خرج كمال عن بروده المعتاد وهو يشرب كأسًا من
الشيفاز، ونظر في وجه صديقه المخرج ليبث له أنينه وأشواقه وحنينه،
وحبه لهشام مهندس المطابخ الوسيم.

رفع جمال إحدى حاجبيه، وتعجب من انهيار كمال ابن السلطة
والنفوذ واستغرب من قوة مشاعره تجاه شخص لا يعرفه، واستحثه
بكل فضول أن يعرف من هو هذا الهشام الذي حرك جبل الجليد،
وحوله لبركان لافظ بالحمم، ودخل على حساب هشام على الفيسبوك
ليرى من هذا الذي يصفه كمال بكل هذا الشجن والانهيار.

- مش بطال.

هكذا قال جمال الغزاوي وهو يتأمل صور هشام.

- المشكلة إني مش قادر أبعده عن تفكيرى يا جميلة.

مصمص المخرج شفتيه، وحرك حاجبيه بفجور الغواني.

- من إمتى وانت تعبان كدة.

من ساعة ما قابلته آخر مرة عند حلاوة.

- حلاوة؟؟

ثم أمسك بطرف قميصه، وبصق في عبه ثلاثًا.

- تتتف ....يقطعها (هي لسة عايشة؟)

نظر له كمال دون اكتراث، فتابع جمال كلامه المدوزن بالإيحاءات الأنوثية.

- وطبعًا (لعبت) معاك لعبة شوّق ولا تِدوّق.

- لالا هـي .. قصـدي (هـو) مـا علقش خالـص مع إنـه على طول قافشني وهاريني تحليل.

- طيب معاك نمرته؟

- لا.

- يـووه طب وعايزنـي أعملك إيه دلوقتي.. مممم اسـمع أنا عندي ليك لفة هدية.

التفت له كمال بنصف تركيز، فقال له جمال بدلال:

- حاجـة فارسـي مـن اللي قلبـك يحبه .. دكـر من العراق بيشـتغل مونتير بس إيه.. الإسـكندر الأكبر.لو شـافه كان سـلمه بابـل بِاللّي فيها هدية.

ثـم قلب في تليفونـه المحمول وأبـرز صورة رجل بلحية وشـارب أسـودين وعيون جاحظة، يمت للوسـامة الفارسية فعلاً غليظ الحاجب

ـيف لامع العينين يحيط وجهه بهالة كثيفة من الشعر تمثل لحية
، شارب غير مهذبين ولكن.

تلوح القسامة الصارمة في تقاطيع وجهه ويشع وجهه بالرجولة.

نظر كمال للصورة مليًا، ثم أرجع الموبايل بتأفف ليستطرد جمال
مرضه المغري.

188 سم و 85 كيلو ومايقلش عن 11 بوصة يا كوكو.

ابتسم كمال لأول مرة منذ أن جلس مع صديقه القواد الخصوصي
قائلاً:

- أوك أهي تصبيرة والسلام.

والماما عاملة إيه معاك؟

- أهي بتزن عليا عايزاني أتمم الجوازة.

نظر له جمال مليًا وانتظر لبرهة من التفكير، فهو يعرف جنا، ويعرف
أبيها الناعم ويريد دومًا أن يسيطر على كمال ويكون منبع أسراره
ورغباته الحقيقية.

- وماله أهي جوازة تفوت ولا حد يموت، المهم إن الماما متزعلش
لحسن زعلها وحش أوي.

نظر له كمال ثم تنهد قائلاً:

- طب وهشام؟؟

ضحك جمال قائلاً باسترخاء وهو يتحسس صدره البارز:

- متقلقش بكرة الدكر يجيبه كيفه... سيب الموضوع ده عليا.

....

لم يكن (أمجد) أبدًا بصيد سهل، فقد كان يمشي بحذر الفهود ولكن الأمر بدا جليًّا فهو معرض للاغتيال في أي لحظة، ولكنه لم يمت، بل عادت حياته لوتيترها المنتظمة، وبات يحصد متابعين جددًا من الشباب الصاعد، يغذيهم بأفكاره ويتعامل معهم معاملة السيد للأتباع، بل وتحسنت حالته المادية إثر النقد السائل من اكتشاف المومياء، ولكن شيئًا ما يحدث لنفسيته ويصيبه دومًا بعصبية الانفجار، ولا يعرف ما هو كنهه، الحياة تمضي ومع حلول الشتاء بدا الجو مكفهرًّا على الجميع، وبأن الأجواء تفغر فاها، وتنشر أنيابها الصدئة تمهيدًا لقضمة صقيع، تصيب الجميع بغرغرينا البتر.

هو مازال قابعًا في عرين سلوى الدائري يمارس تنفسًا محمومًا للهيروين وبدا أن سلوى قد يئست من تغييره أو إقلاعه عن إدمانه خصوصًا، وأنه يملك ماله الخاص الآن ويعيش معها كعاهة جنسية لا فرار منها، أما هي فقد هدأت بالأ بعد أن امتلأت جيوبها ببضعه ملايين يؤمنون لها استرخاء وجريًا دائمًا وراء أطباء التجميل، هي تريد تكورًا منتظمًا لثدييها الآخذين في التهدل، إنها تريد شفطًا وشدًّا دقيقًا لأفخاذها وما حول عيونها، وهو أقصى الأشياء أهمية عندها كما إنها بدأت بإقامة علاقات سريعة مع رجال آخرين بعيدًا عن عيون (أمجد) المذهول واكتفت بأنه يتوارى في كهفها ولا يسبب مشاكل كانت

توقعها .. نعم بدت الحياة أكثر رسوخًا لكليهما، بل وتوحي باستمتاع متواصل.

.....

أما (جنا) فقد بدت أكثر جمالاً ومللاً كما أن لقاءاتها بهشام فقدت سخونتها وتحول الأمر لما يشبه جلسات العلاج النفسي، فهُما حين يلتقيان لا يتكلمان عن رغباتهما ولا يمارسان شيئًا مألوفًا من بروتوكول القبل والالتصاق، بل بدأ الحوار بينهما كمكاشفة أو شكوى من شيء يجهلانه ويسيطر على مشاعرهم، تركت جنا هشام متأففة وأكثر مللا ودأبت على مراسلة ديفيد هذا العجوز المتصابي، الذي يلعق نشوتها ككلب أليف ويعطيها من الأهمية ما كانت تفتقده بشدة من هشام.

..

أما (نهلة) فقد انطلقت في طريق تربية أولادها والعناية بنفسها فهي تملك مساحة كبيرة من الوقت كان هشام يشغلها ولكن بعد ظهور الأب بدأت طريقًا جديدًا بمساعدة الأب نفسه الذي شجعها على المواظبة على الذهاب لصالة الألعاب الرياضية والتواصل الدائم مع مراكز التجميل والعناية بالبشرة والشعر والأب نفسه بدا مهتمًا بتربية أحفاده الذين ملئوا فراغه وأصبح يأخذهم يوميًا إلى النادي ويعيد تكوين صداقات قديمة انقطعت قبل سنوات.

هل بدت الحياة أيسر وأكثر امتنانًا يا (نهلة)؟

نعم بلا شك.

وليقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

..

(أنا رضا)

نعم صنايعي أملك مهارة كبيرة في أعمال النجارة والسباكة أيضًا

أعمـل في طائفة المعمار، طمـوح ومتدين أعرف جيدًا أن المجت

فاسـد ولا شـيء سـيصلحه إلا التدين ولن يحقـق رخـاءه إلا الالتزا

أملـك بالفعل علاقات متعددة وأعمل كسمسـار سـري لبيع الآثار و

هذا النشاط دخلاً عامرًا، أميل نوعًا لثقافة الإخوان وأجد في مشاريعه

وتجارتهـم دهـاءً لا يعادله دهـاء، وتعلمت منهم أن الحيـاة حرب وا

الحـرب خدعة، وأنه كي أصـل لهدفي لابد أن ألعـب بقواعد الآخري

وكان الناس عندي أو في تصوري حزمة من الفاسـدين المزمنين ولا

أن أكـون هكذا مثلهم حتى أتمكن من تواصـل به الكثير من المصلحة

عندمـا وصـل الإخوان الملسـمين لعرش مصر بادرت بالولاء السـري

وتواصلت مع كودار متوسـطة في سـلطتهم، ووجدت أنني منبوذ بينهم

ولكنني صبور، وسـأصل قريبًا لمركز ثقة عندهم، لم أسـتفد منهم شيئًا

علـى الإطـلاق، بل خسـرت الكثير من معارفي بسـبب إعلانـي التأيد

الكامـل لهـم، مبادئهـم تروقنـي لأنهـا سـتجعلني أرمـق انهيـار هؤلاء

الفاسـدين بعين التشـفي والاسـترخاء وانتظرت أن يتحقق الحلم على

أيديهم، حلم الإمبراطوية الإسـلامية الأسـطورية، فلا وجود للغطرسة

الخليجية ولا ذلك التعالي الذي تمارسـه دول الغرب علينا، أحلم بقوة

لا يستهان بها نتمتع بها ونصفي حسابتنا على قاعدتها الصُّلبة.

أنـا زوج وأب لبنتين وولد، والحقيقة أننـي واقع في الغرام المضني
م راقصـة تدعى سـماح تملـك أجمل سـاقين وأنعم بشـرة رأيتها في
اتـي، كمـا أن عيونهـا مثيرة لجدل طويـل بيني وبين نفسـي، هي من
. ـسط البلد أو بمعنى أصح تعمل في ملاهي وسط البلد الليلية وأتبادل
. ـها الود والابتسـامات والأحضان والهدايا، ولكن هذا لم يؤثر مطلقًا
ـاى تديني وعلى انتمائي العاطفـي للثقافة الدينية، وكان لقائي معها لا
ـمدى عمليـة ضرورية أثبت بهـا انفعالي الداخلي لأجل غير مسـمى،
، لأعود بعدها الأسـطى رضا الوقور المتدين، وأفكـر جيدًا من الزواج
. ـها، فقط أنا أمهّد الطريق لتوبة جزئية أريدها فيها أن تلبس بدلة الرقص
ـي أنا وحدي، أقابلها بشـقة قوادة تمتلك شـقة بشـارع شـريف، وأدفع
ـسخاء إرضاءً لمشاعري التي لا تصحو إلا في وجود حبيبتى (سماح).

.. افتتح الأسطى رضا مشروعًا لتجارة التوكوك والدراجات النارية في منطقته وبدا أكثر سمنة وراحة بعد أن استقر مشروعه في قلب القاهرة، وأثمر عن أرباح منتظمة من بيعه بضاعته بالتقسيط، وانشغل في تكوين مستقبل أولاده وبناته المادي خصوصًا مع اقتراب موعد زواج ابنته الكبرى من ابن عمه، واستمرت لقاءاته السرية مع عزيزته الراقصة سماح.

..

أما ياسين فقد بدا أكثر ثقة بنفسه، وتزوج سرًّا من أرملة ثرية وبدأت زياراته لمنزل زوجتيه الساحرة والطفلة تقل، وفرح أيما فرح عندما زفت إليه زوجته الجديدة نبأ حملها لطفله الأول، وهو خبر جعله يطير من السعادة يهيم بين سحب الثقة بالنفس بعد سنوات من القهر والزواج الأبدي بينه وبين يده اليمنى.

سعد الدين حلاوة لمع نجمه أكثر وبدا في لقاءاته التلفزيونية أكثر وقارًا وثقة في دفاعه عن النظام السياسي العميق الجذور والجاثم على نفس الدولة، يمارس لواطًا نتن الرائحة على شاشات التفاز، يعري فيها مؤخرة المجتمع ويمدح بلا كلل الأخلاق الرفيعة لدولة النظام، يقصي هذا ويهاجم ذلك تبعًا لمصالحه الشخصية، ويتقرب أكثر وأكثر من

.. ر الجمهوري، راغبًا في شـيء يحلم به من سـنوات، سـعد الدين
.. ة يريد أن يصبح وزيرًا، أو رئيس للوزراء.
. لم لا ؟ لست أقل أبدًا من أهم رجالهم، بل أفوقهم في كل شيء.

.ـم اسـتقر أبطالنـا وبدت الحيـاة كما لـو كانت صـورة تجمد فيها
.ـن إلـى بدأت الأحـداث تفقد وتيرتهـا الدائمة وتعلـن عن مخاض
ملاني لم يكن في الحسبان.
..أبدًا

جلسـت مسـترخيًا بين سـحبي الزرقـاء أتامل مشـهدًا مذهـلاً على
. ونيـوب لرجل تم اختراقه من فتحة شـرجه بعصا غليظة .. لا لم يكن
. شهدًا بدائيًا لإحدى القبائل الوثنية.

بل كان في أحد أقسام الشرطة بمصر .. الرجل يصرخ مستغيثًا بينما
الضابـط يواصـل دفع العصا في أحشـاء الرجـل في حين يصـور زميله
المشـهد ضاحكًا في اسـتمتاع أقل ما يقال عنه أنه سـادي؛ لأن السـادية
تتوارى خجلاً أمام ذلك العبث.

وتحدث أبي الجالس بجواري يتأمل:

- وإيه الجديد؟

- يعني اللي انت شايفه ده شيء نمطي.

سألته متعجبًا؟

- يابني مصر طول عمرها كدة من أيام الفراعنة.

نظرت له مستوضحًا.

- طـول عمر الشـعب بياخد على قفاه وقت اللـزوم من النظام ودي حاجـة عاديـة جـدًا، الراجل اللي انت شـايفه بيصرخ ده وهـي العصاية بتدخل جواه، هيبوس جزمتهم بعد كدة عشـان يسامحوه ويخرجوه من القسم، حتى لو كانت مؤخرته بتنزف دم، المصري اتعود إنه يكون بعيد قـدر الإمكان عن السـلطة لأنه عارف إنها مؤذيـة، المصرى طول عمره عارف إن السـلطة يعني جباية وضرايب وجلد بالكرباج وإعدام وهتك عرض وكل حاجة.

- معقول؟؟

نظر لي أبي بذات النظرة التي أعرفه بها قائلاً:

- المصريين كلهم عارفين إن (ضرب الحكومة مش عيب).

هل هذا يمت لموسوعة الأمراض النفسية بصلة أم إنه اختراع جديد لم يتوصل له فرويد قبل أن يموت.

لابد إنها سـادية مجمعة من أشلاء مجتمع تمزقه الازدواجية وينخر فيـه الانحـلال، الـذي يحمـل ضابطًا حافظًـا للنظـام على إجـراء هذه الجراحـة المتخصصـة في ضرب المجتمع على مؤخرتـه المتوارية هو الـذي يحمل الرجـل على انتظار خـروج العصا من شـرجه لينهار باكيًا وطالبًا الرحمة والسـماح منهم.

ذكرت الأيام الخوالي حين كنت أمسك بالسوط لأضرب نسوتي
، مؤخرتهن الرجراجة، ولكن أين أنا من تلك الموهبة الجنونية، أما
د بدا مسترخيًا هادئًا يتأمل صرخات الرجل قبل أن يقول.

عارف يا هشام، أنا لفيت الدنيا، لما طلقت أمك مكانش عشان
ا مش متوافقين ولا عشان هي أصولية وأنا منحل، لكن عشان أنا
زيك إنت.

نظرت له شذرًا، وتوقعت أن أسمع محاضرة وصاية عاهر تائب،
أمل وهو سارح.

- الشقة دي ياما شافت نسوان أشكال وألوان ومن مختلف
جنسيات كمان، ذوقي كان واسع، وكنت زي التربة مابتردش ميت،
خدامة والمومس والهانم واللي نازلة سياحة، كل المنتجات نامت
على سريري.

نظرت له مليًا، ولم أعلق فالرجل بمثابة اعتراف خطير على نفسه أما
هو فتنهد مكملاً.

- انت ياللي فاكر نفسك دكر عمرك جمعت أربع نسوان على سرير
واحد؟

..

- أنا بقى جمعتهم وكنت بخلص عليهم كلهم مرة واحدة، لحد ما
زهقت

- زهقت؟

- أيوة زهقت يابني، اوعى تفتكر أن السكس زي ما بيقولوا ف التلفزيون إنه ضرورة حيوية، والكلام الفاضي ده، السكس فعل روحاني كل ما تكتر فيه كل ما تعطش أكتر وتبقى عاوز تشرب في دايرة مفرغة زي الريسايكل كدة، إعادة تدوير لمخلفاتك نفسها طول الوقت، لحد ما تلاقي نفسك بقيت مستودع زبالة من كتر إعادة التدوير

- بس يا بابا السكس يعني حرية.

- الحرية بتكون في الاختيار مش في التعدد.

- المجتمع بتاعنا متخلف ومابيعرفش يعني إيه حرية.

- المجتمع مش متخلف يا ابني، المجتمع خايف من التعري مش لأنه عفيف، لكن لأنه قبيح ومشوه.

الثورة تندلع آكلة شوارع القاهرة والمحافظات وتلفظ القيح والصديد والخنوثة العامة الجاثمة على رئة المجتمع منذ فجر التاريخ.

لغة التواصل السهلة والمتمثلة في شبكة المعلومات العالمية تعطي نتائج مبهرة وتكشف الغطاء القذري عن عيون شباب البلد.

النيران تندلع لتصهر أقسام الشرطة والمواقع الحيوية بلا رحمة.

العالم يرصد الثورة مذهولاً، وقد استثارت مشاعرهم، وهم يرقبون ما يحدث في مصر بعيون الريفي الذي يرى فيلمًا جنسيًا لأول مرة.

نعم لقد استثارت الثورة العالم الخامل، وتابعت أعين المليارات العالم ما يحدث في ميدان التحرير، وقد انطلقت الألسنة تلعن ..بع بلا استثناء.

الشوارع ترزح تحت أغلال الخوف من انعدام الأمن والبوح بأسرار ات لأمد بعيد مقيدة بالسلاسل.

ولكن أين أبطالنا من هذا كله؟

لنضبط العدسات على الاقتراب أكثر متجاوزين الهرج العام لنبحث عن.

هشام.

... تمطعت في حوض الاستحمام الدافئ أتنعم بكل هذا الاسترخاء الذي يولده غمر أجسادنا بالماء، درجة الحرارة مضبوطة على سبعة وثلاثين، وكأنني أتمرغ على لحم بشري طازج ومشوب بالنعومة والخدمة.

دخان الحشيش يعبئ صدري وأبخرة الكحول تلعب في معدتي الهيئة الإحماء، أغمض عيني لأخرج من ذهول الزمن وأطرد كل أفكاري البطولة مؤقتًا فلا مجتمع ولا بشر أنا فقط ومعي مزاجي واسترخائي ونشوتي الباطنية.

دام الغوص في الدفء لنصف ساعة وخف تأثير الحشيش المغربي عن رأسي الدوار في هلام المتعة.

وهممت بالقيام عن الحوض عازمًا الخروج من حمامي.

شيء ما يجعلني لا أقوى على القيام وعضلاتي لا تستجيب لنهوضي من الماء وكأن لها إرادة أخرى غير إرادتي أو كأن شيئًا يعاكس رغبتي في الخروج من الماء الذي أضحى فاترًا، ثمة حكة تشوب جسدي اعتقدت إنها بسبب برودة الماء.

اعترتني حيرة لحظية قبل أن أهبّ واقفًا داخل الحوض.

أنزلت قدمي اليمنى للأرض تتبعها اليسرى في تثاقل.

ومددت يدي لأنزع السدادة عن مكانها ليتسرب الماء عبر نظام الصرف، ولكني لاحظت أن الماء لا يتسرب أو إنه بطيء التسرب جدًا، وكان شيئًا يعوق سيرانه.

مددت يدي لتحت الماء أبحث عن مكان البالوعة الداخلية.

بالفعل توجد كتلة تمنع التسرب والسريان.

كتلة من الشعر المتلاحم.

شعر أسود بدا كقطنة سوداء متشابكة من الشعيرات القصيرة.

من أين جاء هذا الشعر؟؟

وحانت مني التفاتة للمرآة المعلقة أعلى حوض غسيل الوجه.

ثمه شيء غريب لا أتبينه بسبب البخار المتكاثف من ماء استحمامي الدافئ على السطح المصقول.

مسحت بيدي على المرآة.

نظرت جيدًا إلى نفسي.

ولكني لم أرني.

لو رأيت شخصًا آخرَ يشبهني.

اقترب أكثر وعبر مساحة من الانعكاس رأيت .. رأيت.

٦||||||||||||||||||||||||||||

هكذا انطلقت صرخة مكتومة مصدومة من حلقي.

....

تقلب (كمال) على فراشه في شقة صديقه المخرج.

الساعة تقترب من الثالثة صباحًا.

مد يده بحثًا عن رفيقه الذي أمضى معه سهرة بألوان قوس قزح كلها.

لم يجده.

قلب عينه الناعسة بحثًا عنه في أرجاء غرفة النوم.

ثم انصدمت عيناه بشخص واقف أمام الفراش تمامًا.

متصلب عاري ينظر له بخواء ويزوم كقط غاضب في صمت.

اعتدل كمال بقامته الرياضية لينظر له متعجبًا من وقفته المتجمدة.

وقبل أن ينبس بحرف وجد ذلك الفارسي - والذي تعرف عليه عبر رفيقه وقواده الخاص- يرفع سكينًا رفيعة جدًا أشبه بأسياخ الشواء في يده.

وقبل أن يتخذ أي رد للفعل كان ذلك الشاب الفارسي يندفع بتلك السكين الرفيعة ويغرسها بكل قوة في صدر كمال لتخرج من ظهره،

تلوح ابتسـامة شرسـة من الفارسي، وهو يتأكد بأن تلك السكين الرفيعة قد خيطت كمال تمامًا، ثم عاد ليقف في موضعه وكأنه منوم مغناطيسيًا، ثم تراجع لباب الغرفة خارجًا لا يلوي على شيء.

الذهـول والألـم الرهيب والصدمـة تعتري كمال بـكل جنون، وهو ينظر لذلك السيخ اللامع والذي ثقب قفصه الصدري كأنه إبرة اخترقت القماش الثقيل من وجهه لظهره.

زفر عاليًا ليجد أن الدم يخرج من أنفه وعبثًا حاول جاهدًا رفع هاتفه المحمول ليطلب صديقه المخرج.

...

كانت (سـلوى) تتمشى بحديقة ذلك القصر خارجة لتوها من سهرة عميقـة بصحبة صديقة أخرى تماثلها في العمر والأهواء أكنت سـلوى قـد اعتادت علـى قضاء تلك السـهرات بعيـدًا عن بيتها الـذي يقطن به عشيقها مدرب التمنية البشرية.

البـرودة المحببة تعتريها، وهي تجتر آثار تلك السـهرة الحمراء التي قضتها بصحبة أحد الشـبان الملتهبين والذي بدا كامل الفحولة ومرضٍ جدًّا لذوقها كانت تفضل وجه أمجد وجسده، ولكن كهفها كانت يطلب جثـًا جديـدة ولحمًا طازجًا لا يوفـره حبيبها ذو الوجـه الذنبي، والذي يعشـق فقط الأقدام وكيف للأقدام أن تسـتعير دور أعضاء أخرى أولى بالرعايـة والتقبيل.. لتلعنك شـياطين الجحيم يا أمجد وتلعن شـذوذك الـذي اسـتحكم مـع دفقـات بـودرة الهيروين كل هـذه الأفـكار كانت

دها وهي تمشي في ممرات الحديقة ماسكة بكأس من الفودكا جارة رفيعة في ثغرها حين.. حين.

حين شعرت بلدغة في ساقها العارية .. لدغه مؤلمة وخذة لجهازها همجي.

برطمت بلكنة فرنسية، وجلست على سور منخفض لتتبين آثار تلك الدغة.

فوجدت بقعة حمراء في منتصف فخذها الأيسر.

كأنها جمرة تشع بالألم والاحمرار وسط لحم فخذها الأبيض طري.

تحسست على تلك البشرة بعصبية كبيرة، ثم انطلقت تهرش فيها منف بينما الحكة تمتد عبر كل ساقها بجنون، وكأن الحكة المسببة لحساسية بقعة حبر تنتشر عبر الماء.

حتى كادت تمزق لحم ساقها.

تابعت جنا أحداث الثورة عبر القناة الخامسة الفرنسية في قلب العاصمة باريس. تحسست شعر ديفيد وعبثت بوجهه فرفع نهبا الأخير عينه، وابتسم وهو يتكئ عاريًا على إحدى الوسائد، وحدقت في الشاشات لقطات من الثوار الذين يفترشون الأرض بينما يهتف أحد الفنانين بأن الثوار يضاجعون بعضهم البعض في العراء في ميدان التحرير.

ابتسمت جنا وهي تتصور أن هؤلاء الشباب يمارسون الحب والحميمية بعد انتهائهم من المظاهرات بكل عنف وتجمع وحانت منها التفاته للرجل السبعيني قائلة:

- سكس في خيمة مع شاب خشن في ميدان التحرير؟؟ قالتها بإغواء.

ليرد ديفيد بكل إثارة:

- تعالى نجرب نعمل خيمة هنا ونقلدهم.

قامت من فورها ونزعت إحدى المفارش المزركشة ورقصت به عارية ومخمورة أمام شاشة التلفزيون، وهي تتخيل نفسها بين قدمي أحد الثوار الخشنين تستجدي منه مضاجعه، بينما الثائر ينظر لها بقرف ورفض وهي تستجديه مرارًا وتكرارًا هكذا التهب خيالها وهي ترقص وتتلوى بفعل الخمر والخيال المتموج بالرغبة الحقيقية لها، والرجل السبعيني يتابعها بتركيز وابتسامة لا تفارق شفتيه حتى .. حتى..

حتى تعثرت قدماها عنوة، وسقطت بعنف أرضًا لتتلقاها زجاجة نبيذ معتقة مستدقة العنق وتخترق إحدى عينيها مفجرة المقلة وسط صرخة ارتياع هائلة من حلقها.

نعم ماتت العين منفجرة، ولكن بقيت الجميلة على قيد الحياة تتأمل.. صورتها في المرآة.

فى سطر الهيرويـن الثاني داخل أنف أمجـد ليذوب في مخاطه
ل لـه وابلاً من المتعـة الحارقة، وهو يقبل قدمـي الدكتورة نهال،
انت من أشد المتابعين له حماسًا، وهي سيدة خمسينية أشهرت
ما قبـل سـنوات وعرف أمجـد أن يوقعها فـي حبائلـه الهروينية،
مها بممارسة آمنة في عيادتها في حي سموحة بالإسكندرية.

الذهول الممزوج بالشـحنة الجنسية الهائلة تعتري أمجد، وهو يحل
لته من سـرواله، جالسًـا علـى الأرض بينما الطبيبة تمد له سـاقيها
ماحكـه في عهر واسـتغراب لفعلـه، فالاثنان كانا بكامل ملابسـهما
ا اشترط أمجد.

العيادة غارقة في الصمت بعد انتهاء دوامها الطبيعي.

وفي الخارج حيث الظلام والبرودة.

ثمه شـابان يتحركان فـي تلصص واضح ويتقربان مـن نافذة مضاءة
رفة الكشف والتي تختلي فيها الطبيبة بمدرب التنمية البشرية.

يقتربان من النافذة، ويراقبان هذا المشهد الشاذ بين أمجد و.... بين
هم الطبيبة

الديموقراطية الشرقية أتت بتيار ديني وعصفت بأحلام الجميع وبدا
 السـماء مصرة على معاقبة الجميع واندا حت السـجون بصديد رجال
دولـة العميقـة يقطنـون زنازينها، بينمـا يتربع أصحـاب الحلم الديني
لى سـدة الحكم في مصر وسـط ارتياع هائل من شـعب الشارع الذي
صور أنه اسـتبدل القهر البوليسـي بقهر أكبر منه اسـمه الحكم الديني،

وبـدا الرئيـس الجديد في القنوات التلفزيونيـة يلوح بإصبعه الغليظة في وجه المجتمع مهددًا ومتوعدًا، وتصور الناس أنهم سيعيشون للأبد في معتقـل كبير مترامى الأطراف، بينمـا الدولة العميقة تفكر وتحلل وتفند ما يحدث بهدوء من يجلس على مقعد في مصحة ويمارس استرخاء النقاهة.

رحل الفرعون الرب سنوسـرت الثالث للغرب، لاعنًا البلاد والعباد فيمـا اسـتفحل نفوذ الكهنـة المداهنـون للملكـة وأحلامها برفـع ابنها هـي على العرش خلفًا للفرعـون العظيم، وفرضت الكثيـر والكثير من إجـراءات التصفيـة، والاسـتحواذ علـى الثـروات مـن رجـال البلاط. أمنمحـات الثالـث الفرعـون الابن مـازال يواصل حملاتـه على حدود المملكـة الربانيـة لحمايتها مـن المغيرين في حين أن شـوارع العاصمة المرصوفـة تفوح برائحة بخور الكهنة والطقـوس الجديدة للتقرب من رئيس الآلهـة آمـون، والـذي كان قد تـوارى في ظـل ربوبيـة الفرعون العاشـق سنوسـرت، والذي مات كمدًا على تمزيق عشـيقته لينة العظام الرقيقـة الرائعـة (خونو) الأخـت الشـقيقة لحاكم إقليم الغـلال بمصر الوسطى.

كان الجسـد الأملس والوجه الأملس يراقبني عبر المرآة في حمامي الخاص.

لقد ذهب شعر جسدي بالكامل فلا توزيع ولا كثافة ولا رجولة ... أفتخر بها.

نعم لقد غادرتني المظاهر الثانوية الجنسية لجسدي الرجولي، وحل محلها جسد أملس، بل زاد عليه أن تدلى ثديان غريبا الشكل، يحتلان ا جهة صدري، ويترجرجان مع كل حركة، نعم لقد تكور صدري ثديين أقرب للفتاة المراهقة، بل يزيدان حجمًا عنها.

أين ذهبت رجولتي؟؟

لقد ذابت مع مياه استحمامي، وذهبت بلا رجعة في البالوعة، وها أنا أقف كامرأة اغتسلت لتوها من الحيض.

الغريب أنني لا أشعر بأي ألم أو تعب جسماني، فقط أجد نفسي أملسَ تمامًا كأنني عروس خرجت لتوها من حمام البخار.

هكذا تابع بطلنا هشام صورته في المرآة متجمدًا غير قادر على الإتيان بأي حركة، قد تتحرك على إثرها أردافه وثدياه الجدد.

يا لها من لعنة....

جرس الباب يدق.

لا لن أستقبل أحدًا، ولن أفعل أبدًا.

لن أحتمل أن يراني الناس مفقود الرجولة التي كنت أتيه بها فخرًا ونشوة.

اقتربت من الباب لأرى عبر العين السحرية آخر شخص كنت أتوقع زيارته.

إنه أبي.

كيف عرف عنواني؟ من دله؟

ولماذا يأتيني عنوة؟ هل سيمارس عليّ حقًّا انتزعه بنفسه قبل عقدين من الزمن.

مالي أنا بصحوته هذا الأحمق؟ ليأخذ أسرتي لو كان يفتقد الأبوة.

ولكن أنا .. يطفيني ما أنا فيه من، أنا في كارثة بطل المقاييس.

أفكر جيدًا في الانتحار، لا أريد نظرات تلسعني في جلدي الأملس وأثدائي المتدلية

لن أستجيب.

لن أفتح الباب أبدًا.

في صمت المترقب، انتظر الشابان أمجد حتى ينتهي من أمهما داخل عيادتها وقد أيقنا أن الفتك بآلام صعب على قلبيهما فهي مهما كانت أمهم ولا يقدران أبدًا على حز ولو خربشة بسيطة في جسدها وصبا جام غضبهما ورفضهما على مدرب التنمية البشرية الكافر والذي لابد.. لابد من أنه هو صاحب الغواية وإليه ينسب كل تبدبل طرأ على الأم منذ أن طلبت خلع أبيهما رجل الأعمال المتدين وتفضيلها البقاء وحدها، وأعلنت إلحادها وخلعها للحجاب بعد سنوات من القهر عاشتها في ظل أبيهما وأنتجت منه ابنيها عصام ومهند.

امجـد يواصـل تقبيل قـدم الطبيبة، ويعتصر نفسـه غائمًا في سـطوة.
..رـين حتى انتهى أخيرًا من نفسه، وقام عن موقعه أسفل قدم الطبيبة
.. كانت ترمقه في شـغف، وتتمناه رجـلاً حقيقيًا، ولكنـه ابتعد عنها
احـذ يعـدل من هندامـه بعدما أنهى دورتـه الحيوية فـي تلويث أرض
حجرة بسوائله.

هكـذا أنهى أمجد شـهوته دون أن يلمس الطبيبـة المكتنزة، دون أن
يلها. دون أن يقترب من أي جزء فيها سـوى قدميها، يا لها من سـطوة
عجيبة تتجلى فيها كم العقد النفسـية وتحيل الإنسـان بلا شك إلى دمية
في يد طفل مجنون.

تحرك أمجد خارجًا من العيادة.

الظـلام يكسـو الموجـودات باللـون الأزرق ودرجـات الحـرارة
المنخفضة تعلن عن غمام شفاف يلف الجو في الإسكندرية.

يخـرج أمجد من العيادة، ويتجه من فوره إلى مكان سـيارته ليتفاجأ
بشـابين في العشـرينات أحدهما بلحية خفيفة مرسـومة، والآخر بلحية
كثيفة مشـعثة، يرتبك أمجد في اقترابهم منه، ويحاول أن يدخل بسـرعة
إلى سـيارته، ولكنهما يسـبقانه ويحولان دون ولوجه لسيارته، وقبل أن
يتفـوه أمجـد بكلمة، يكمـم صاحب اللحيـة الخفيفة والـذي بدا أصغر
عمرًا فمه لاويًا ذراعه خلف ظهره بيد، وضاغطًا بيده الأخرى على فمه،
بينما يسـارع الآخر في تكبيل يده وشدها لليد الأخرى خلف ظهره، ثم
يستل سـكينًا ويتجمـد للحظـة، وهو ينظر فـي عيون أمجـد بكل مقت
وكراهيـة بينما أمجد نفسـه ينظر لـه بنصف وعي بسـبب تأثير الهيروين

القابع في تلافيف مخه قبل أن يبدأ المتلحي عمله في جسد مدرب التمنية البشرية.

...

انفقأت العين اليمنى للرائعة جنا في مشهد أقل ما يوصف بالبشاعة، وقد هرع ديفيد مفزوعًا للهاتف ليطلب الإسعاف، بينما غابت الفتاة الكونية في متاهة الغيبوبة والصدمة لينقلها ديفيد إلى المستشفى القريب ويخبره الأطباء بأن عين الفتاة ذهبت بلا رجعة، وأنهم مضطرون لتركيب عين صناعية حتى لا يندثر تجويف العين نفسه تمامًا بعد اقتلاع العين المفقودة من محجرها كانت جنا دومًا في غيبوبة لا تخرج منها إلا لتصرخ، ثم تدخل بعدها في غيبوبة أخرى، إثر حقنها بالكثير من المهدئات والمسكنات لتخرج من المستشفى بعين زجاجية جاحظة، وتذهب من فورها للمطار متوجهة لقلب القاهرة الملغوم بالتوتر والرفض وقد تغير فيها كل شيء.

راقب الطبيب المناوب في مستشفى (السجن) مؤشرات الأجهزة الموصولة لجسد كمال الذي راح هو أيضًا في غيبوبة عميقة إثر ذلك الثقب في رئته اليسرى فقد انتقل كمال بعد اكتشاف إصابته على يد عشيقه الفارسي إلى المستشفى المجاور للقرية السياحية بالساحل الشمالي، وبعد إجراء إسعافات مكثفة انتقل بعدها إلى مستشفى السجن بعد أن سبقه أبوه وأخوه إلى السجن نفسه إثر الثورة العارمة

ـد كل رجال الدولة العميقة؛ ليفيق كمال جزئيًا وهو محاط بحراسة
ـلمة في مستشفى تابعه لسجن طرة العمومي.

ابتلع ريقه في صعوبة، وهو يسأل من حوله في حيرة وإنهاك حقيقي.

فين ماما؟

...

(أنا الهانم)

طبعًا لا أحتاج أبدًا لتعريفكم بنفسي؛ لأنني شهيرة بما يكفي.

زوجة لواحد من كبار المسؤولين في تلك الدولة الحارة المليئة بالرفاهية والتي تسمى مصر، أترأس عدة مناصب تخص المرأة، وما إلى ذلك من تلك المهام والمناصب التي يجب أن تعمل بها زوجة سياسي كبير، وإن كنت أنا فقط من يحرك زوجي الكسول لكل قرار وإجراء.

وأم أيضًا لرجلين من زينة رجال مجتمع الكريمة في مصر، بل إن ابني الأكبر يستحوذ اقتصاديًا على علامات تجارية ضخمة وابني الأصغر أعده ليكون خلفًا لوالده رئيس مؤسسة ضخمة في مصر.

عرفت معنى السلطة أكثر منهم، وذقت حلاوة أن تَأمُر فتُطاع.

أصلي أجنبي وعلاقاتي الدولية مثار تعجب الزعماء نفسهم.

صديقاتي قليلات انتقيهم بعناية

أعرف أنني خُلقت لأكون ملكة وأدخل التاريخ كشجرة الدر.

ولكن الأمر يحتاج إلى تخطيط ذاتي ومدعوم بالسلطة والقوة اللازمة.

وليكن الحظ حليفي وإلا سأطلق عليه حتمًا ... الرصاص.

......

لابد أنها لدغة من حشرة نادرة الوجود في مصر.

صاح الطبيب وهو يرقب ساق السيدة سلوى التي تضخمت وتغضنت وأصبحت تعلوها كيلو جرامات من التدرن القبيح، وباتت أضخم من الأخرى أضعافًا بينما سلوى لا تكف عن البكاء القهري وهي تراقب ساقها التي أصبحت جذعًا شجريًا عجوزًا!.. إنه مرض ساق الفيل النادر الحدوث في مصر، وقد أصيبت به سلوى، وتطور لدرجة رهيبة من الخطورة حتى إن الطبيب جزمَ ببتر هذه الساق حتى لا تنتشر تلك الخلايا السرطانية المشوهة لباقي الجسد المكتنز لسلوى .. ذلك الجسد الذي لاقى من اهتمام سلوى ورعايتها ما يكفل عائلات من الفقراء بات كأنه تغضنًا فضائيًا جديرًا بأفلام الرعب الرخيصة، وسلوى تراقب بحسرة ما بعدها حسرة ما حدث إثر لدغة حشرة حقيرة لتحول حياة سلوى إلى كابوس لا يمكن الاستفاقة منه مهما حاولت

- ده خلل هرموني واضح عجيب يا باشمهندس.

هكذا صرح طبيب الهرمونات الشهير في كشفه على جسد هشام الأملس والآخذ في الاستواء، وكأنه امرأة كاملة بثدييه الآخذين في

امو غير العادي، وسأله الطبيب إن كان يأخذ علاجًا للهرمونات قبل
ك، فنفى هشام بصمت وسكينة.

الآن يا هشام قد فقدت رجولتك وتحول جسدك لمثار سخرية
امر نفسه، فذهبت عنك الرجولة بشعيراتها الواثقة، وحل محلها
خاوة وملوسة تجعلانك فعلاً تمارس التوحد الجبري، والذي كنت
اخترته سلفًا لتتفرغ لسري وإشباع زهورك الذكورية. لا بد أنه انتقام
سماوي بعد كل ما فعلته بنفسك أيها البائس المنحل. صوتٌ داخليّ
يحطمه باستمرار، ويأخذ في تقريعه بلا رحمة.

أحقر مومس من الشارع لن ترضى بمضاجعتك بعد الآن يا فارس
غرفة النوم ويا صانع السادية من الآن لك فقط أن تمرر يديك الناعمتين
على جسدك الأملس وقد يتطور الأمر ليسقط عضوك الذكري ويحل
محله .... لا لا لابد أنه حلم وسأفيق منه أكيد، هكذا صاح هشام داخل
نفسه.

كتب الطبيب علاجًا.

أسماء أدوية تخص التوازن الهرموني بعدما فقد صاحبنا (تستسترونه)
عنوة.

لقد أوضح الطبيب أن الموضوع صعب وعجيب، ولا بد من السفر
خارجًا لطلب علاج أكثر فاعلية.

وتقوقع هشام بمعبده رافضًا الظهور تمامًا بعدما استفحلت
الإصابة، وبترت رجولته عنوة ليتحول بعدها لكائن متحول لن يجدي

معه نفعًا أيَّ شيء. كان لا يرد على المكالمات ولا يتواصل، بل يمعن في الاختفاء والحسرة.

حتى أسرته نفسها تعمد الابتعاد عنها.

بأي وجه يقابل زوجته التي تمنع عليها طويلاً؟؟

بأي جسد يقابل أبيه وحماته؟

بأي شكل يقابل المجتمع؟

لقد ضعت تمامًا يا هشام، ويا له من ضياع.

حاول الطبيب تخفيف الأمر عنه، وقال إنه لا بد أن الخلل الهرموني وراء تلك المظاهر الأنثوية التي تعتري جسده، وأنه مع الوقت والعلاج (قد) يستعيد هشام بعضًا من مظاهره الجنسية الثانوية، وإن أبدى الطبيب حيرته في كيفية ذلك التحول العجيب في جسد رجل اشتهر بالفحولة والعنفوان، لا بد أن القدر يلعب لعبة في غاية التعقيد، أو كأنها سحر، أو ربما لعنة سوداء أصابته في مقتل.

.. لم يكن الأسطى (رضا عبد العال) ممن يثقون في النا خصوصًا وهو يسمع عبارات السباب التي تصاحب سيرة رجال الـ الجدد فكان لا بد له من تأمين نفسه وتجارته جيدًا من العبث والحقد وخصوصًا أنه اشتهر بانتمائه للإخوان المسلمين والذين تقلدوا بالفعل مراسم الحكم، وبات يكثف من حراسة معرضه الضخم والذي يعرض

.. ه كافة أنواع الدراجات النارية والتكاتك في قلب القاهرة في أشهر .. بائها الشعبية.

لم يعرف أن هؤلاء الحرس أنفسهم من كارهي الحكم الجديد، أنهم من تسبب في ذلك الحريق الضخم الذي اجتاح معرضه وحوله لراب ورماد بعد ساعات من الاشتعال المتواصل؛ ليفقد رضا أصل رأسماله ويزيد عليه ضغط الديون بما لا يقاس ولا يطاق.

حاول بجهد كبير أن يحصل على أي تمويل يعيد له معرضه الضائع، وتلقى وعودًا مؤكدة لم تنفذ أبدًا.

وانتهى بفضيحة كبرى إثر تداول الإنترنت لقاءه مع عشيقته الراقصة (سماح) في شقة شارع شريف؛ لتنهار الأسرة كلها وتعاني الأمرين من الاضطهاد والفضيحة، وليتعزل رضا تمامًا في شقة صغيرة بعيدًا عن أهل الحي الذي يقطن فيه، وتنزل الستارة على آخر مشهد، وقد علق نفسه بحبل موصول بالسقف.

لقد شنق نفسه بعد سبق إصرار وترصد..

أمجد يتقلب في فراشه بالمستشفى الميري بالإسكندرية، ويدخل إلى وعيه فجأة ليستيقظ فاتحًا عينه يرمق سقف المستشفى الأبيض يحاول الحركة ولكنه لا يستطيع، يهاجمه الألم عاتيًا فيتنفس بصعوبة كبيرة لتهرع إليه الممرضة البدينة وتحقنه بمسكن آخر حتى لا يتحرك.

فقد وجده المارة ملقًى على الطريق، مبتور الساعد الأيسر والساق اليمنى، ينزف بغزارة شديدة، وتم نقله للمستشفى الميري حيث ثم عمل الإسعافات الأولية لوقف نزيف البتر العدواني الرهيب.

بمشية المتبختر، اجتاز ياسين مدخل عمارته والقاطن بها زوجتاه الطفلة والساحرة، دلف للشقة الساكنة بهدوء.

كان ينوي التخلص من فوزية، لقد آن أوان الطلاق، أما البنت الصغيرة فينوي الاحتفاظ بيها لغرض الميراث الذي تحتكره العروس الطفلة، فوزية تنافسه فيها بضرواة، وأصبحت تجاهر برغبتها فيها وتصده هو عنها، من العجيب أنه لم يقاوم فوزية، أو لم يقدر على إبداء رفضه، فوزية شرسة كالضباع وشذ.وذها يندرج تحت شراستها كبند إضافيّ، أصبح لا يطيق ولا يتحمل، يلعب عدة أدوار في نفس الوقت.

شيخ وقور، معالج روحاني، ساحر، وزوج مبتور لزوجة قاسية تلعب دوره في فراشه.

ثمة هسيس يخرج من غرفة نوم الزوجة الطفلة.

غلت المياه في شرايينه.

اتجه للمطبخ.

أخرج سكينًا كبيرة.

لابد أن يقتل تلك الداعرة في صورة رجل، لقد أعمى الغضب عينيه.

عينيه التي شاهدت رجلاً آخر في غرفة نومه.

مع زوجتيه.

الاثنتان في فراش واحد مع قريبه ومساعده.

يتضاجعون كحيوانات في الظلام.

لقد كان هذا فوق فوق فوق احتماله.

رفع سكينة، ونزل بها غارسًا بذور الكراهية والرفض.

لقد ضاع مستقبلك يا ياسين.

بلا ثمن.

في زنزانة مجمعة يجلس سعد الدين حلاوة إلى جوار رؤوف عزمي وباقي شلة الصفوة من رجال مصر يتداولون الأمر بينهم.

كان الضيق الشديد يعتري سعدًا ليس من الجدران أو السجن ولكن لأن محبسه -الذي يدرك أنه مؤقت - مع رجال الدولة العجائز أصحاب السحنة غير المثيرة على الإطلاق، وإن كان يفضل الحبس مع بعض الشباب لما كان يسمعه من المضاجعة الفورية لكل من يأتي جديدًا عليهم، أما هؤلاء العجائز فلا ناقة منهم ولا جمل في عوامل الإثارة التي يتوقعها، كذلك اعتراه الحزن العميق حينما شاهد ابنته الجميلة جنا بعين واحدة بعد إصابتها في باريس، واعتراه اكتئاب حاد لا يعرف مصدره، وبدت الحياة بدون كأس الويسكي والتدليك اليومي من سيده المفتول العضلات، وتلك الرخاوة العامة للحياة الرغدة باتت في طي الماضي، ولكنه يؤمن تمامًا بأن هذا كله سيصبح ماضيًا أيضًا،

وأنها مسألة وقت .. هكذا كان يسمع من حلفائه وزملاء زنزانته، بأن الجيش لن يتركهم، وأن القضاء في صفهم وأن القضايا المنسوبة لهم بها من الثقوب ما يحولها لشبكة يصطادون بها السمك، وأن العمل على إخراجهم مرة أخرى للحياة ماثل على قدم وساق. وأن الهانم لن تسكت على ذلك، بينما أخو كمال وأبوه كانا في منتهى الحزن على كمال نفسه الذي يرقد في مستشفى السجن بين الحياة والموت.

...

المكان

فيلا منعزلة في القاهرة الجديدة حيث تقطن (الهانم) الآن مع بعض خدمها وحراسها، تتابع بغير ملل ما يحدث على الساحة السياسية، وتفند بعقل واعٍ وقوة لا يملكها الرجال ما يحدث، وأخذ عقلها يستعرض ما يحدث في سرعة وقوة.

كيف انهار كل شيء فجأة، وهي من كان يخطط لأشياء كثيرة.

منها أن يجلس كمال بعد إتمام زواجه من جنا مكان أبيه في موقع من أهم مواقع السلطة.

كيف دخل ابنها وزوجها السجن إرضاءً للحشود الغاضبة في ميدان التحرير، وغيره من الميادين؟ كيف وجدوا ابنها الأعز غارقًا في نزيفه في منزل المخرج الشاذ؟

كيف تغيرت السياسة لتكشف عن وجه الغواني، وتطيح بأكبر رؤوس كانت تحسبها من فرط الثقة خالدة؟

لقد أُنزِل الفرعون الأكبر حسني مبارك عن عرشه.

وتبعه رجال الحاشية والبلاط.

ومنهم زوجها وابناها.

لقد كانت تتصور نفسها ملكة وسيدة أولى..

وتحلم بامتطاء عرش ليس لها.

كانت تحكم فعليًا مؤسسة اقتصادية ضخمة من وراء زوجها.

لقد ذهب كل شيء في البالوعة.

لكن صبرًا فأنتم لا تعرفون من هي (الهانم)

الجميع يظن أنها وحيدة دامعة العينين.

ولكن هيهات، فأصلها الأجنبي ذو العين الزرقاء، يورثها صلابة ما بعدها صلابة.

حتى إنها في زيارتها لابنها كمال لم تعطه حنانها ولا دموعها المفجوعة عليه، ولكنها وبّخته بشدة على فعله الشاذ غير الآمن، وكادت أن تصفعه وهو بعد راقد بين الحياة والموت، بل وتوعدت ذلك المخرج القواد بالويل.

حتى زيارتها لزوجها وابنها الأكبر كانت في منتهى الصلابة، والثبات الانفعالي.

من أي معدن صنعت هذه السيدة الفولاذية؟ وكيف ستدبر الأمر؟

عرفت فقط أنها تحتاج لوقت حتى تعيد ترتيب أوراقها وخططها.

إلى أن تلقت مكالمة من صديقها ديفيد سمعان.

مكالمة في منتهى الغرابة.

مكالمة استدعت أن تزور سجن طرة لواحد فقط.

زيارة خاصة جدًّا لسعد الدين حلاوة نزيل طرة السياسي الأملس.

تُرى لماذا؟

...

استمع ديفيد إلى جاكوب إدموند عالم المصريات العتيد، وشعر بأن الأمر يوحي بشيء أسطوري لا يمت للواقع بصلة.

جاكوب يؤكد أن التابوت محمل بلعنة تخص البلاط الملكي بالذات ويدعو فيها سنوسرت إلى تدمير القادة والأمراء في بلاده؛ لأنهم هم من تسببوا في بخع عشيقته خونو التي أحبها بجنون، وأن اللعنة سوف تصيب الحكم في مقتل، وأن تماثيل الأوشباتي كانت لصد اللعنة، ومنعها من الخروج من قلب الصخر.

لعنة مفادها أن لا بد وأن يدفع الثمن كل قائد وكل أمير وكل رجل في البلاط الملكي.

لعنة استخدم فيها كهنة الفرعون الرب السحر الأسود المرتبط بمواقع النجوم والكواكب، وأن هذه التماثيل الصغيرة كانت منحوتة خصيصًا لطمس معالم تلك اللعنة.

وبمجرد خروج التابوت عاريًا بدون هذه التماثيل، بدأت اللعنة عملها بعد تفعيلها بخروج التابوت نفسه من قلب الصخور.

بدا الأمر سخيفًا جدًا للسيد ديفيد إلى أن استرجع إصابة جنا أمامه في إحدى عينيها.

صناعة وتزامن عجيب.

ولكن جنا ليست من القادة أو الأمراء.

ولكن إصرار جاكوب إدموند وحجته بأن اللعنة لا بد أن تصيب كل من تعامل مع التابوت بشكل مباشر عوضًا عن اللعنة الكبرى في الاجتراء على إخراج هذا التابوت من الصخور لا بد أن يصيب البلاد كلها بالتدريج، والخطورة كلها تكمن في الإطاحة برجال السلطة، ومن ورائهم رجال الجيش.

قلّب ديفيد الكلام في رأسه، ثم أجرى عدة مكالمات مع أعلى مستوى ثم استشار بعضًا من صفوة السحرة اليهود (سحر الكابالا) الذين أكدو أن اللعنة من الممكن أن تكون مفعلة الآن، وأن ما يحدث في مصر خير دليل خصوصًا أن تشابه الأحداث التاريخية مع استحواذ الكهنة على الحكم مع ابن الملكة الضعيف الشخصية بعد موت سنوسرت نفسه، وحالة الهرج والمرج التي تسود مصر واستحواذ الإخوان المسلمين على الحكم مشابه لدرجة دراماتيكيه عجيبة.

كان الموضوع برمته يوحي بأسطورية وروحانية بعيده عن الواقع، خصوصًا وأن الثورة المصرية لم تكن منفردة، بل سبقها ولحقتها ثورات عدة في مختلف البلدان العربية، وإلا فعلاً كانت نظرية لعنة التابوت جاهزة للتصديق، ولكن جاكوب إدموند جاء بإجابة شبه مقنعة تقول أن القبائل حول المملكة الفرعونية القديمة كانت تزخر بالثورات،

والخلافات العميقة، لكن لم تتأثر مصر بهذه العواصف نظرًا لتماسك الدولة الفرعونية وأيضًا لطبيعة الشخصية المصرية نفسها المحبة للغرس والزرع والاستقرار مهما كان الحاكم مستبدًّا أو ظالمًا.

بدا المنطق يقترب من التماسك لدى ديفيد الذي كان من أشد المتابعين لتوابع الثورة المصرية، ويحسبة بسيطة لو استبدلنا الإخوان المسلمين بالكهنة لكان الأمر أقرب للتكرار إلى أن وضح جاكوب إدموند الموضوع قائلاً: لا يمكن استبدال الكهنة بالإخوان؛ لأن الكهنة هو أصل اليهود وهم ما كانوا يديرون الموضوع من وراء الستار، ولكن من الممكن استبدال الإخوان المسلمين بالقبائل المغيرة نفسها والتي كانت سببًا أساسيًّا في زعزعة نظام الحكم إبان موت الملك سنوسرت وانشغال ابنه أمنمحات الثالث بتأمين حدود المملكة الفرعونية التي تركها أبوه الغاضب على البلاط ورجاله، وإلا كانت اللعنة أصابت الكهنة أيضًا، ثم عدل رأيه قائلاً بأن الكهنة الذين استحوذوا على الحكم كان غير الكهنة الأصليين الذين رسموا اللعنة وربما أن التشابه صحيح.

بدا الأمر متشابكًا وجديرًا بالاهتمام وشاركه الاهتمام شخصيات عربية ثقيلة الوزن خصوصًا في الخليج العربي الذين يرون أن حكم طائفة نفعية ودينية مثل الإخوان المسلمين تمثل خطرًا داهمًا على استقرارهم السياسي، وبأن النظام القديم كان السوار الذي يقيد معصم الحكم الديني، ويقيهم من ويلاته.

بل إن إحدى الشخصيات العربية أرسل مندوبًا رفيع المستوى لتقصي الحقائق حول الموضوع، وطبعًا كانت الهانم أول من استقبل

الك المندوب المفعم برائحة العود الخليجي، وبعدها كانت الهانم في جلستها مع سعد الدين حلاوة في زيارة سرية لسجن طرة.

- عاوزاك تقوللي مين بالظبط اللي كان مشرف على بعثة الحفر يا سعد؟

نظر لها حلاوة بدهشة من السؤال؛ لأن ظن أن الأمر أهم من ذلك.

ولكنه أجابها بكل خنوع.

طليقتي سلوى ورفيقها وولد مهندس اسمه هشام هو اللي قام بتغطية العمليتين، وواحد مثمن اسمه رضا، وشيخ طريقة اسمه ياسين.

بس هما دول؟

- اه ناس تانية بس معرفهومش يا هانم بمعرفة شخصية.

نظرت له الهانم بتركيز قبل أن تقوم من جلستها معلنة انتهاء الزيارة لكن سعد حاول بكل استماتة استيضاحها، لكنها التزمت الصمت بكل حزم.

الحيرة والتخبط يملآن عقلي بلا رحمة.

أعيش كمصاص دماء.

لا أخرج أبدًا من كهفي.

أعانق الحشيش والخمر في لقاء ثلاثي.

تنتابني موجات من اليأس المصحوب بالنحيب.

لا أقدر أبدًا على مواجهة حالي، بل إن العجز يدب في أرجاء جسدي الذي أصبح لينًا.

ماذا أفعل؟

تلقت فوزية والرجل الطعنات بصدر عارٍ.

كان الموقف لا يحتمل تأجيل، فقد نفذ الحكم في الحال.

كانت الزوجة الطفلة في شبه غيبوبة، وكأنها مخدرة تنظر لما فعله ياسين بعيون زجاجية.

الدم ينز من الذبيحتين على عتبات الشيطان.

قريبه ومساعده ومن كان يحمل له الحقيبة.

والساحرة الأروبة راعية الشياطين.

ياسين ينفخ النار من منخريه ويخور بهياج.

ثم يستكين.

ويقع السكين من يده.

يجثو على ركبتيه، وقد أدرك أنه انتهى للأبد.

يلمع في عين البنت الذاهلة ثمة بريق.

تقبض على السكين بيدها.

ترفعه.

تنزل به على ظهر ياسين.

غارسة النصل.

لنهايته.

بين واجباتي المنزلية وعنايتي الفائقة بأطفالي ودخول حماي العزيز حياتنا اندمجت تمامًا، فقدت بضعة كيلو جرامات من وزني، بات شكلي أكثر انسجامًا بعد مواظباتي الدائمة على العناية والترميم شكلي، وكنت أرقب نفسة بحسرة، لأن من أفعل كل هذا لأجله غير موجود أصلاً، كان اختفاء هشام الغامض يحتل جزءًا لا يستهان به من تفكيري، كنت أشعر أن في الأمر كارثة ما، لو أنه يرد بالكاد على اتصالي به ويخبرني بصوت كذوب أنه بخير، وأنه مشغول قليلاً، وأنه اسلاً غير موجود بالقاهرة.

إلى أن تلقيت مكالمة عزيزة من ..... من سلمى

جارة زوجي التي ساعدتني في دخول شقته لأول وآخر مرة.

لتخبرني بمعلومة خطيرة لم أستوعبها.

هشام موجود في شقته.

الشقة على الدوام مظلمة، ولكن جارتي تسمع ما يشبه الصراخ أو النحيب يخرج عبر الجدران ليصل إليها همسًا.

ثمة شيء غير مفهوم يحدث ويتزامن مع ادعاء هشام بأنه غير موجود في الجوار

وقبل أن تنهي المكالمة قالت:

- على فكرة أنا لقيت مفتاح مرمي تحت الكنبة متهيألي إنه وقع منك.

ودعتني على وعد بلقاء قريب جدًا.

وتركتني في حيرتي أغوص حتى الثمالة في خواطري السوداء.

- ماذا فعلت بنفسك يا حبيبي؟ لماذا تصرخ وحيدًا؟ لماذا تكذب؟ أأنت سليم أم ماذا؟

وطرقت باب حماي العزيز لأصارحه بما يعتمل في نفسي من سواد.

- بابا؟؟

رفع الكهل ناظريه إليّ مستفهمًا.

فيه حاجة يا نهلة؟

- هشام مش مسافر زي ما قاللنا، هشام قافل على نفسه في الشقة وفيه حاجة مش طبيعية بتحصل.

انتبه الرجل تمامًا لكلامي، واستفهم مني عن كل تفصيلة، وسألني عن مصدر معلوماتي، فحكيت له عن تلك الجارة الصديقة التي يسمع عنها لأول مرة.

وقبل مرور ساعة كنت أضع نفس المفتاح في ثقب نفس الباب ليلة اكتشافي الحقيقي لهشام زوجي.

انطلقت أنا وحماي لشقته.

(سلمى) من أعطاني المفتاح.

دلفت للداخل أنا وحماي، ورفضت بأدب دخول سلمى.

وتفهمت الوضع هي الأخرى بتحضّر، ولم يفتني تركيزها مع حماي، وإعجابها الخفي به.

أغلقت الباب بهدوء ومسكت بكف حماي أرشده لغرفة نوم هشام.

البيت ساكن من الواضح أنه غير موجود.

ثم دخلنا لغرفة نومه.

ثمه ضوء خافت يتسلل عبر خصاص اشيش.

يجعل الرؤية متقاطعة في سهام الضوء.

تجرأت ورفعت زر الضوء.

لأرى بأم عيني جسدًا أملسَ مسجًى على الأريكة بإهمال، وقد أعطاني صاحب الجسد ظهره.

كان الجسد شبه عارٍ لا يدثره سوى منشفة.

جسد امرأة ضخمة إن جاز التعبير، وقبل أن أشيح برأسي عنها بحثًا تستدير صاحبة الجسد لنا وتنتفض واقفة أمامنا.

لم تكن امرأة كما تصورت لوهلة.

بل كانت جسد زوجي وحبيبي هشام.

ينظر لنا أنا وأبيه بحقد، وقد طفرت عيناه بلورات حزم ورفض نهائي لوجودنا أمامه.

....

(عودة لأول مشهد بالقصة)

- يابنتي أنا معملتش سحر لجوزك عشان يتجوزك.

هكذا نطق الشيخ عبد التواب بالحقيقة الخفية.

- لكن يا شيخ الطريقة اللي اتجوزت بيها هشام ماكنتش طبيعية.

أنـا الآن في زياتي لمكان إقامة الشـيخ عبد التواب بعد أن ذاع صيته أكثر وتحول لشـيخ مبروك تأتي إليه النسوة محملين بالمشاكل والنقود والهدايا.

في منطقة متاخمة للمقطم حيث أول مشهد في قصتي.

كان تصريح الشيخ عبد التواب بمثابة ابتسامة انفراج وحيرة.

لأن الشـعور بالذنب كاد يقتلني حين وجدت حبيبي وأبا أبنائي على تلك الحالة.

عزيت كل هذا إلى السحر الذي جعله في هذه الحالة.

لكـن عبـد التـواب أنكـر فعله لأي سـحر بـأن ارتباطي بهشـام جاء بمحض القدر والظروف والحب العارم.

تركت الشيخ عبد التواب مودعة بعد أن نفحته مكافأة تأخرت سبع سنوات.

وعدت لشـقة زوجي أمارس العناية به بكل إخلاص بمسـاعدة أبيه الـذي خزن على ابنه أيما حزن، وإن لـم يمنعه حزنه في تبادل الإعجاب مع سلمى التي بدت سعيدة بهذه المعرفة.

.. كانت لحظات عصيبة على (هشام) أن يجد زوجته وأبيه في قبالته في حين يتدلى ثدياه أمامه ويعتري جسده بعض البدانة الأنثوية.

صرخ في وجههم أن اخرجوا حالاً.

لكنهم لم يخرجوا.

بـل اندفعت نهلـة حاضنـة زوجها، وقـد لملمت أطراف المنشـفة، وأحكمتها حول خصره حتى تستره.

أما الأب فقد بكى لأول مرة في حياته، وهو يرى الابن في هذا الوضع الشيطاني.

ومع الوقت بدا أن الواقع واقع ولن يتزحزح إلا بمعجزة.

أما هشام فقد هدأت نفسه، واعتبر أن رؤيتنا له في هذه الحال كمن دفع كل ضرائبه، ولم يعد خائفًا من أي ديون أخرى.

لم يقل حبي له ذرة، ولم يتزحزح عشقي له قيد أنملة.

هو الآن أملس ناعم مترهل أقرب لمطلقة بعد طول عشرة زوجية.

لكن بقيت عيناه وشفتاه كما هي.

أحبك يا عزيزي ولو كنت (عضم في قفة)

كنت أواظب على الصلاة لأدعو له بالنجاة من محنته العظيمة.

أنا أدرى الناس به، وأعرف أن سلب مظاهر رجولته تقربه بالتأكيد من الفناء.

ولكني كنت بجانبه في سرية كاملة.

أواظب على حقنه بحقن الهرمونات وأشد من أزره.

بينما تفرغت أمي للعناية مؤقتًا بأطفالي.

سأنقذ رجولتك يا حبيبي.

حتى لو لم ألمسك بعد ذلك.

حتى لو اندفعت عاريًا لكل نساء الأرض.

حتى لو قذفتني عارية لقارعة الطريق.

فأنت حبيبي وسيدي، وأنا بدونك مجرد .....جثة.

....

ثم حدث وطلبت الهانم مقابلة هشام؛ لأنه الوحيد الذي تعامل مع كل الأطراف.

فقابلها بشكله الجديد، وهو في منتهى الخجل، وإن بدا أن الهانم لا تعير إلا ما تريده الاهتمام الكامل، بل بدا عليها أن تتوقع مقابلة مصاب باللعنة بشكل أو بآخر.

فأخبرها هشام بأسماء كل من قاموا بمعاونته في الحفر والتنقيب ابتداءً من جنا وحتى المقدس بخيت الذي راح ضحية قتل طقسي ببلده بني مزار بالمنيا.

إذن ... هشام أصيب بلعنة هرمونية جعلته أقرب للخنوثة.

جنا فقدت إحدى عينها.

سلوى أصيبت بداء الفيل.

أمجد قطعت يده وساقه بالخلاف.

رضا احترقت ثروته وانتحر شنقًا.

وأخيرًا ياسين الذي مات بسكين مغروسة بعد أن صفّى زوجته وعشيقها.

والمقدس بخيت الذي بقر بطنه هو وأهل بيته.

والحرائق المتتالية في الصعيد.

وضحايا السلعوة أثناء الحفر والنحت.

وكمال الذي يرقد بين الحياة والموت.

والهانم التي فقدت سلطتها وولديها وزوجها.

حتى سعد الدين حلاوة الذي رمي في السجن بلا قرينة.

الجميع أصابتهم ......اللعنة.

هكـذا اجتمعت الخيوط كلها أمـام الهانم لتغزل منها حقيقة مخيفة، »د تكون حصان طروادة الذي يقصم ظهر كل تلك الظروف المتلاحقة، ، التي أودت بعنفوان الجميع، وطلبت النصيحة من ديفيد الذي ساومها ىدهاء اليهود الأبدي.

لابد من استرجاع التابوت واسترجاع الحرس والعودة بالزمن لنفس الموضع وإعادة دفن الكنز في قلب الصخور حتى ينجو الجميع.

جاكـوب يوضـح أن اللعنة كمتتالية هندسـية متعاظمـة القيمة، وأنه لابد من الإسراع قبل أن يصل الحال لدرجة لا يمكن فيها الرجوع.

صحيح إنها لعنة تأديبية تؤدي لإضعاف السـلطة، ولكن الوقت أبدًا لن يكون في صالح من تصيبه اللعنة، وستغدو مع الوقت واقعًا أليمًا.

التكلفة توازي عشرة مليارات دولار.

ذهلت الهانم من ضخامة المبلغ.

فالتابـوت وتماثيلـه وقنينات الزئبـق الأحمر بيعت للنـادي بما يقل قليـلاً عـن العشـرين مليـون دولار، فقـط لمـاذا تعاظمت القيمـة بهذا الشكل يا ديفيد؟

- سيدتي ومولاتي إنك لن تدفعي من جيبك مليمًا، فقط ستؤيدين القيمة التي نطلبها، واتركي الباقي لنا، واعلمي أن هذه ليست نهاية مطالبنا، بل هي مجرد تمهيد لاتفاق أكبر نتبادل فيه مصالحنا بكل تأكيد وأمان.

فاستوضحته الهانم.

- يوجد أربعة شخصيات كبرى في دول الخليج يهمها رجوع السلطة لسابق عهدها لكم، وستمول عملية الشراء، وأنتِ ستقومين بالتعاون مع بعض قادة الجيش الموثوق فيهم برجوع العشيقة لمثواها الأخير فقط لا غير، وهي أمور ستدعم رجالكم وتعطيكم فرصة الرجوع، وتعيد لكم هيبة فقدتموها منذ اندلاع الثورة ولا تنسي أن هذا السحر العكسي سيخلصكم من الإخوان المسلمين ثقيلي الظل.

- وكيف لنا بالرجوع وهم أتوا للحكم بالانتخاب .. هل تعني أن الحل في الانقلاب.

- هو ليس انقلابًا يا صديقتي .. هو عملية استرجاع سلطة اغتصبت باسم الصناديق والديموقراطية الزائفة.

- ديموقراطية زائفة؟

- نعم زائفة، أصلاً بلادكم غير مؤهلة للديموقراطية فنصفكم جاهل أمي والنصف الآخر يعوم في الفساد، فكيف نترك الديموقراطية في أيدي رعاع لا يعرفون مصلحة أنفسهم .. ثم لا تنسي سيدتي أننا نتكلم عن مصر درة التاج في الشرق الأوسط وأكبر سوق تجاري لكل شيء.

- ....مممم

- سيدتي لا تفكري كثيرًا، فقط ادعمي الموافقة على المبلغ، ادعمي إعادة الدفن وسترين بنفسك النتيجة.. ولا تنسي أنك من أهم أعضاء النادي وحمايتك وحماية مصالحك ضرورة قصوى لنا.

لمعت عين الهانم في جزل أخيرًا، وأغلقت الهاتف مودعة صديقها بتأييد وذهبت للفراش لتنام قريرة العين.

وتمت الصفقة والاسترجاع ولأول مرة في التاريخ.

يرجع اللص ما سرقه بكل دقة، التابوت في غرفته، والأوشابتي في غرفتهم.

ثم التحم الصخر مجددًا على جنينه الأبدي.

تحت نطاق غير عادي من السرية والتأمين.

فهل تعود المياه إلى مجاريها؟

ثمه شعيرات دقيقة صفراء اللون - كشعر الأجنة - يظهر على ساق هشام وصدره.

ثمة ضمور خفيف في أثدائه ونزول عام بوزنه.

ثمه تغيرات انتظرها هشام طويلاً آخذة في الظهور البطيء.

هل الرجولة آتية أخيرًا في الطريق.

ثمه صارٍ به علم يلوح في الأفق.

فهل هذا مقدمة لبروز السفينة المرتقبة.

أم أنه مجرد سراب؟؟؟

...

حاصرت جيوش أمنمحات الثالث القصر الملكي بمساعدة حشود الشعب الغاضبة من الظلم الجديد، وبدا للشعب أن المستبد الذي يعرفونه مفضل عن مستبد لا يعرفونه.

طفح بهم الكيل وساندوا الفرعون أمنمحات الثالث في الوصول للعرش باعتباره الوريث الشرعي للبلاد خلفًا لأبيه سنوسرت الثالث.

عادت المياه إلى مجاريها، وفتحت السجون ليخرج منها الحلفاء، ويدس بدلاً منهم المغتصبون الجدد والكهنة الخائنون.

وعمت البلاد الراحة والاغتباط، واتخذ أمنمحات إجراءات تأديبية كبرى في أنحاء البلاد، بل وفرض ضرائب جديدة على الشعب حتى يؤصل حكمه ويدعم تمركزه حول المملكة المصرية العريقة.

وافق الشعب على مضض، ولكن باستسلام عميق لقائد جيوشه ومخلصه.

فهو من أوقف لهم فاعلية العمل الأسود.

تمت

تامر عطوة

القاهرة

2015



- شقة الهرم.
- التقشير في عالم الأبراج.
- عمل أسود.

عزيزي القارئ، سأتركُكَ الآنَ مع حكايةٍ قد تحدثُ في أيِّ مكانٍ، وأيِّ عصرٍ، لأناسٍ وَجَدوا الحُريَّةَ في أكثرِ الأماكنِ استحالةً.

وَجَدوها في قَعْرِ الانحطاطِ والتمرُّغِ في البِرْكَةِ الآسِنَةِ.

عندما تَرَكوا لأنفسِهم العَنَان، وأطلقوا دَفَقاتِ الغَريزةِ طافِحِينَ معها سوائِلَ مَكْبُوتَةً مَخْلُوطَةً بِلعناتٍ عتيقةٍ من زَمنٍ اندثرَ.

على كُلِّ حالٍ، كُنْ حذرًا، فَحَبْكَتُها مَنقوعةٌ في العَطَنِ، وأبطالُها مُنحرِفون، وسَماعُها مُؤذٍ في أحسنِ الأحوالِ.

وفي الأخيرِ، نحنُ بشرٌ، ولكيْ نَعرِفَ الفَضيلةَ لابدَّ أنْ نُحاطَ علمًا بمعنى الرَّذيلةِ عندها فقط؛ سنعرفُ مَدى انضباطِ النَّفْسِ البشريةِ؛ لذلك، تَعالَ، أَتحدَّاكَ، هَيَّا أيُّها الغِرُّ، اِقْلِبِ الصفحةَ، وابدأْ في القراءةِ.

المؤلف



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع



تصميم الغلاف

